



إِتْحَافُ الْخِلَافِ  
بِفَوَائِدِ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ  
(٤٣٤ فائدة في علوم القرآن الكريم)

هنا الكتاب مُحكَّم علمياً

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

ISBN 978 - 9948 - 8592 - 3 - 9

التقيق اللغوي

شروق محمد سلمان

الإخراج الفني

حسن عبد القادر العزاني

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

www.iacad.gov.ae mail@iacad.gov.ae



إِتْحَافُ الْخِلَافِ  
بِفَوَائِدِ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ  
( ٤٣٤ فائدة في علوم القرآن الكريم )

جمع وإعداد  
سامح علي ناصر الناخي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث » أن تقدم إصدارها الجديد « إتحاف الخلال بفوائد من علوم القرآن » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وهذه الرسالة رحلة شائقة في بحار القرآن الزاخرة بكل غالٍ ونفيس، وجولة ثرية في حدائقه الباسقة الغناء، فهو مآدبة الله الغنية التي لا يشبع منها العلماء، وحبل الله المتين ونوره الواصل للأرض من السماء.

تناول المؤلف في رسالته هذه علوم القرآن بأبوابها المختلفة، في إطار مجموعة من الفوائد، بلغت (٤٣٤) فائدة، موثقة توثيقاً دقيقاً، ومعزوة إلى مصادرها الأصلية، تبين أهمية القرآن في حياة المسلم وفكره وثقافته، حتى يتسلح بالعلم النافع فيربط نفسه به، عقيدة وسلوكاً ونظاماً، من خلال تدبره لآيات الكتاب المبين، وتفهمه لمراميه السامية، ومقاصده النبيلة.

والبحث يدعو الناظر فيه إلى إمعان النظر في علوم القرآن، من خلال ما يقدمه من نواته وفوائده وشوارده، ويحثه على معاودة النظر كرة إثر كرة، ليستلهم من معانيه وإشراقاته ودرره ما ينير له ما أظلم من دربه، وما غمض من أمره، وما أشكل عليه في سيره.

وهذا المؤلف يأتي ضمن مشروع متكامل يهدف إلى خدمة القرآن وعلومه المختلفة، والاهتمام بها، دراسة وتحليلاً، وطباعة وتوثيقاً، تنفيذاً للخطة الاستراتيجية للدائرة في إثراء الساحة العلمية وربطها بالحياة العملية لتحقيق الغاية المنشودة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء لأسرة آل مكتوم حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي الأمي الخاتم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

## المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بالقرآن العظيم، وأكرمنا برسالة سيد المرسلين الذي بعثه رحمة للعالمين، المنزّل عليه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] و﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وأصلي وأسلم على من كان خلقه القرآن وشيئته الإحسان محمد بن عبدالله وآله وصحبه، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كلام الله وخطابه الأزلي: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧] أنزله على نبي أمي ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ...﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] أي تلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك، وخص القلب بالذكر لأنه محل الوعي والتثيت، ومعدن الوحي والإلهام، وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره، وقيل: للإشارة إلى صلاح قلبه ﷺ وتقديسه، حيث كان منزلاً لكلامه تعالى.

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، ولولا أن الله تعالى يسره ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الرحمن، ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥-١٦].

هو الكتاب الذي من قام يقرؤه كأنها خاطب الرحمن بالكلم

أنزله جملة واحدة في ليلة مباركة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] في ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] من شهر رمضان ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] من اللوح المحفوظ إلى بيت

العزة في السماء الدنيا دفعة واحدة<sup>(١)</sup>، وأمله جبريل على السفارة، ثم كان ينزله على النبي ﷺ نجوماً، أي مفرداً في ثلاث وعشرين سنة. والحكمة في نزوله ليلاً أن الليل زمان المناجاة، ومهبط النفحات، ومشهد التنزيلات.

ونوه تعالى بذكر طالبي علمه ودارسيه ومعلميه، ورفع من شأنهم، فقال عز من قائل: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيَ إِذَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] فالرباني أخص نسبة ينسب بها العبد إلى مولاه من بعد النبوة، ومعناه: كونوا علماء حكماء بتعليمكم الكتاب ودرسكم إياه. فالمرابي يظهر قوة الملكات بالأسوة وهو الذي يربي أثره في الأجيال التي بعده كشأن الأنبياء وورثتهم.

فالقرآن خبر الله لأنه الجامع لجميع ما أراد الله أن يخبر به عباده، فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال: «من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من خلق الله أعطي أفضل مما أعطي، فقد حقر ما عظم الله، وعظم ما حقر الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل، ولا يحد فيمن يحد، ولكن يعفو ويصفح»<sup>(٢)</sup>.

ولقد ضرب الله تعالى لذلك مثلاً حين قال: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] قال ابن عباس رضي الله عنه: «(أنزل من السماء ماء) قال: قرآناً (فسالت أودية بقدرها) قال: الأودية قلوب العباد»<sup>(٣)</sup>. قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>:

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣٠/٢٥٧، والبرهان للزركشي ١/٢٢٨ ولطائف الإشارات ٢٣/١.

(٢) الزهد والرفائق لابن المبارك ح (٧٨٦)، ومجمع الزوائد للهيثمي ٧/١٨٩.

(٣) تفسير القرطبي ٩/٢٥٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٦٦٨.

«هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها».

فدراسة القرآن الكريم وعلومه والاشتغال به من أشرف المهام التي تفتنى الأعمار في سبيلها ويكفى صاحبها عن هموم ما عداها، قال رسول الله ﷺ عن الله عز وجل: «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». وقال عليه الصلاة والسلام: «لو جعل القرآن في إهاب، ثم ألقي في النار ما احترق»<sup>(١)</sup> أي من علمه الله القرآن لم تحرقه النار يوم القيامة إن أُلقي فيها بالذنوب، كذلك قيل في معنى الخبر.

ومعنى التلاوة التي أمر الله بها رسوله والمؤمنين حين قال: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩١-٩٢]، ومدحه للذين يتلون القرآن حق التلاوة: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] هي الوظيفة القلبية الملازمة للوظيفة اللسانية.

ولقد نعى الله عز وجل على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثا، وكان يحضهم على التدبر في آيات القرآن الكريم حين قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد ٢٤]، لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام أو أنه يحضهم على فهم ظاهره؛ لأن القوم عرب والقرآن لم يخرج عن لغتهم؛ فهم يفهمون ظاهره ولا شك، وإنما أراد أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، فحضهم على أن يتدبروا في آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده، وذلك هو المغزى الذي جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم.

(١) رواه الدارمي في المسند ١٠/ ١٨٤ ح (٣٣٧٣)، ومشكل الآثار للطحاوي ٢/ ٣٩٢.

كالبدر من حيث التفت رأيتَه يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

فلا ينال درر القرآن إلا من تواضع لله في مقام العبودية، وأسلم القلب للفهم عن الله، قال عز وجل ﴿بَصْرَةَ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ﴾ [ق: ٨] الذي ثبت على لوازم ما علمه من الحق من غير ميل إلى اتباع الهوى ونقض ميثاق العلم، والذين اتبعوا القرآن ولم يجعلوه غرضاً لهم، قال تعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: «إن هذا القرآن كان لكم أجراً، وكائن لكم ذكراً، وكائن بكم نوراً، وكائن عليكم وزراً، اتبعوا هذا القرآن، ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن يزخُّ في قفاه، فيقذفه في جهنم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقروون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً ويتأري في الفوق»<sup>(٢)</sup>.

(١) سنن الدارمي ٢ / ٨٩٢. ومعنى يزخ: يدفع.

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن ح (٤٧٧)، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة ح

(١٠٦٤)، وسنن النسائي، كتاب الزكاة ح (٢٥٧٨)، ومسند أحمد بن حنبل ٣ / ٦٠.

وقراء القرآن وحملته ليسوا فقط من حمل حروفه وألفاظه، بل حملة القرآن من حمل معانيه قلباً، وحمل حروفه منطقاً، وحمل كسوته صدرًا، ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءً<sup>١</sup> وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤] ولا يتأتى ذلك إلا بالقلب الطاهر والنفس الصافية والصدر المشروح ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] فتلاوة القرآن حق التلاوة بهذا المعنى هي التي تثمر تلك الفهوم القرآنية والفتوح الربانية التي تصلح الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> [المائدة: ٦٦] وتلك هي الحقيقة التي تحتاج إلى اهتمام من حملة القرآن الكريم.

فالحق أن الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأن البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»<sup>(٢)</sup>، وتثوير القرآن يعني التدبر فيه، والبحث عن جزئياته، والعكوف على حقائقه الكبرى، فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: «ما من شيء إلا وعلمه في القرآن غير أن آراء الرجال تعجز عنه».

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال

قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه: «لو أعطي العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم

(١) انظر تفسير الآية من البحر المديد لابن عجيبة ٢ / ٨٧.

(٢) المعجم الكبير ٩ / ١٤٦، والنهية في غريب الحديث لابن الأثير ١ / ٢٢٩. والتثوير أصله من الثوران وهو الحركة والانتشار.

لأنه كلام الله تعالى وصفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى لقلوب أوليائه من فهم كلامه»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة. والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألف لام ميم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»<sup>(٢)</sup>. وهذا الحديث يشير في بعض ما يشير إليه خصوصاً إلى الحروف من أوائل السور مثلاً لا حصراً.

هذه الحروف القليلة التي لا يدرك معناها أغلب الناس، لهم بتلاوتها حسنات مضاعفة رغم عدم فهم معناها. وهي في الوقت نفسه تثير بالنفوس معاني وإشارات لا حصر لها.

ولقد كان الناس على عهد النبي ﷺ يستمعون إلى القرآن، ويفهمونه بذوقهم العربي الخالص، ويرجعون إلى الرسول ﷺ في توضيح ما يشكل عليهم فهمه، أو ما يحتاجون فيه إلى شيء من التفصيل والتوسع.

ولقد كانت علوم القرآن تؤخذ وتروى عادة بالتلقين والمشافهة، حتى مضت سنون على وفاة النبي ﷺ، وتوسعت الفتوحات الإسلامية، وبدرت بوادر تدعو إلى الخوف على علوم القرآن، والشعور بعدم كفاية التلقي عن طريق التلقين والمشافهة، نظراً إلى بعد العهد بالنبي ﷺ نسبياً، واختلاط العرب بشعوب أخرى، لها لغاتها وطريقتها في التكلم والتفكير، فبدأت لأجل ذلك حركة في صفوف المسلمين الواعين لضبط علوم القرآن ووضع الضمانات اللازمة لوقايته وصيانته من التحريف.

(١) انظر: البرهان للزركشي ٩/١.

(٢) رواه الترمذي، ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ٥/٣٣، ح رقم (٢٩١٠).

ولقد استنبط سلف الأمة الصالح من كتاب الله تعالى علوماً جمّةً أولها علوم القرآن بما فيها من أسباب النزول وعلوم القراءات، والتجويد، والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن، وخطوط القرآن، وإعراب القرآن، وترتيب النزول، وقصص القرآن، وأمثال القرآن، وإعجاز القرآن، وأحكام القرآن، وإحصاء سورة وآياته وحروفه.

فظهرت حركة التدوين لعلوم القرآن، كل يدي بدلوه على قدر علمه وفهمه، وألفت في موضوعاته المختلفة المؤلفات الكثيرة مكوّنة لنا تراثاً قرآنياً عظيماً. ومع ذلك فإنه يمكن لنا أن نقول: أن علوم القرآن من العلوم التي ما نضجت بعد، فضلاً أن تكون احترقت<sup>(١)</sup>، لذلك نجد من يقول أن التفسير ليس علماً في حد ذاته وأنه «ليس من قبيل العلوم التي يتكلف لها الحد؛ لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن أن تشبه العلوم العقلية...»<sup>(٢)</sup>.

ولكننا وإن لم ندعها بالقواعد فإنها أشبه ما تكون بضوابط وأدوات تأهيلية للفهم والتدبر لكتاب الله، وهي أشبه ما تكون بفوائد وثمرات ناتجة عن ذلك الفهم المنضبط، ولذلك سوف تجد تلك المسائل التي لها علاقة بعلوم القرآن، مما تطرق إليه العلماء الذين ألفوا في علوم القرآن، قد وضعت هنا على شكل فوائد وطرر متنوعة تحت المباحث المعروفة والمطروقة في هذا الفن، فليس لي منها إلا جمع شتاتها وتسهيل عباراتها لتكون أكثر إفادة للقارئ العادي مما يسهّل عليه فيما بعد

---

(١) إشارة إلى أن العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث. والمراد بنضج العلم تقرر قواعده وتفريع فروعه وتوضيح مسائله، والمراد باحتراقه بلوغه النهاية في ذلك.

(٢) التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ١ / ١٤.

التعمق في كتب علوم القرآن المطولات كالإتقان للسيوطي وكتب التفسير وغير ذلك من الدراسات المعمقة في هذا العلم.

ولقد قُسم هذا الكتاب على سبعة فصول، تحت كل فصل نُثرت فوائد متنوعة ذات علاقة بموضوع ذلك الفصل، فكان هذه الفوائد ما هي إلا عوائد عن ضيافة سماوية وإقراء من مائدة القرآن، قال تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٤] وهي مرتبة على الوصف التالي:

الفصل الأول: فوائد عامة في التعريف بالقرآن الكريم وعلومه.

الفصل الثاني: الفوائد المتعلقة بنزول القرآن الكريم زمانا ومكانا.

الفصل الثالث: الفوائد المتعلقة بالسند من علوم القرآن الكريم.

الفصل الرابع: الفوائد المتعلقة بالألفاظ من علوم القرآن الكريم.

الفصل الخامس: الفوائد المتعلقة بعلم المعاني من علوم القرآن الكريم.

الفصل السادس: الفوائد المتعلقة بعلم أصول التفسير.

الفصل السابع: فوائد متعلقة بمباحث عامة من علوم القرآن الكريم.

راجياً من فضله الكريم سبحانه أن ينفع بها ويفتح لنا في كتابه ما نترقى به في معراج القرب منه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

## الفصل الأول

فوائد عامة في التعريف بالقرآن الكريم وعلومه



## الفصل الأول

### فوائد عامة في التعريف بالقرآن الكريم وعلومه

فائدة (١): علوم القرآن: مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك.

أو تقول: هو كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه.

ويتنظم تحت ذلك: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم إعراب القرآن، وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك. وتلك أشتات من العلوم توسع السيوطي فيها حتى اعتبر منها علم الهيئة والهندسة والطب ونحوها.

والضابط في ذلك أن تقول: كل علم يتصل بالقرآن من ناحية قرآنيته أو يتصل به من ناحية هدايته أو إعجازه فذلك من علوم القرآن.

فائدة (٢): قال الزرقاني<sup>(١)</sup>: «ولا نعلم أن أحدا قبل المائة الرابعة للهجرة ألف أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون؛ لأن الدواعي لم تكن موفورة لديهم نحو هذا النوع من التأليف، وإن كنا نعلم أنها كانت مجموعة في صدور المبرزين من العلماء على الرغم من أنهم لم يدونوها في كتاب ولم يفردها باسم.

فائدة (٣): أول ما عرف من مؤلفات السابقين المتعلقة بعلوم القرآن كانت في القرن السادس حيث ألف فيه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) كتابين أحدهما

---

(١) مناهل العرفان ٢٦/١.

اسمه «فنون الأفنان في علوم القرآن»<sup>(١)</sup> والثاني اسمه «المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن»، وفي القرن السابع ألف علم الدين السخاوي (ت ٦٤١هـ) كتاباً سماه «جمال القراء»<sup>(٢)</sup>، وألف أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) كتاباً سماه «المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز»<sup>(٣)</sup>، ثم جاء القرن الثامن فكتب فيه بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) كتاباً سماه «البرهان في علوم القرآن»، ثم جاء القرن التاسع وألف فيه محمد بن سليمان الكافيجي<sup>(٤)</sup> (ت ٨٧٩هـ) كتاباً يقول السيوطي<sup>(٥)</sup> عنه إنه لم يسبق إليه. وكتب جلال الدين البلقيني<sup>(٦)</sup> كتابه «مواقع العلوم من مواقع النجوم»<sup>(٧)</sup> وفي هذا القرن التاسع أيضاً ألف السيوطي كتاباً سماه «التحبير في علوم التفسير»<sup>(٨)</sup> ضمنه ما ذكره البلقيني من الأنواع مع زيادة مثلها وأضاف إليه فوائد سمحت قريحته بنقلها ثم وضع كتابه الثاني «الإتقان في علوم القرآن»<sup>(٩)</sup> وهو

- 
- (١) «فنون الأفنان في علوم القرآن» لابن الجوزي مطبوع، تحقيق د. حسن عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت (١٤٠٨هـ).
- (٢) انظر كشف الظنون ١/ ٥٩٣. والكتاب مطبوع، مكتبة التراث، مكة (١٤٠٨هـ).
- (٣) مطبوع، دار صادر، بيروت ١٩٧٥م.
- (٤) ولقب بالكافيجي نسبة إلى كتاب «الكافية» لابن الحاجب لكثرة إقرائه بها.
- (٥) الإتقان ١/ ٤. وتفسير الكافيجي هو: «التيسير في قواعد علم التفسير» مطبوع.
- (٦) هو عبد الرحمن بن عمر بن رسلان، (ت ٨٢٤) وهو أخ لعلم الدين البلقيني صالح بن عمر بن رسلان (ت ٨٧٦) شيخ السيوطي. انظر الضوء اللامع ٤/ ١٠٦ وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢١٤.
- (٧) انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٩٠.
- (٨) الكتاب مطبوع، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- (٩) وهو أكثر الكتب المذكورة استيعاباً لأنواع علوم القرآن، وقد وضع الله له القبول كسائر كتب الإمام السيوطي رحمه الله تعالى، وبه هدب كتابه التحبير، ودمج الأبواب في بعضها بعضاً.

عمدة الباحثين والكاثيين في هذا الفن، على أن بعض الباحثين يرى أن السيوطي إنما كان عالية على الزركشي في البرهان<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤): هناك من عد كتاب «البرهان في علوم القرآن» لعلي بن إبراهيم ابن سعيد المشهور بالحوفي (ت ٤٣٠هـ) أول كتاب في علوم القرآن وهو يقع في ثلاثين مجلداً<sup>(٢)</sup> إلا أن الظاهر عليه أنه كتاب في التفسير وليس في علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي المعروف<sup>(٣)</sup>. وإذا كانت العبرة في مصطلح علوم القرآن بما كُتب لا بعنوان المكتوب، فإن كتاب «فهم القرآن» للحرث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) يعد أول ما دُوّن في علوم القرآن؛ لأن موضوعاته كلها في علوم القرآن، وهي (فضائل القرآن، فضائل القراء، فقه القرآن، المحكم والمتشابه، والنسخ، التقديم والتأخير، الإضمار، الحروف الزوائد، المفصل والموصول).

فائدة (٥): يلاحظ على بعض الكتب التي ذكرت في عنوانها (علوم القرآن) أو أحد مرادفاتها أنها كتب تفسير؛ أي أنها سارت على طريقة تفسير الآيات تفسيراً تحليلياً، وهي لا تختلف في طريقتها عن كتب التفسير الأخرى، ككتاب «الجامع لعلم القرآن»، للرماني (ت ٣٨٤هـ)، وكتاب «اللباب في علوم الكتاب»، لابن عادل الحنبلي (ت ٨٨٠هـ).

(١) غير أن البحث السنني يقتضي أن القرآن وحي يوحى وأن كل متكلم فيه تكلم باستقلال وإن أفاد ممن كان قبله وإلا كان سماه مختصراً. والسيوطي وإن استفاد من الزركشي كما صرح هو في مقدمة الإتيان إلا أن له فضل تحرير المسائل وتنقيحها، وإضافة مباحث لم يذكرها الزركشي.

(٢) وهو مخطوط يوجد نحو نصفه أجزاء متفرقة في دار الكتب المصرية.

(٣) ومثله كتاب «الحاوي في علوم القرآن» لمحمد بن خلف المرزبان (ت ٣٠٩هـ) ويقع في سبعة وعشرين جزءاً كما قد ذكره ابن النديم في الفهرست ص ٢١٤، ومن هذا النوع أيضاً كتاب «عجائب علوم القرآن» لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ).

## التعريف بالقرآن الكريم وكيفية نزوله:

فائدة (٦): يطلق على القرآن (فرقان)، ويطلق الفرقان أيضاً على التوراة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] وذلك لأن معناه الموضوعي هو الفارق بين الحق والباطل، وفي هذا المعنى تشترك سائر الكتب المنزلة، والفرد الكامل فيها في ذلك المعنى هو كتابنا العزيز.

وإذا كانت الكتب السماوية قد عاجلت قضايا جزئية، فإن القرآن قد غطى جميع متطلبات الحياة البشرية من أحكام يقينية وأخلاقية وأحكام شعائرية وأحكام اجتماعية، لكن القرآن جمع بين الأحكام والتفصيل في كل آياته قال تعالى ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

فائدة (٧): كما يطلق القرآن على الزبور، فقد روى القاضي عياض في شفايته عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج» يعني الزبور<sup>(١)</sup>.

فائدة (٨): ذهب الشافعي إلى أن القرآن اسم لكتاب الله تعالى غير مهموز أي غير مشتق من (قرأت) ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل. «قال الواحدي قول الشافعي هو اسم لكتاب الله يعني أنه اسم علم غير مشتق كما قاله جماعة من الأئمة وكان ابن كثير يقرأ بغير همز وهي قراءة الشافعي أيضاً<sup>(٢)</sup>».

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٥٦، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وآتينا داود زبوراً، ح (٣٢٣٥).

(٢) انظر البرهان للزركشي ١/ ٢٧٧-٢٧٨.

وذهب آخرون إلى أن القرآن مشتق من (قرنت الشيء بالشيء) إذا ضمته إليه فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قران، وإلى هذا المعنى ذهب الأشعري وجماعة<sup>(١)</sup>. ويرى الراغب الأصفهاني أن القرآن في الأصل مصدر نحو (كفران، ورجحان) وهو بمعنى القراءة<sup>(٢)</sup>.

**فائدة (٩):** سمي الله تعالى القرآن العظيم كتاباً ومبيناً وكريماً وكلاماً ونوراً وهدى ورحمة وفرقانا وشفاء وموعظة وذكرى ومباركاً وعلياً وحكمة وحكيماً ومهيماً وحبل الله وصراطاً مستقيماً وقيماً وقولاً وفصلاً ونبأً عظيماً وأحسن الحديث ومثاني ومتشابهاً وتنزيلاً وروحاً ووحياً وعربياً وبصائر وبيانا وعلماً وحقا وهادياً وعجبا وتذكرة والعروة الوثقى وصدقا وعدلاً وأمرأاً ومنادياً وبشرى ومجيداً وزبوراً وبشيراً ونذيراً وعزيزاً وبلاغاً وقصصاً وصحفاً مكرمة مرفوعة مطهرة. وهذه أسماء للقرآن الكريم وصفات له. وكلها مذكورة في كلام الله تعالى.

**فائدة (١٠):** القرآن والفرقان: اسمان لمسمى واحد: وهو النظم الكريم، وهما أشهر أسمائه، ويليهما في الشهرة: الكتاب، والذكر والتنزيل.

**فائدة (١١):** ويطلق على القرآن (مصحف) وأول من أطلق على الكتاب المتضمن لألفاظ القرآن مصحفاً هو الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهي كلمة حبشية الأصل اختارها ابن مسعود حينما جمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه القرآن. ومع أن لفظ المصحف عام لكل كتاب فقد صار علماً بالغلبة على الكتاب المحتوي على القرآن.

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٤.

فائدة (١٢): الأصل في الإقراء الضيافة، فقد ضيف الله جميع عباده بأن كان كل من له علم فإن القرآن آيات بينات في صدره. فموسى جاء بالألواح وإبراهيم بالصحف، وعيسى بالإنجيل، وأما القرآن فقد نزل روحاً من أمر الله لجميع من يستفيد العلم من خلق الله ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فائدة (١٣): الكتب السماوية السابقة كانت تنزل دفعة واحدة<sup>(١)</sup>. ومن هنا كان تعجب المشركين من عدم نزول القرآن الكريم مرة واحدة، وهو ما حكاه الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

فائدة (١٤): القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرهما<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١٥): قال الشيخ سعيد النورسي: القرآن هو الترجمة الأزلية لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات التكوينية، ومفسر كتاب العالم.. وكذا هو كشاف لمخفيات كنوز الأسماء المستترة في صحائف السموات والأرض، وكذا هو مفتاح لحقائق الشؤون المضمرة في سطور الحادثات، وكذا

(١) كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي ص ١٣.

(٢) الإتقان للسيوطي ١/ ٢٢٢.

هو لسان الغيب في عالم الشهادة، وكذا هو خزينة المخاطبات الأزلية السبحانية والالتفاتات الأبدية الرحمانية، وكذا هو أساسٌ وهندسةٌ وشمسٌ لهذا العالم المعنوي الإسلامي، وكذا هو خريطة للعالم الأخرى، وكذا هو قولٌ شارحٌ وتفسيرٌ واضحٌ وبرهانٌ قاطعٌ وترجمانٌ ساطعٌ لذات الله وصفاته وأسمائه وشؤونه، وكذا هو مربّبٌ للعالم الإنساني، وكالماء وكالضياء للإنسانية الكبرى التي هي الإسلامية، وكذا هو الحكمة الحقيقية لنوع البشر، وهو المرشد المهدي إلى ما خلّق البشر له، وكذا هو للإنسان: كما أنه كتابٌ شريعة كذلك هو كتابٌ حكمة، وكما أنه كتابٌ دعاء وعبودية كذلك هو كتابٌ أمرٌ ودعوة، وكما أنه كتابٌ ذكر كذلك هو كتابٌ فكر، وكما أنه كتابٌ واحد، لكن فيه كتبٌ كثيرة في مقابلة جميع حاجات الإنسان المعنوية، كذلك هو كمنزلٍ مقدسٍ مشحونٍ بالكتب والرسائل. حتى إنه أبرز لمشرب كل واحدٍ من أهل المشارب المختلفة، ولمسلك كل واحدٍ من أهل المسالك المتباينة من الأولياء والصدّيقين ومن العرفاء والمحققين رسالةً لائقةً لمذاق ذلك المشرب وتنويره، ولمساق ذلك المسلك وتصويره حتى كأنه مجموعة الرسائل<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٦): ذكر ابن القيم في كتاب الفوائد<sup>(٢)</sup> خمسة أنواع من هجر

القرآن الكريم:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه. والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به. والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم. والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

(١) كتاب إشارات الإعجاز ص ٢٨.

(٢) الفوائد لابن القيم ص ٨٢.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣] وإن كان بعض المهجر أهون من بعض.

فائدة (١٧): قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم: ٣٧] والدرس هو كثرة القراءة<sup>(١)</sup>، ودرس الصعب حتى راضه، ودرست الكتاب بكثرة القراءة حتى خف حفظه، قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥] أي بالغت في قراءتك عليهم. يقال درست الكتاب أي ذللت بكثرة القراءة حتى خف حفظه من قولهم: درست الثوب أدرسه درساً فهو مدروس ودرّس أي أخلقته، ومنه قيل للثوب الخلق: درّس؛ لأنه قد لان<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١٨): قال ابن الصلاح في فتاويه: قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الأنس<sup>(٣)</sup>.

فائدة (١٩): يأتي الاستفهام بغرض الإثبات مثل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] أو التنييه مثل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] أو النفسي مثل ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] أو للتعجيب والتشويق مثل ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُلَاقِ﴾ [الغاشية: ١] و﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ﴾ [الماعون: ١].

(١) انظر تفسير القرطبي ٥٩/٧.

(٢) وانظر تفسير روح المعاني للألوسي ٤٦٩/٥. ولعل كلمة ثوب باللغة الإنجليزية قد أخذت من هذا المعنى دريس drees.

(٣) الإتقان للسيوطي ٢٩١/١.

فائدة (٢٠): لفظ الجلالة «الله» جل وعلا، ورد في القرآن الكريم «٢٧٠٧» مرات، «٩٨٠» في حالة الرفع و«٥٩٢» في حالة النصب و«١١٣٥» في حالة الجر. وكلمة «وليتلطف» تتوسط كلمات القرآن الكريم، وحرف «التاء» فيها يتوسط حروفه.

فائدة (٢١): لكل سورة في القرآن الكريم اسم خاص بها، ولبعض السور أكثر من اسم حتى إن سورة «الحمد» المباركة لها أكثر من عشرين اسماً منها: الفاتحة - أم الكتاب - السبع المثاني - الكنز - الوافية - الكافية - الشافية وغير ذلك.

فائدة (٢٢): قال السيوطي<sup>(١)</sup> «قال ابن التين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجثمانى. قلت: ويشير إلى هذا قوله ﷺ: «لو أن رجلاً قرأ بها على جبل لزال»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٣): قال النووي في شرح المهذب: «لو كتب القرآن في إناء ثم غسل وسقاه المريض فقال الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس به، وكرهه النخعي. قال: ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به، فقد قال القاضي حسين والبعوي وغيرهما: لو كتب قرآناً على حلوى وطعام فلا بأس بأكله».

قال الزركشي: «ومن صرح بالجواز في مسألة الإناء العماد النبهي مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشراب أيضاً لأنه يلاقيه نجاسة الباطن، وفيه نظر»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإتيان ٤/١٤٣.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده ح (٤٩١٥).

(٣) الإتيان للسيوطي ٤/١٤٤.

فائدة (٢٤): قال ابن قدامة المقدسي: «ويكره أن يؤخر ختمة القرآن أكثر من أربعين يوماً»، وقال أحمد: أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين. ولأن تأخيره أكثر من ذلك يفضي إلى نسيان القرآن والتهاون به، فكان ما ذكرنا أولى، وهذا إذا لم يكن له عذر، فأما مع العذر فواسع له»<sup>(١)</sup>. قال القرطبي: «والأربعون مدة الضعفاء وأولي الأشغال»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٥): كان يختم بعض السلف في كل يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين، ومنهم من كان يختم ثلاثاً، وختم بعضهم ثمانى ختمات أربعاً بالليل وأربعاً بالنهار. فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم: عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي وآخرون. قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه: سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول: كان ابن الكاتب رضي الله عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات. وهذا أكثر ما بلغنا من اليوم والليلة<sup>(٣)</sup>. بل منهم من كان يختم القرآن في ركعة أو بين المغرب والعشاء.

فائدة (٢٦): قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم<sup>(٤)</sup> بعد ذكره الإمام التابعي الجليل أبا بكر ابن عياش رحمه الله وأنه كان يختم منذ ثلاثين سنة في كل يوم مرة، وأنه ختم نحواً من أربعة وعشرين ألف ختمة في حياته: «ولا ينبغي لمطالعه أن ينكر هذه الأحرف في أحوال هؤلاء الذين تستنزل الرحمة بذكرهم مستطيلاً

(١) المغني لابن قدامة ١/٨٣٩.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي، ص ٨٤.

(٣) انظر التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٥٩.

(٤) ١/٢٥.

لها، فذلك من علامة عدم فلاحه إن دام عليه، والله يوفقنا لطاعته بفضله ومنه». وذكر الإمام التاج السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى أن كرامات الأولياء تربو على المائة نوع، وذكر من جملة أنواع الكرامات: طي الزمان ونشره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

فائدة (٢٧): قال العلامة أبو الحسنات اللكنوي<sup>(١)</sup>: «فإن قلت: بعض المجاهدات مما لا يعقل وقوعها، كثمانى ختمات في يوم وليلة، وكأداء ألف ركعة في ليلة ونحو ذلك. قلت: وقوع مثل هذا وإن استبعد من العوام، لكنه لا يستبعد ذلك من أهل الله تعالى، فإنهم أعطوا من ربهم قوة ملكية وصلوا بها إلى هذه الصفات، لا ينكره إلا من ينكر صور الكرامات وخوارق العادات».

فائدة (٢٨): قال عليه السلام: «خفف على داود القرآن<sup>(٢)</sup> فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه»<sup>(٣)</sup>. قال الحافظ ابن حجر: «وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير»<sup>(٤)</sup>. وقال البدر العيني: «وفيه الدلالة على أن الله تعالى يطوي الزمان لمن يشاء من عباده كما يطوي المكان، وهذا لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الرباني».

---

(١) في كتابه (إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة) ص: ١٠٢-١٠٣.

(٢) يعني الزبور.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٣/١٢٥٦، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى وآتينا داود زبوراً، ح: ٣٢٣٥.

(٤) فتح الباري ٦/٤٥٥.

## الوحي:

فائدة (٢٩): المعنى اللغوي للوحي هو الحديث الخفي، والأمر، والإلهام، والإيحاء، والإشارة، والنداء، والنجوى، وكتابة رسالة وإرسالها. والإعلام في خفاء بسرعة، تقول: أوحيت إلى فلان إذا كلمته خفاء. ومنه الوحي ومعناه العجلة والسرعة<sup>(١)</sup>.

وشرعاً: هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه بطريقة خفية سريعة، غير معتادة للبشر<sup>(٢)</sup>.

فهو ما يلقيه الله إلى أنبيائه؛ إي إبلاغ الله سبحانه وتعالى رسائله التي يريدنا إلى أنبيائه مباشرة أو عن طريق جبريل عليه السلام. والقرآن والكتب المقدسة الأخرى، هي من نتاج هذا الوحي.

فالوحي: هو نقل ما في عالم الربوبية إلى نبي أو رسول عن طريق الملائكة، ليبلغه إلى الناس، مع ملاحظة أن علم الله ثابت في اللوح المحفوظ، وينزل الوحي طبقاً لما هو مدون فيه.

فائدة (٣٠): والوحي أمر هام وجوهري في النبوات والأديان، فهو مثل المعجزة قطب الرحي، وبدونها لا تكون نبوة أو رسالة. ولهذا جاءت مادة «وح ي» في القرآن الكريم وحده ثمانياً وسبعين مرة<sup>(٣)</sup> وفيه دلالة على أن للوحي حقيقة، وأنه أمر ضروري للديانات السماوية.

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤٧٨٨/٦. والقاموس المحيط ص ١٧٢٩، ومفردات ألفاظ القرآن ص ٨٥٨ والمعجم الوسيط ١٠٦٠/٢، مادة (وحي).

(٢) انظر مناهل العرفان ٥٦/١.

(٣) جاءت المادة بلفظ المصدر: ٦ مرات ولفظ الماضي: ٤٤ مرة، ولفظ المضارع: ٢٨ مرة.

والإيمان بالوحي حق وواجب على كل مسلم ومسلمة، لارتباط ذلك بالإيمان بجميع ما أنزل الله من كتاب، وما أتى بعض رسله من صحف. وكل ذلك وحي من الله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤].

وإن نزول الوحي على هيئة كتب وصحف سماوية، هو شيء ضروري لحياة البشر، كي تبقى للأنبيا والرسل آثارهم، ولا سيما ذلك الأثر الباقي إلى يوم القيامة، والذي كان من أعظم نعم الله تعالى على خلقه، ألا وهو القرآن الكريم. ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

فائدة (٣١): ملك الوحي هو جبريل عليه الصلاة والسلام. وقد جاء اسمه نصاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]. ويفهم من الآية الكريمة وجوب محبة جبريل عليه السلام وتعظيم دوره على البشرية إلى يوم القيامة. كما سماه القرآن «الروح الأمين» في قوله تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣].

كما سماه «روح القدس» في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

ويسمى «الناموس» كما جاء على لسان ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ في أول عهده بالوحي: لقد جاءك الناموس الذي نزل الله على موسى.

فائدة (٣٢): وقد جاءت كلمة الوحي في القرآن على معان عدة منها استعمال هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، فالمراد أنه سبحانه لمّا أودع في كل سماء السنن والنظم الكونية التي تسير عليها، على وجه لا يقف عليه إلا المتدبر في عالم الخلقة، فإن ذلك أشبه الإلقاء والإعلام بخفاء بنحو لا يقف عليه إلا الملقى إليه، وهو الوحي، فكان ذلك كافيّاً في استعارة لفظ (الوحي) إلى مثل هذا التقدير والتكوين للسنن.

وأيضاً يأتي لفظ (الوحي) في مورد الإدراك بالغريزة كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨] فما يقوم به النحل من اتخاذ البيوت بهذه الأشكال الهندسية المتقنة والعجيبة الصنع إنما هو نتاج غريزة إلهية مودعة في مكان خلقتة وصميم وجوده، وحيث إن هذا الإيداع للغرائز في مكان الخلقة أشبه بالإلقاء الخفي، وتلقي النحل له بلا شعور وإدراك، أطلق عليه سبحانه الوحي. وأيضاً يأتي الوحي بمعنى الإلهام والإلقاء في القلب كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وحيث إن تفهيم أم موسى مصير ولدها كان بإلهام وإعلام خفي، عبر عنه بالوحي، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ..﴾ [المائدة: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ..﴾ [الأنفال: ١٢].

وأيضاً يأتي الوحي بمعنى الإشارة كما في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، والمعنى أشار إليهم من دون أن يتكلم، فأشبه فعله إلقاء الكلام بخفاء، كون الإشارة أمراً مبهمًا.

وأيضاً يأتي الوحي ويراد به الإلقاءات الشيطانية، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وأيضاً يأتي الوحي فيراد به كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣]، وقد غلب استعمال الوحي في المعنى الأخير.

فائدة (٣٣): وفي آية واحدة أشار القرآن الكريم إلى مقامات الوحي، في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

«وحيًا» أي إلقاء المعنى في القلب. ومعناه أن الله تبارك وتعالى يقذف في روع النبي عليه السلام شيئاً لا يبارى فيه أنه من الله عز وجل، كما جاء عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»<sup>(١)</sup>.

و«من وراء حجاب» أي بالتكليم، كما كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى: ﴿تُودِي مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُحَ آدَمُ بِنُحْيٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التقصص: ١٣٠].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥٢ / ٤ وابن ماجه من حديث جابر ٧٢٥ / ٢، وأبو نعيم في الحلية ١٥٦ / ٣.

فائدة (٣٤): الوحي سر بين الله وبين نبيه، ولا يمكن للإنسان أن يفهم ماهيته. وعندما يأتي الوحي إلى نبي فإنه يرتجف ويتغير لونه ويعرق جبينه ويضيق نفسه<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿إِنَّا سُلِّمْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا نَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥] قال ابن عباس: شديد<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يحفظ ما يوحى إليه في ذاكرته ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ \* [القيامة: ١٦-١٩] ثم يملي ﷺ ما حفظه على كتاب الوحي.

فائدة (٣٥): الإلهام هو أن يلهم الله سبحانه ما فيه الخير في قلب الإنسان مباشرة أو عن طريق الملك، فيشعر الإنسان في قلبه حب الخير، وينشرح صدره لكل خير، وهذه المعلومات الخاصة تأتي إلى القلب عن طريق الفيض الإلهي. ومصدر الإلهام هو الله تعالى أو الملك، فيتلقى أولياء الله الإلهام من مصدر الوحي الذي يأتي به الملك إلى الأنبياء. والإلهام يصدر بصورة مفاجئة في (قلب) الإنسان فلا يكتسب باستعمال طرق المعرفة ومصادر المعلومات المعروفة. يقول الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨].

فائدة (٣٦): والإلهام الحاصل إلى أم موسى - عليه السلام - هو إلهام مباشر من الله إلى قلبها وهذا ما عليه جمهور المفسرين. وقد علم الرسول ﷺ أحد أصحابه أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي»<sup>(٣)</sup>. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثم إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه

(١) الظاهر أن التعب والشدة بنزول الوحي، إنما هي على الجسم، وأما الروح فهي في نعيم ولذة بمباشرة الوحي وسماع الخطاب، فليس عليها مشقة ولا كرب.

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي: ١٧٤ / ٣٠.

(٣) سنن الترمذي ٥ / ٥١٩.

عمر بن الخطاب<sup>(١)</sup> وبالرغم من إمكانية إلهام بعض المعلومات إلى قلب الإنسان إلا أنها لا تشكل مصدراً قطعياً ذا صلاحية بشكل عام ولا تعتبر أدلة شرعية يمكن استعمالها في المواضيع التي جاءت فيها، أو العمل بها؛ لأن المواضيع الإلهامية لا يمكن التحكم بها فهي ذاتية وذهنية.

فائدة (٣٧): يختلف الوحي عن الإلهام، فالإلهام قد يكون نابعاً عن الذات وقد يخطئ الإنسان فيه أو يصيب ولا يعرف مصدره. بخلاف الوحي فإنه أمر خارجي تتلقاه النفس البشرية وتعرف جيداً مصدره فلا يلتبس الأمر عليها وهو خاص بالأنبياء.

فائدة (٣٨): تأتي كلمة (ناموس) بمعنى الوحي الذي ينزل على الرسل، وهو (جبريل) كما في حديث ورقة بن نوفل لخديجة رضي الله عنها عندما أخبرته بحال الرسول ﷺ بعد عودته من غار حراء: «إنه الناموس الذي كان يأتي موسى».

و«الناموس» من مادة (ن م س) تعني الصوت الخفي أو المنخفض جداً، ففي القاموس المحيط يقول الفيروزآبادي بأن: (نامسَه) تعني سارَه.

### كيفية نزول القرآن:

فائدة (٣٩): القرآن الكريم أنزل على ثلاث مراحل هي:

\* التنزيل الأول إلى اللوح المحفوظ، ودليله قوله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، وكان جملة لا مفرقا.

\* التنزيل الثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والدليل عليه قوله سبحانه في سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٤٤]، وفي سورة القدر:

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٢٧٩.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، وفي سورة البقرة: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة أخذاً من آية الدخان، وتسمى ليلة القدر أخذاً من آية سورة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان أخذاً من آية البقرة<sup>(١)</sup>.

أخرج الحاكم<sup>(٢)</sup> بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ».

التنزيل الثالث للقرآن الذي منه شِعَّ النور على العالم ووصلت هداية الله إلى الخلق، وكان هذا النزول بوساطة أمين الوحي جبريل يهبط به على قلب النبي ﷺ. ودليله قول الله تعالى في سورة الشعراء مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

فائدة (٤٠): مسيلمة الكذاب، هو أحد الكذابين اللذين ادعيا النبوة في زمن النبي ﷺ، أحدهما: كذاب صنعاء الأسود بن كعب العنسي<sup>(٣)</sup> وكان يزعم أن ملكين يكلمانه، اسم أحدهما شهيق والآخر شريق، وقد أشار الله تبارك وتعالى

(١) انظر جامع البيان للطبري، تفسير سورة القدر ١٥/٢٥٨.

(٢) في المستدرک علی الصحیحین ٩/٤٩٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) الأسود العنسي كان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال النبي ﷺ، فكتب عليه الصلاة والسلام إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي فقتله، وأخبر الرسول ﷺ بقتله، وسمى قاتله ليلة قتل. ومات رسول الله ﷺ من الغد، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول. انظر بعض أخباره من: الإصابة لابن حجر ١/٣٣١، والوافي بالوفيات للصفدي ٧/١٩٢.

إليهما بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

والثاني: هو مسيلمة الكذاب واسمه هارون بن حبيب<sup>(١)</sup> الحنفي وكان قد اتخذ من يخبره بما ينزل على النبي ﷺ في القرآن وغيره، فلما اشتهر القرآن بين الناس وعلم أنه لا يمكنه ادعاؤه صار يخترع قرآنا من تلقاء نفسه، ويأتي بفجور وتخليط وتبديل كقوله: (والزارعات زرعاً، والحاصدات حصداً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والشاردات ثرداً، يا ضفدع بنت ضفدعين، إلى كم تنفقين، لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين) وسمع أيضاً سورة الفيل فقال: (الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل وخرطوم طويل) إلى غير ذلك من ترهاته، وأراد إظهار كرامات تشبه معجزات النبي، فقد ذكر ابن كثير في البداية أنه بصق في بئر فغاض ماؤها، وفي أخرى فصار ماؤها أجاجاً، وسقى بوضوئه نخلا فبيست، وأتى بولدان يبرك عليهم فمسح على رؤوسهم فممنهم من قرع رأسه ومنهم من لثغ لسانه، ودعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحها فعمي. وتزوج من سجاح، مدعية النبوة أيضاً. قتل في حديقة الموت بمعركة اليمامة<sup>(٢)</sup> أيام خلافة أبي بكر، وقيل إن عمره حينئذ كان يناهز مائة وخمسين سنة، وقيل: إن الذي قتله وحشي بن حرب قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم معركة أحد<sup>(٣)</sup>.

(١) وقيل مسيلمة بن ثمامة بن كبير الوائلي، من بني حنيفة، ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبلية من نجد. ادعى النبوة وأنه شارك النبي ﷺ في الأمر، وذلك أواخر سنة ١٠ هـ، قبيل وفاة النبي ﷺ.

(٢) بقيادة خالد بن الوليد سنة ١٢ هجرية.

(٣) انظر بعض أخباره من: سيرة ابن هشام ٣/ ٧٤، والروض الأنف ٢/ ٣٤٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٧٣، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ٢/ ١٥٤.

## جمع القرآن وكتابته:

فائدة (٤١): يطلق الجمع على معنيين:

المعنى الأول: جمعه بمعنى الحفظ في الصدور، وهذا المعنى ورد في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته في السطور، أي الصحائف التي تضم السور والآيات جميعها.

فائدة (٤٢): قال الخطابي: إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمأن حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر. وأما ما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن...»، فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤٣): لقد اعتنى النبي ﷺ بكتابة القرآن عناية بالغة جداً، فكان كلما نزل عليه شيء منه دعا الكتّاب - منهم: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، - فأملأه عليهم، فكتبوه على ما يجدونه من أدوات الكتابة حينئذ مثل: الرقاع، اللخاف<sup>(٢)</sup>، والأكتاف، والعسب<sup>(٣)</sup>. وقد حصر النبي ﷺ جهده

(١) الإتيان للسيوطي ١/ ١٦٤، وتحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي ٧/ ٢٢٦.

(٢) هي الحجارة الرقاق. وقال الخطابي: صفائح الحجارة الرقاق.

(٣) جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

هؤلاء الكتاب في كتابة القرآن فممنع من كتابة غيره إلا في ظروف خاصة أو لبعض أناس مخصوصين<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤٤): كانت حظوظ الصحابة، من حفظ القرآن متفاوتة، فكان منهم من يحفظ القدر اليسير، ومنهم من يحفظ القدر الكثير، ومنهم من يحفظ القرآن كله. وهم جمع كثيرون مات منهم في موقعة اليمامة في خلافة أبي بكر سبعون حافظاً للقرآن<sup>(٢)</sup>، وكانوا يسمون حفظة القرآن بـ «القرّاء».

وقد ساعد على سهولة حفظه أمران:

الأول: نزوله (مُنَجَّمًا) أي مفرقًا<sup>(٣)</sup> على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ لأنه لم ينزل دفعة واحدة كما كان الشأن في الوحي إلى الرسل السابقين.

---

(١) وأما لماذا لم يكتب النبي ﷺ بيده؟ فقليل لثلا يظن أنه صنف القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْطُّهُ، بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٨]، وقيل لأنه ﷺ بعث لتبييض السواد لا لتسويد البياض... والمسألة مختلف فيها، فقد ذهب أبو الوليد الباجي من علماء المالكية إلى أن النبي ﷺ كتب بعد بعثته، وقد بنى ادعائه هذا على أحاديث أكثرها وارد من طريق الآحاد، وأول الآية الكريمة: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُّهُ، بِيَمِينِكَ﴾ بأن النفي لا يتناول ما بعد النبوة، وبأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يتل قبل النبوة كتابا ولا خطه بيمينه، لا بعد النبوة، فالنفي لا ينسحب على المستقبل. وقد ألف الباجي في هذه المسألة كتابا أسماه «تحقيق المذهب من أن النبي ﷺ كتب» وهو مطبوع.

(٢) وقيل سبعمائة وقيل أكثر. فتح الباري ١٤/١٩٣.

(٣) تنجم القرآن هو تفريقه حسب الوقائع والأحداث. والتنجم مأخوذ من تنجيم الدّين، وهو تفريق سداده. وأصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول ديونها وغيرها، فتقول: إذا طلع النجم الفلاني حل عليك مالي. انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٧٠ مادة: (نجم).

الثاني: خصائص النظم القرآني في صفاء مفرداته، وإحكام تراكيبه، والإيقاع الصوتي لأدائه متلوًّا باللسان، مسموعًا بالأذان، وما يصاحب ذلك من إمتاع وإقناع، كل ذلك أضفى على آيات القرآن خاصية الجذب إليه، والميل الشديد إلى الإقبال عليه، بحيث يجذب قارئه وسامعه واقعًا في أسره غير ملولٍ من طول الصحبة معه. وتؤدي فواصل الآيات في القرآن دورًا مهمًّا في الإحساس بهذه الخصائص.

فائدة (٤٥): لا يقدح في ذلك أن بعض الروايات تذهب إلى أن الذين حفظوا القرآن كله من الصحابة كانوا أربعة أو سبعة، لأن ما ورد فيها له توجيه خاص، هو أنهم حفظوا القرآن كله وعرضوا حفظهم على رسول الله تلاوة عليه فأقرهم على حفظهم، وليس معناه أنهم هم الوحيدون الذين حفظوا القرآن من الصحابة.

فائدة (٤٦): قد اعتمد الصحابة كلهم وبالإجماع القطعي هذا العمل وهذا المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتتابع عليه الخلفاء الراشدون كلهم والمسلمون كلهم من بعده، وسجلوها لأبي بكر الصديق منقبة عظيمة من مناقبه وفضائله. حتى جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤٧): «قال ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً ثم زيد بن ثابت ثانياً لأنها لم يجدا رسول الله ﷺ فعله، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ١٤ / ١٩٣: أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» بإسناد حسن عن عبد خير.

على احتياط الرسول، فلما نبهها عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة، رجعا إليه. قال: «ودل ذلك على أن فعل الرسول إذا تجرد عن القرائن - وكذا تركه - لا يدل على وجوب ولا تحريم»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤٨): قال ابن حجر العسقلاني<sup>(٢)</sup>: «وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله: ﴿يَنْلُؤْاْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ الآية، وكان القرآن مكتوبا في الصحف، لكن كانت مفرقة فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها فنسخ منها عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار».

فائدة (٤٩): «قال الحارث المحاسبي: المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن، فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق، وقد قال عليّ: لو لويت لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٥٠): بقى المصحف الأم في حوزة عثمان رضي الله عنه، ثم عمد عثمان إلى كل ما عدا «المصحف الإمام» من مصاحف الأفراد المخالفة أدنى مخالفة

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٤/١٩٣.

(٢) فتح الباري ١٤/١٩٣.

(٣) الإتيقان للسيوطي ١/١٧١-١٧٢.

للمصحف الإمام، ومنها مصحف الصحابي الجليل ابن مسعود وأمر بحرقها<sup>(١)</sup> أو استبعادها؛ لأنها كانت تحتوى على قراءات غير صحيحة، وبعضها كان يُدخل بعض عبارات تفسيرية في صلب الآيات أو في أواخرها.

قال النووي<sup>(٢)</sup>: «خاف عثمان رضي الله عنه وقوع الاختلاف المؤدي إلى ترك شيء من القرآن، أو الزيادة فيه، فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة، الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحفًا، وبعث بها إلى البلدان، وأمر بإتلاف ما خالفها، وكان فعله هذا باتفاق منه ومن علي بن أبي طالب، وسائر الصحابة، وغيرهم رضي الله عنهم».

**فائدة (٥١):** لقد وافق الصحابة رضوان الله عليهم عثمان في الأمر بالتحريق أو التمزيق بعد جمع المصحف الإمام وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب رضي الله

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ح ٤٩٨٧. قال ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٦٣٦: «في رواية الأكثر (أن يُحرق) بالخاء المعجمة... وفي رواية الإسماعيلي: أن تمحى أو تحرق».

«وعند ابن أبي داود من حديث أنس بن مالك: وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف المصحف الذي أرسل به، فذلك زمان حُرِّقَت المصاحف بالعراق بالنار. وهذه الرواية صريحة في أن ما فعلوه إنما هو إحراق تلك الصحف بالنار، إذهابًا لها، وصونًا عن الوطء بالأقدام. وعنده أيضًا من طريق أبي قلابة: فلما فرغ من المصحف، كتب إلى أهل الأمصار، أني قد صنعت كذا، ومحوت ما عندي، فاحوا ما عندكم» كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٧.

قال ابن حجر ٨ / ٦٣٦: «والمحو أعمُّ من أن يكون بالغسل أو التحريق، وأكثر الروايات صريحٌ في التحريق، فهو الذي وقع، ويحتمل وقوع كل منهما بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك. وقد جزم القاضي عياض بأنهم غسلوها بالماء، ثم أحرقوها مبالغة في إذهابها».

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٩٦.

عنه بل قال: «لو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعله عثمان»<sup>(١)</sup>. إلا ما كان من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> فإنه خالف ذلك واحتفظ بمصحفه، ولعل مرد ذلك إلى التأثر والانفعال الذي أصابه من جراء تنحيته عن لجنة جمع القرآن مع ماله من الأسبقية والأقدمية<sup>(٣)</sup>.

على أن ما جاء عن ابن مسعود من كراهة ذلك إنما كان ظناً منه أنه يمنع من قراءة القرآن على وجه مما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قرآن منزل، مستقرٌّ في العرضة الأخيرة، فلمَّا تبين له عدم المنع مما صحَّ من القراءة رجع عن رأيه إلى رأي الجماعة. قال الباقلاني<sup>(٤)</sup>: «وقد وردت الروايات أن عثمان وعظه، وحذَّره الفرقة، فرجع واستجاب إلى الجماعة، وحثَّ أصحابه على ذلك، فروي عنه في حديث

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ١٦/٢.

(٢) يعد الصحابي عبد الله بن مسعود من أكبر الصحابة معرفة بالقرآن الكريم شهد له النبي ﷺ بذلك حين قال: «خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب» رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ح (٤٦١٥). وذكر أنه: «كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة» كما في سيرة ابن هشام ١٥٧/٢. قال فيه الرسول ﷺ: «لو كنت مؤمراً أحداً دون شوري المسلمين، لأمرت ابن أم عبد» حتى كان يلقب بـ (صاحب السواد) أي صاحب السر.. يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «لقد رأيت النبي عليه الصلاة والسلام، وما أرى إلا ابن مسعود من أهله».

(٣) ولما أرسل عثمان رضي الله عنه المصحف إلى الكوفة مع حذيفة بن اليمان كره ذلك ابن مسعود، وكان يرى أنه أحق بأن يقوم بجمع القرآن، لما له من المكانة في القراءة، والتلقي عن رسول الله ﷺ. انظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٤٤.

ولقد ورد عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «على قراءة مَنْ تَأْمُرُونِي أقرأ؟ لقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، وإنَّ زَيْدًا لَصَاحِبٌ دُوَابَّتَيْنِ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ» أخرجه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب الذؤابة ح (٥٠٦٣).

(٤) نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٢٦٤.

طويل، أنه قال: «...فمن قرأ على قراءتي، فلا يدعها رغبةً عنها، ومن قرأ عليّ شيئاً من هذه الحروف، فلا يدعنه رغبةً عنه؛ فإنه من جحد بحرف منه فقد جحده كله».

قال ابن حزم: «وأما قولهم إن مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خلاف مصحفنا فباطل وكذب وإفك. مصحف عبد الله بن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك، وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الإسلام في شرق الأرض وغربها، نقرأ بها كما ذكرنا، كما نقرأ بغيرها مما صحَّ أنه كل منزل من عند الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وقال الباقلاني: «ولو كان في قراءة ابن مسعود ما يخالف مصحف عثمان لظهر ذلك في قراءة حمزة خاصة... إلى أن قال: ولو لقي أحدٌ من أصحاب عبد الله أحدًا ممن قرأ عليه خلاف قراءة الجماعة، لوجب أن ينقل ذلك نقلاً ظاهراً مشهوراً، وفي عدم ذلك دليلٌ على فساد هذا»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٥٢): عيّن الخليفة عثمان قارئاً لكل مصر معه نسخة من المصاحف التي نسخها عثمان ومن معه، وكانت قراءة القارئ موافقة لقراءة المصر الذي أرسل إليه في الأغلب<sup>(٣)</sup>. حيث أرسل عثمان إلى مكة عبد الله بن السائب المخزومي، وأرسل إلى الكوفة أبا عبد الرحمن السلمي، وكان فيها قبله عبد الله بن مسعود من أيام عمر رضي الله عنه، وأرسل عامر بن قيس إلى البصرة، والمغيرة بن أبي شهاب إلى الشام،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٢١٢.

(٢) نكت الانتصار ص ٣٨٠.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٤٠.

وأبقى زيد بن ثابت مقرئاً في المدينة<sup>(١)</sup>، وكان هذا في حدود سنة ثلاثين للهجرة.

فائدة (٥٣): على مدار جميع الأزمنة فإن القرآن يؤخذ سماعاً من الحُفَّاظ الموجودين المتقنين، ولا يؤخذ عن طريق القراءة من المصحف؛ لأن الحفظ من المصحف عرضة لكثير من الأخطاء، فالسماع هو الأصل في تلقي القرآن وحفظه. لأن اللسان يحكي ما تسمعه الأذن، لذلك نزل القرآن ملفوظاً ليسمع.

يقول العلامة ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ): «ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: رب إذن يثلغوا<sup>(٢)</sup> رأسي حتى يدعوه خبزةً، فقال: مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق ينفق عليك»<sup>(٣)</sup> فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأه في كل حال، كما جاء في صفة أمته «أناجيلهم في صدورهم»<sup>(٤)</sup>.

فائدة (٥٤): الجمعان البكري والعثماني لم يُدخِلا على رسم الآيات ولا نطقها أي تعديل أو تغيير أو تبديل، وفي كل الأماكن والعصور واكب حفظ القرآن

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦٣٦/٨: «فالمشهور أنها خمسة (أي المصاحف)»، وقال الجعبري: «حبس مصحفاً بالمدينة للناس، وآخر لنفسه، وسير باقيها إلى أمرائه».

وانظر الإتيان للسيوطي ١/١٧٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/٤٠٣-٤٠٤.

(٢) أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي يكسر.

(٣) أخرجه مسلم: باب صفة الجنة ونعيمها، ح ٢٨٦٥، ومسنده أحمد ١٣/٣٨٧ ح ١٧٤١٤.

(٤) النشر ٦/١.

تدوينه في المصاحف، وبقي السماع هو الوسيلة الوحيدة لحفظ القرآن على مدى العصور حتى الآن وإلى يوم الدين.

فائدة (٥٥): الرسم<sup>(١)</sup> العثماني للمصحف: المراد برسم القرآن هنا كيفية كتابة الحروف والكلمات في المصحف على الطريقة التي كتبت عليها في المصاحف التي أمر عثمان اللجنة الرباعية فكتبتها ووزعتها في الأمصار. ويطلق عليه: رسم المصحف، ومرسوم الخط.

### الآراء فيه:

الرأي الأول: أن الرسم العثماني توقيفي عن النبي ﷺ لا يجوز مخالفته.

الرأي الثاني: أن الرسم العثماني ليس توقيفاً عن النبي ﷺ، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان رضي الله عنه وتلقته الأمة بالقبول، فيجب التزامه والأخذ به، ولا يجوز مخالفته.

الرأي الثالث: أن رسم المصحف اصطلاح لا توقيفي، وعليه فيجوز مخالفته<sup>(٢)</sup>. وهو قول ضعيف.

والرأي الذي ذهب إلى أن الرسم العثماني للقرآن توقيفي استدل بأن النبي ﷺ كان له كتاب يكتبون الوحي، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم، وقد أقرهم الرسول ﷺ على كتابتهم وقضى عهده ﷺ والقرآن على هذه الكتابة لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

---

(١) والرسم في اللغة: هو الأثر، وقيل: بقية الأثر، وقيل: ما ليس له شخص من الآثار. انظر لسان العرب مادة (رسم).

(٢) وممن ذهب إلى هذا الرأي وأيده ابن خلدون في مقدمته ص ٤١٩، والقاضي أبو بكر في الانتصار لنقل القرآن ص ١٢٩، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٢٠-٤٢١.

وقد اعترض على هذا القول باعتراضين:

أحدهما: كيف كان للنبي ﷺ أن يوقف الصحابة على ما يكتب في المصاحف مع كونه أمياً؟ وأجيب عن ذلك: بأن الأمية لم تكن عيباً فيه ﷺ، وقد كان من الذكاء والفتنة بحيث يستطيع أن يوجههم إلى مثل ذلك، ولقد كان النبي ﷺ مع أميته يعرف أسماء الحروف، وهذا مما يجهله الأمي. فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف». على أنه قد صحت بعض الأخبار التي دلت دلالة قوية على أنه ﷺ قد علم الخط والكتاب بعدما بُعث<sup>(١)</sup>.

وأما الاعتراض الثاني: فهو أن يقال: إن كان الرسم توقيفياً بوحي إلى النبي ﷺ، فلم لم يُنقل تواتراً كما نقلت ألفاظ القرآن، حتى ترتفع عنه الريبة، وتطمئن به القلوب؟ والجواب عن هذا: أن رسم المصاحف قد نقل ألفاظاً ورسمًا على الوجه الذي تقوم به الحجة، يدرك ذلك أهل العلم، الذين حفظوا ألفاظه ورسمه، ولم يضيعوا منها شيئاً. ولا يقدر في ذلك اختلاف علماء الرسم في بعض الحروف، إذ إن عثمان رضي الله عنه قد كتب عددًا من المصاحف، وقد كان بينها

---

(١) كحديث البخاري في صحيحه، كتاب المغازي باب عمرة القضاء، ح ٤٢٥١: عن البراء رضي الله عنه في خبر صلح الحديبية قال: «فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، وليس يُحسَنُ يَكْتُبُ، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله... الحديث». قال القاضي عياض: «وقوله في الرواية التي ذكرناها: «ولا يحسن أن يكتب، فكتب» كالتصّ أنه كتب بنفسه، قال: والعدول إلى غيره مجازٌ، ولا ضرورة إليه». انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٨/١٢. وسوف يأتي قريباً إلى أن القول بكتابة النبي ﷺ قال به بعض من أهل العلم وصنفوا فيه رسائل.

بعض الاختلاف لتحتمل ما ثبت من أوجه القراءة، ولا يَضُرُّ جهل مَنْ جهل دقة هذا النقل، كما لا يضر جهل العوامّ بالقرآن وعدم حفظهم لألفاظه.

فائدة (٥٦): ولقد أثر أن الصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا في كتابة التابوت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، فقال زيد: اكتبوها التابوه - بالهاء-، وقال النفر القرشيون: بل تكتب (التابوت) - بالتاء المفتوحة-، وترافعوا إلى عثمان رضي الله عنه فقال: «اكتبوا التابوت، فإنما نزل القرآن على لسان قريش»<sup>(١)</sup>.

يدرك - من كان له أدنى معرفة بعلم القراءات - العلاقة الواضحة بين الرسم العثماني، وبين القراءات القرآنية المتواترة وأن هذا مما يؤيد الرأي القائل بالتوقيف، إذ يلاحظ بوضوح أن الصحابة رضي الله عنهم عندما خالفوا القياس في الخط، إنما كان ذلك لمقاصد تتعلق بما ثبتت روايته عن النبي ﷺ من أوجه القراءة في العرصة الأخيرة، فكتبوا في الفاتحة: ﴿ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ دون ألف في (ملك) لتحتمل الوجهين من القراءة بالألف (مالك)، وبدونها (ملك).

ومما يدل على توقيف الرسم العثماني ما تجده في كتابة بعض الكلمات في المصحف فقد تزداد فيها أحرف كحرف الألف في مثل: ﴿ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾ [النمل: ٢١] أو الياء

---

(١) رواه البخاري كتاب المناقب، باب: نزل القرآن بلسان قريش، ح (٣٢٤٤) عن أنس رضي الله عنه.

قال القاضي الباقلاني: ومعنى قول عثمان: إنه نزل بلسان قريش، أي: معظمه، ولم يبق دليل على أن جميعه بلغة قريش، قال الله تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف: ٢]، ولم يقل: قرشياً. قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا، يعني حجازها ويمناها، وكذلك قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر. تفسير ابن كثير ٤٦/١.

في مثل: ﴿وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] أو الواو في مثل ﴿سَأُورِيكَ دَارَ  
الْفٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، أو قد تحذف منها الألف مثل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾  
[الفاحة: ١] أو الواو مثل: ﴿وَمَعَ اللَّهِ الْبَطْلَ﴾ [الشورى: ٢٤] أو الياء مثل:  
﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]. فالرسم العثماني لم يتبع قاعدة مطردة في كتابة  
هذه الكلمات فدل ذلك التنوع على أن الرسم كان توقيفياً عنه ﷺ.

فائدة (٥٧): أقوال الفقهاء في الرسم العثماني: جمهور العلماء ذهبوا إلى منع  
كتابة المصحف بما استحدث الناس من قواعد الإملاء، للمحافظة على نقل  
المصحف بالكتابة على الرسم نفسه الذي كتبه الصحابة.

وقد سئل الإمام مالك: هل تكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟  
فقال: لا، إلا على الكتابة الأولى<sup>(١)</sup>، وجاء عند الشافعية: إن رسم المصحف سنة  
متبعة، وقال الأحناف: أنه ينبغي ألا يكتب بغير الرسم العثماني، وصرح الإمام  
أحمد فيه بالتحريم فقال: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو  
غير ذلك، وقال الإمام أبو عمرو الداني: ولا مخالف له من علماء الأمة<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الداني في المقنع، ثم قال: ولا مخالف له من علماء الأمة. انظر البرهان للزركشي  
٣٧٩ / ١، والإتقان للسيوطي ١٤٩ / ٤. قال ابن الحاج في «المدخل» ٩٢ / ٣ بعد ذكر  
فتوى مالك بمنع تغيير رسم المصحف ما نصه: «لا يلتفت إلى اعتلال من خالف بقوله:  
أن العامة لا تعرف مرسوم المصحف ويدخل عليهم الخلل في قراءتهم في المصحف إذا  
كتب على المرسوم... لأن من لا يعرف المرسوم من الأمة يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف  
إلا بعد أن يتعلم القراءة على وجهها، أو يتعلم مرسوم المصحف، فإن فعل غير ذلك فقد  
خالف ما اجتمعت عليه الأمة، وحكمه معلوم في الشرع الشريف».

(٢) انظر البرهان للزركشي ٣٧٩ / ١، والإتقان للسيوطي ١٤٦ / ٤.

وهكذا اتخذت الأمة الإسلامية الرسم العثماني سنة متبعة إلى عصرنا هذا، كما قال البيهقي<sup>(١)</sup>: «و اتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعدها»، وقال أيضاً: «من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا فيها المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغير مما كتبه شيئاً، فإنهم أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدرأنا عليهم»<sup>(٢)</sup>.

قال القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ): «وأكثر رسم المصاحف موافق لقواعد العربية، إلا أنه قد خرجت أشياء عنها، يجب علينا اتباع مرسومها، والوقوف عند رسومها، فمنها ما عرف حكمه، ومنها ما غاب عنا علمه»<sup>(٣)</sup>.

قال السيوطي: «أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتاً وحذفاً، ووصلاً وقطعاً، إلا أنه ورد عنهم اختلافٌ في أشياء بأعيانها، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء، وبالحاق الهاء فيما تقدم وغيره، وبإثبات الياء في مواضع لم تُرسم بها...».

وقال القاضي عياض: «أجمع المسلمون على أن من نقص حرفاً قاصداً لذلك، أو بدله بحرفٍ مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأُجمع على أنه ليس من القرآن - عامداً لكل هذا، فهو كافر»<sup>(٤)</sup>.

(١) في الجامع لشعب الإيمان ٥ / ٦٠١.

(٢) انظر الجامع لشعب الإيمان ٥ / ٦٠٠، البرهان للزركشي ١ / ٣٧٩.

(٣) انظر لطائف الإشارات ١ / ٢٨٥.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ٦٤٧.

لكن استثنوا من ذلك نقط المصاحف وتشكيلها، لتتميز الحروف والحركات، فأجازوا ذلك بعد اختلاف في الصدر الأول عليه، وذلك لما اضطروا إليه لتلافي الأخطاء التي شاعت بسبب اختلاط العرب بالعجم.

فائدة (٥٨): ذكر الزرقاني في «مناهل العرفان»<sup>(١)</sup> فوائد الرسم ومزاياه،

منها:

١- مراعاة القراءات المتنوعة في الرسم، وذلك عن طريق وضع قاعدة للرسم القرآني يمكن بفضلها قراءة الكلمة وفقا للقراءتين معا... وهذا المنهج يوحد الرسم القرآني، ويجعله قابلا للقراءات المتعددة.

٢- إفادة المعاني المختلفة، وذلك عن طريق الإشارة الإملائية إلى التفاوت بين المعاني في الكلمات التي تنطق بطريقة متماثلة، بحيث يدرك القارئ المراد من خلال الإشارة الإملائية إلى المعنى.

٣- الدلالة على بعض المعاني الخفية، كما في كتابة «أيد» في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وقد كتبت بزيادة الياء وذلك للإيحاء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

٤- الدلالة على أصل الحركة، كما في قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾. والأصل أن تكتب سأريكم، وكذلك الأمر في لفظ الصلاة والزكاة، حيث كتبت بالواو، لأن الألف منقلبة عن الواو.

---

(١) ٢٥٧ - ٢٥٨.

٥- مراعاة بعض اللغات الفصيحة، وذلك عن طريق الإشارة إلى بعض لغات العرب في حذف بعض الأحرف: مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة دلالة على لغة طيبيء.

٦- الاعتماد في القرآن على الحفظ وليس على الكتابة، لأن الرسم العثماني لا يطابق النطق، ويحتاج القارئ إلى حفظ القرآن لكي يتمكن من القراءة الصحيحة.

فائدة (٥٩): أورد القرطبي في تفسيره في الكلام على قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ بسنده إلى يحيى بن أكثم، قال كان للمأمون وهو أمير إذ ذاك مجلس نظر، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة، قال: فتكلم فأحسن الكلام، قال: فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال نعم. قال: أسلم حتى أفعل لك وأصنع، ووعدته، فقال: ديني ودين آبائي، وانصرف. قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون وقال: أأنت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى. قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها إلى الوراقين فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكثم، فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر،

فقال: مصداق هذا في كتاب الله عز وجل. قال: قلت في أي موضع؟ قال: في قوله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ فجعل حفظه إليهم فضع، وقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع.

فائدة (٦٠): تشكيل كلمات القرآن: لما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم، خيف على القرآن الكريم أن يتطرق إليه اللحن، فابتكر أبو الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup> طريقةً للشكل حيث وَضَعَ نقطةً فوق الحرف للدلالة على فتحته، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسرتة، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته، ولا يضع شيئاً على الحرف الساكن، وإذا كان الحرف منوناً وضع نقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله<sup>(٢)</sup>.

(١) اسمه ظالم بن عمرو الدؤلي البصري، قاضي البصرة، ثقة جليل، أول من وضع مسائل في النحو بإشارة علي رضي الله عنه فلما عرضها على علي قال ما أحسن هذا النحو الذي نحوت فمن ثم سمي النحو نحواً، وهو أول من نقط المصاحف، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره فهو من التابعين المخضرمين، شهد مع علي وقعة صفين قال لابنته لما زوجها: إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء، وكوني كما قلت لأمك:

خذي العفو مني تستمدي مودتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب  
فإني وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب

توفي في طاعون الجارف سنة ٦٩ هـ.

(٢) كان أول من أسس علم العربية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذه عنه أبو الأسود. ويروى أن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته بالبصرة فقالت: يا أبة ما أشدُّ الحر! رفعت «أشد»، فظنها تسأله وتستفهم منه أي أزمان الحر أشد، فقال لها: شهر ناجر، فقالت: يا أبة إنها أخبرتك ولم أسألك. فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب لسان العرب لما خالطت العجم، ويوشك إن طال الزمان أن تضمحل، فقال له: =

وكانوا يسمون هذه النقط شكلاً، لأنها تدل على شكل الحرف وصورته، ولم تشتهر طريقة أبي الأسود إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن الكريم، أما الكتب العادية فكان شكلها نادراً؛ لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم حتى قال بعضهم: «شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه».

فائدة (٦١): ثم بعد ذلك جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي فوضع طريقة أخرى للشكل وهي القائمة الآن بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضجعة فوق الحرف، وللكسرة ياءً صغيرة تحته، وللضمة واواً صغيرة فوقه، وإن كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف الصغير، كما أنه هو من وضع علامة الشدة وعلامات أخرى للمد والصلة والهمزة.

فائدة (٦٢): تنقيط كلمات القرآن أو ما يسمى بـ (الإعجام): والمراد به هو تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع العجمة أو اللبس.

والعرب وإن كانت قد عرفت النقط قديماً على الأرجح، إلا أنها لم تستخدمه إلا نادراً، وقد خلا مصحف الخليفة عثمان رضي الله عنه عن النقط، لتيسير قراءته

---

= وما ذاك؟ فأخبره خبير ابنته، فأمر فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه الكلام كله: اسم أو فعل وحرف جاء لمعنى، ثم رسم أصول النحو كلها، فلما كان أيام زياد بن أبيه بالبصرة، جاءه أبو الأسود فقال: أصلح الله الأمير، إني أرى الحمراء قد خالطت العرب فتغيرت ألسنة العرب، وقد كان علي قد وضع شيئاً يصلح به ألسنتهم، أفتأذن لي أن أظهره؟ فقال: لا، ثم جاء زياداً رجل فقال: أصلح الله الأمير، مات أبانا وخلف بنون، فقال زياد كالمتعجب: مات أبانا وخلف بنون! هذا ما ذكره أبو الأسود! ثم مر برجل يقرأ القرآن حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ - بكسر اللام - فقال زياد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا والله الكفر. ردوا إلي أبا الأسود، فقال له: ضع للناس ما كنت قد نهيتك عنه.

على الأوجه التي صح سماعها عن النبي ﷺ من القراءات المتواترة الموافقة لرسم الإمام التي لا يتعارض معنى القرآن عليها، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء، وقد ظل المسلمون يقرؤون مصحف عثمان نيفاً وأربعين سنة بدون تنقيط.

حتى إذا كثر التصحيف بدخول أمم غير عربية إلى الإسلام، قام الحجاج بن يوسف الثقفي بدعوة (تلميذي أبي الأسود الدؤلي) نصر بن عاصم الليثي<sup>(١)</sup> ويحيى ابن يعمر العدواني<sup>(٢)</sup> لهذا الأمر، فقاما بوضع النقط على الحروف المتشابهة<sup>(٣)</sup>.

كما أنها كانا أول من قام بإعادة ترتيب الحروف الأبجدية القائم على الترتيب الهجائي والمعروف حالياً: (أ ب ت ث ج ح خ د ذ... ) وتركوا الترتيب القديم وهو: (أ بجد هوز حطي كلمن..)<sup>(٤)</sup>.

(١) هو نصر بن عاصم الليثي النحوي، كان فقيهاً عالماً بالعربية، من قدماء التابعين، وكان يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو، وأخذ عن يحيى بن يعمر. توفي سنة ٨٩هـ.  
(٢) هو أبو سعيد يحيى بن يعمر القيسي العدواني من التابعين، وكان عالماً بالقرآن والنحو، ذكر أنه نفي إلى خراسان من العراق بعد حادثة وقعت له مع الحجاج وهي أن الحجاج سأله عن رأيه في كلامه أفيه لحن أم لا؟ فكان جواب العدواني: نعم تلحن لحننا خفياً: تزيد حرفاً، وتنقص حرفاً، وتجعل أن في موضع إن، وإن في موضع أن. فقال له الحجاج: قد أجلتكَ ثلاثاً فإن أجدك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك. فرجع إلى خراسان. توفي سنة ١٢٩هـ.

(٣) وانظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٦٠.

(٤) وقيل إن أول من وضع الخط العربي وألف حروفه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن آد، وكانت أسماؤهم: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت، فوضعوا الكتابة والخط على أسماؤهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسماؤهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي تُخذ ضغط. وانظر تاج العروس للزبيدي ٢/ ٢٩٤ مادة (بجد).

فائدة (٦٣): وضع النقاط والشكل في القرآن ليست سوى أدوات أو علامات اجتلبت لخدمة النص القرآني، ولتلاوته صوتياً تلاوة متقنة. أو بعبارة أخرى: هي وسائل إيضاح اصطلاحية متفق عليها تعين قارئ القرآن على أدائه أداء صوتياً محكماً، وليست هي من عناصر التنزيل، ولو جرد المصحف منها ما نقص كلام الله شيئاً، وقد كان كتاب الله قبل إدخال هذه العلامات هو هو كتاب الله.

فائدة (٦٤): قال النووي في كتابه التبيان<sup>(١)</sup> ما نصه: «قال العلماء ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط فإنما كراهاه في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم فلا يمنع من ذلك لكونه محدثاً فإنه من المحدثات الحسنة فلا يمنع منه».

فائدة (٦٥): أول طبعة للقرآن الكريم خرجت بعد ظهور المطابع في البندقية بإيطاليا في حدود سنة ١٥٣٠ م وقد أعدمته السلطات الكنسية، ثم طبعة سانت بترسبورغ بروسيا سنة ١٧٨٧ م والتي قام بطبعها السلطان عثمان، ثم بعد ذلك توالى العناية بطباعة المصحف الشريف وقد طبع تحت إشراف الأزهر سنة ١٨٢٣ م برواية حفص عن عاصم، وتبارت الدول الإسلامية بعد ذلك على طباعته في شرق الأرض ومغارها بأحجام وألوان مختلفة وبرواية قراءات متعددة وما ذلك إلا من مظاهر عناية الرحمن بكتابه العزيز.

فائدة (٦٦): لقد أجمع المؤرخون على أن أول من أدخل الكتابة إلى مكة المشرفة حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي<sup>(٢)</sup> وهو تعلمها في أسفاره من

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١٨٩.

(٢) انظر مصنف ابن أبي شيبة ٨/٣٣٦.

عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك الذي تعلمها من أهل الأنبار<sup>(١)</sup> ثم تعلم منها جماعة من قريش بمكة.

أما المدينة فقد ذكروا أن رسول الله ﷺ دخلها وكان فيها يهودي من يهود ماسكة<sup>(٢)</sup> يعلم الصبيان الكتابة، وكان فيها بضعة عشر رجلا يعرفونها منهم زيد بن ثابت وكان يكتب العربية والسريانية، ثم انتشرت الكتابة بالمدينة أكثر من انتشارها بمكة بتشجيع من النبي ﷺ فقد روى أنه أمر عبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتابة، وجاء عن عبادة بن الصامت قال علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن. ولقد جعل المسلمون فدية الكاتب من أسارى غزوة بدر الكبرى تعليم عشرة من صبيان المدينة وبذلك كثر المتعلمون حتى بلغ عدد كتابه ﷺ نحو أربعين رجلا.

فائدة (٦٧): وفي كتاب «محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر» أن أول من اشتهر بالكتابة في الإسلام من الصحابة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهم، والظاهر أنهم لم يشتهروا في ذلك إلا لإصابتهم فيها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) وقد سكن الأنبار والحيرة بقايا العرب العاربة وكثير من المستعربة فنقلوا ذلك. يقول ابن خلدون في مقدمته: أن الخط انتقل من اليمن إلى الحيرة لما كان بها أي بالحيرة من دولة آل المنذر نساء التبابعة اليمنيين في العصبية والمجددين لملك العرب في العراق.

(٢) بنو ماسكة حي من أحياء اليهود الذين استوطنوا المدينة المنورة كبنو قريظة وبنو النضير.

(٣) روح المعاني للألوسي ٤٤٨/١٤.

فائدة (٦٨): والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوفة ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير<sup>(١)</sup>، وصار له في ذلك منهج وأسلوب في الكتابة، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه<sup>(٢)</sup>. وكان الخط سابقاً عند حمير باليمن ويسمى المُسند<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٦٩): أول من جمع الأولاد في المكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم وجعل رزقه من بيت المال وأمره أن يكتب للبليد في اللوح ويلقن الفهيم من غير كتب، وسأله تخفيف التعليم فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر ويستريحون بقية النهار، ولما خرج رضي الله عنه إلى الشام عام فتحها ومكث شهراً ثم رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقاءه تلقاه الصغار على مسيرة يوم وكان ذلك يوم الخميس، فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة، فتعبوا في خروجهم ورجوعهم فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين، فصار ذلك سنة متبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة المولود ببغداد سنة ٢٧٢ هـ والمتوفى سنة ٣٢٨ هـ، تولى الوزارة ثلاث مرات في العهد العباسي. ويحكى أن الخليفة الراضي غضب عليه فأمر بقطع يده اليمنى، إلا أن الخليفة عاد وندم على إصداره ذلك الأمر. وكان يبكي على يده ويقول «قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء، وكتبت بها القرآن دفعتين، تُقطع كما تقطع أيدي اللصوص». لكن ابن مقلة أصر أن لا يؤثر هذا على قدرته الإبداعية كخطاط فربط قلماً إلى ساعده واستمر في الكتابة. قيل إنه أول من كتب خط الثلث والنسخ، وأول من هندس الحروف إذ كان بارعاً في علم الهندسة. انظر ترجمته من سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٢٥، والمنتظم ٦/ ٣٠٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٥.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٦/ ٣٢٧.

(٤) انظر الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ١/ ١٠٧.

فائدة (٧٠): إن من أهم الأساليب التربوية في تنشئة الطفل هو تعويده على الذكر وأن يكون في بيئة ذاكرة لله، وهذا يأتي قبل تحفيظه للقرآن، ومن هذه الأذكار أذكار الصباح والمساء وذكر الله بأسمائه الحسنی وكذلك الصلاة على رسول ﷺ والاستماع إلى سيرته، وقد كان رسول الله ﷺ يربي أطفال المسلمين بذلك، كما أن هذه الأدعية التي علمها رسول الله ﷺ لأولئك الصغار من الصحابة تنصف بصفة الأداء الدوري، كتعليم الحسن دعاء القنوت، وتعليم ابن عباس دعاء التشهد، وتعليم عبدالله بن عمرو دعاء النوم، والاستمرار بهذه الأدعية يجعل العبد مرتبطاً بربه، محفوظاً عقله وتفكيره، ممتلئاً قلبه بنور الله، فإن العقل السليم في القلب السليم.

فائدة (٧١): (في كتابة المصاحف قديماً وحديثاً): «روي عن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه يقول: كانت المصاحف لا تباع إنما يأتي الرجل بورقة عند المنبر فيقوم الرجل المحتسب فيكتب له من أول البقرة ثم يجيء غيره حتى يتم المصحف»<sup>(١)</sup>.

هكذا كان في ابتداء الإسلام ثم صار كثير من الناس يتفرغون لكتابة المصاحف لعدم وجود المطابع في ذلك الزمن، فكان يكتب بعضهم مائة مصحف وبعضهم مائتين وبعضهم أقل أو أكثر، ولئن كانت المطابع غير موجودة في زمنهم فقد كانت قلوبهم عامرة بالتقوى، ممتلئة إيماناً و يقيناً، وكانوا أكثر تلاوة للقرآن وأشد تمسكاً بأحكامه وأكثر رغبة وتنافساً في نسخه وكتابته وإهدائه لبعضهم بعضاً وجعله في المساجد ودور العلم والتدريس رجاء الأجر والثواب.

(١) أخرجه ابن أبي داود السجستاني في كتابه المصاحف ٢/١٨٦، وأورده ابن حجر وقال: رجاله ثقات مع انقطاعه. انظر فتح الباري ٩/١٤.

فائدة (٧٢): ذكر ابن خلكان عند ترجمة إسحاق بن مرامر الشيباني النحوي اللغوي قال ولده عمرو: لما راجع أبي أشعار العرب ودونها كانت نيفا وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس كتب مصحفا وجعله بمسجد الكوفة حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه.

فائدة (٧٣): حفظ القرآن في الصدور فرض كفاية على الأمة وكذلك تعليمه، أما نسيانه فكبيرة كما صرح به النووي في الروضة وغيرها لحديث أبي داود وغيره<sup>(١)</sup>: «عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها رجل ثم نسيها»، وفي الصحيحين<sup>(٢)</sup>: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تغلثا من الإبل في عقلها»، وفيها أيضا<sup>(٣)</sup>: «مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن عقلها صاحبها أمسكها وإن تركها ذهبت».

فائدة (٧٤): ينبغي للقارئ أن يختم في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة، وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه لأن النبي ﷺ عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين. وقال غيره يكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوما بلا عذر نص عليه أحمد، لأن عبد الله بن عمر سأل النبي ﷺ في كم نختم القرآن؟ قال: «في أربعين يوما». رواه

---

(١) أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب في كنس المساجد ١ / ٣١٦ - ٣١٧، والترمذي في جامعه في فضائل القرآن، باب ٥ / ١٧٨ - ١٧٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) البخاري، في باب فضل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، ح (٤٧٤٦)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ح (٧٩١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ح (٤٧٤٣)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح (٧٨٩).

أبو داود<sup>(١)</sup>. وأخرج الشيخان<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عمرو قال: «قال لي رسول الله ﷺ اقرأ القرآن في شهر. قلت إني أجد قوة. قال اقرأه في عشر. قلت إني أجد قوة. قال اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك».

فائدة (٧٥): قال النووي<sup>(٣)</sup>: «المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ، وكذلك من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده ولا فوات كماله، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل أو الهذمة في القراءة، وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث لقوله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه»<sup>(٤)</sup>، «ونهى عليه الصلاة والسلام عن الهذمة بالقرآن»<sup>(٥)</sup>.

فائدة (٧٦): احترام المصحف: لا يوجد في الكون كتاب أحيط بهالة من الإجلال والتقديس كالقرآن الكريم حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه كتاب مكنون، وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون، وأقسم على ذلك إذ يقول: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي

(١) في السنن باب تحزيب القرآن، ح (١١٨٧)، وانظر الإتيان للسيوطي ٢٩٤ / ١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ح (٤٧٦٧)، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، ح (١١٥٩).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٦١.

(٤) حديث: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه» أخرجه أحمد في المسند ١٩٣ / ٢. وبصيغة: «لم يفقه من قرأ... الحديث» أبو داود في السنن ٣ / ٣٢٧، والترمذي في السنن ٣ / ٢١٧ وقال: حسن صحيح.

(٥) هذر في منطقته خلط، والهذر بفتح الهمزة، والهذمة: سرعة الكلام والقراءة.

كَتَبٍ مَّكْنُونٍ \* لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠]، وقالوا بوجوب الطهارة لمسّه وحمله<sup>(١)</sup> وكذلك ما يتصل به من خريطة وغلاف وصندوق على الصحيح واستحبوا تحسين كتابته وإيضاحها وتحقيق حروفها<sup>(٢)</sup>. قال النووي<sup>(٣)</sup>: «ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم به عليه لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار للمصحف أولى، وقد قررت دلائل استحباب القيام في الجزء الذي جمعته فيه، وروينا في مسند الدارمي بإسناد صحيح عن ابن أبي مليكة أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول كتاب ربي».

فائدة (٧٧): قال السيوطي<sup>(٤)</sup>: «لا تحتاج قراءة القرآن إلى نية كسائر الأذكار إلا إذا نذرهما خارج الصلاة فلا بد من نية النذر أو الفرض ولو عين الزمان. فلو تركها لم تجز. نقله القمولي في الجواهر».

### تعريف السورة:

فائدة (٧٨): السورة في اللغة تطلق بمعنى المنزلة، وهي مأخوذة من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور<sup>(٥)</sup>، ومن السوار المحيط بالساعد. أو من السورة بمعنى المنزلة الرفيعة، قال النابغة<sup>(٦)</sup>:

(١) قال ابن عبد البر في الاستذكار ٨ / ١٠: «وأجمع فقهاء الأمصار الذين تدور عليهم الفتوى وعلى أصحابهم بأن المصحف لا يمسه إلا طاهر».

(٢) انظر التبيان للنووي ١٨٩ و ١٩٢.

(٣) التبيان ١٩١.

(٤) الإتيقان ١ / ٢٩٨.

(٥) انظر لسان العرب ٣ / ٢١٤٧.

(٦) انظر ديوان النابغة الذبياني ص ٧٣.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَّدُ

وتكون سُمِّيتَ بذلك لارتفاعها؛ لِأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى (١).

وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه (٢).

وفي اصطلاح العلماء: جملة من القرآن مستقلة، أقلها ثلاث آيات مسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ، تذكر بذلك الاسم وتشتهر به (٤).

فائدة (٧٩): معرفة بداية السورة ونهايتها أمر توقيفي عن النبي ﷺ وقد ورد في ذلك نصوص عديدة، من ذلك ما أخرجه أبو داود (٥) في سننه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا يعرف فصل السور حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّقَاعِ» (٦). قال البيهقي (٧): «وهذا يشبه أن يكون أراد به تأليف ما نزل من الكتاب: الآيات المتفرقة في سورها، وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ».

(١) الإتيان للسيوطي ١/ ١٥٠.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للرازي ١/ ٣٩١، والكشاف للزمخشري ١/ ٥٩.

(٣) قال السيوطي: «وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك». الإتيان ١/ ١٥٠.

(٤) انظر أقوال العلماء في تعريف السورة من البرهان للزركشي ١/ ٢٦٤، والإتيان للسيوطي ١/ ١٥٠.

(٥) في السنن ح رقم ٧٨٨، وأخرجه الحاكم وصححه الذهبي وأخرجه البزار بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الفوائد ٢/ ٢٩١.

(٦) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٧٣٤، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٧) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٤٧.

فائدة (٨٠): ترتيب الآيات في سورها توقيفي أي بأمر من الشارع<sup>(١)</sup>، لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، لأن الاعتماد فيه على الوحي وتوقيف النبي ﷺ.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار: «ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل - عليه السلام - يقول: «ضعوا آية كذا في مكان كذا»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة - على ما هي عليه الآن في المصحف - توقيف من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٨١): «قال ابن بطال: لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور في القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحج قبل الكهف مثلاً، وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوساً فلمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها، وكان جماعة يصنعون ذلك في القصيدة من الشعر مبالغة في حفظها وتذليلها للسانه في سردها، فمنع السلف ذلك في القرآن فهو حرام فيه»<sup>(٤)</sup>.

(١) والأحاديث في إثبات التوقيف في ترتيب الآيات في السور كثيرة جداً تفوق حد التواتر، منها ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن الزبير قال: قلت لعثمان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أعير شيئاً منه من مكانه.

وأخرج الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شَخَّصَ بصره ثم صَوَّبَهُ، ثم قال: «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ...﴾» [النحل: ٩٠] إلى آخرها.

(٢) انظر البرهان للزركشي ١/ ٢٥٦، والإتقان للسيوطي ١/ ١٧٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٨/ ٦٥٦.

(٤) انظر فتح الباري لابن حجر ١٤/ ٢٠٢.

فائدة (٨٢): أقصر آية في القرآن هي ﴿ طه ﴾ في أول سورة طه، وتليها في ذلك آية ﴿ حم ﴾ وتقع في أوائل سور (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)، ومثلها: ﴿ يس ﴾ وتقع في أول سورة يس.

لا ﴿ مَدَّهَا مَتَانِ ﴾ الرحمن: ٦٤، لأنها سبعة أحرف لفظاً ورسماً وثمانية تقديراً ولا ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ المدثر: ٢١، لأنها كلمتان خمسة أحرف رسماً وكتابة وستة أحرف تقديراً خلافاً لبعضهم.

وأطول كلمة فيه لفظاً وكتابة بلا زيادة ﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ [الحجر: ٢٢] أحد عشر لفظاً ثم ﴿ أَقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ [التوبة: ٢٤]. عشرة وكذا ﴿ أَنْزَلْنَاكُمْ مَوَاهِجًا ﴾ [هود: ٢٨]. ﴿ وَالْمُسْتَضَعِفِينَ ﴾ [النساء: ٧٥]، و﴿ لَيْسْتَ خَلْفَنَاهُمْ ﴾ [النور: ٥٥] عشرة لفظاً وأحد عشر تقديراً.

أطول آيات القرآن الكريم آية «الدين»، ورقمها (٢٨٢) من سورة البقرة، وهي مائة وثمان وعشرون كلمة، وخمسمائة وأربعون حرفاً.

فائدة (٨٣): هناك سور تحمل أسماء أنبياء هي: (يونس - هود - يوسف - إبراهيم - محمد - نوح).

وقد ورد في القرآن الكريم أسماء (٢٥) نبياً ورسولاً، وهم: (آدم - إدريس - نوح - هود - صالح - إبراهيم - لوط - شعيب - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - أيوب - اليسع - ذو الكفل - إلياس - يونس - موسى - هارون - داود - سليمان - زكريا - يحيى - عيسى - محمد ﷺ).

فائدة (٨٤): الاستعاذة: هي قول القارئ في مستهل تلاوته: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) امثالاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(١)</sup> [النحل: ٩٨].

وهي مستحبة عند جمهور العلماء واجبة عند البعض<sup>(٢)</sup>، وهي ليست من القرآن في أول التلاوة بالإجماع<sup>(٣)</sup>. والمختار في صيغتها (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) كما أتى في سورة النحل، وإن كان لا حرج على القارئ في الإتيان بأي صيغة من صيغ الاستعاذة التي قال بها القراء وذلك نحو: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)<sup>(٤)</sup>.

«قال الحلواني في جامعه: ليس للاستعاذة حد ينتهي إليه، من شاء زاد ومن شاء نقص»<sup>(٥)</sup>.

فائدة (٨٥): البسمة: مصدر بسمل أي قال: بسم الله، نحو: حوقل، وحيعل، هلل، وحمدل، أي: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا إله إلا الله، والحمد لله.

(١) وتقدير الآية: فإذا أخذت في قراءة القرآن فاستعد، أي قبل القراءة لأنه وسيلة والوسائل مقدمة. وقد نقل ابن القاصح - شارح الشاطبية - الإجماع على أن الاستعاذة تكون قبل القراءة. سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي ص ٢٦.

(٢) وهو مذهب الثوري وعطاء، وقال ابن سيرين: «إن تعوذ مرة واحدة في عمره كفى في إسقاط الواجب». انظر التبيان للنووي ص ٥٨، والمبسوط للسخي ١/١٣، والجامع لأحكام القرآن ١/٨٦.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١/٨٦.

(٤) انظر النشر لابن الجزري ١/٢٤٩، والأذكار للنووي ص ٤٤، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٤٩.

(٥) الإتيان للسيوطي ١/٢٩٧.

وهذا شبيهه باب النحت في النسب، أي أنهم يأخذون اسمين فينحتون منها لفظا واحدا، فينسبون إليه كقولهم: حضر مي وعبقي وعبشمي نسبة إلى حضر موت وعبد القيس وعبد شمس. قال عبد يغوث بن وقاص الحارثي في يائته:

وتضحكُ مني شيخُةُ عبشميةُ كأن لم تري قبلي أسيراً يمانياً<sup>(١)</sup>

وقد جاءت في الشعر، قال عمر بن أبي ربيعة:

لقد بسملت ليل غداة لقيتها ألا حبذا ذاك الحبيبُ المبسولُ<sup>(٢)</sup>

فائدة (٨٦): إن لفظ الجلالة (الله) مختص بخواص لم توجد في سائر أسماء الله تعالى: فالخاصية الأولى أنك إذا حذفت الألف من قولك «الله» بقي الباقي على صورة «له» مختص به سبحانه كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٤] وإن حذفنا عن هذه البقية اللام الأولى بقيت البقية على صورة «له» كما في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣] فإن حذفنا اللام الباقية كانت البقية هي قولنا «هو» وهو أيضا يدل عليه سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وقوله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥] والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية والجمع فإنك تقول هما وهم فلا تبقى الواو فيهما فهذه الخاصية موجودة في لفظ «الله» غير موجودة في سائر الأسماء، وكما حصلت هذه الخاصية بحسب اللفظ فقد حصلت أيضا بحسب المعنى، فإنك

---

(١) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، والبيت في الحجة للقراء السبعة، للحسن بن عبد الغفار الفارسي ٩٣/١.

(٢) البيت في الأمالي لإساعيل بن القاسم القالي ٢/٢٧٠.

إذا دعوت الله يارحمن فقد وصفته بالرحمة وما وصفته بالقهر وإذا دعوته بالعليم فقد وصفته بالعلم وما وصفته بالقدرة، وأما إذا قلت يا الله فقد وصفته بجميع صفاته لأن الإله لا يكون إلها إلا إذا كان موصوفا بجميع الصفات، فثبت أن قولنا «الله» قد حصلت له هذه الخاصية التي لم تحصل لسائر الأسماء.

فائدة (٨٧): حاصل الكلام في البسملة: أن التي في سورة النمل لا خلاف في كونها بعض آية من القرآن في قوله: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، كما أنه لا خلاف في التي أول براءة أنها ليست منه، وإنما الخلاف في التي في أوائل السور، فعند الشافعي أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة<sup>(١)</sup>، واستدل الشافعي على ذلك بأدلة كثيرة<sup>(٢)</sup>، هذا إلى جانب أنه من أهل مكة وهم يثبتونها بين السورتين، ويعودونها من أول الفاتحة آية، وهو قرأ على إسماعيل القسط عن ابن كثير، فاعتمد على قراءة ابن كثير، لأنها متواترة بالنسبة إليه وإلى أهل مكة.

وعند مالك أنها ليست آية من القرآن ولا من كل سورة<sup>(٣)</sup> لأنها لم تتواتر في أوائل السور، وما لم يتواتر فليس بقرآن عنده.

وعند أبي حنيفة أنها آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور ليست من الفاتحة ولا من غيرها<sup>(٤)</sup>، وعند أحمد وأبي ثور أنها آية من الفاتحة فقط، لا من كل سورة.

---

(١) بلا خلاف عنده ولا عند أصحابه. انظر الأم للشافعي ١/١٠٧، والمجموع شرح المهذب للنووي ٣/٢٦٦.

(٢) انظر ذلك في المجموع للنووي ٣/٢٦٦ والبيهقي في السنن ٢/٤٤، وصحيح ابن خزيمة ١/٢٤٨.

(٣) انظر الإشراف على مسائل الخلاف للقاضي عبد الوهاب البغدادي ١/٧٥.

(٤) انظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ١/١٦٠، والبحر الرائق ١/٣٣٠.

فائدة (٨٨): حكم البسملة عند افتتاح القراءة بأول السورة: لا خلاف بين

القراء عامة في الوجوب<sup>(١)</sup> وذلك لثبوتها بالمصحف باستثناء سورة براءة<sup>(٢)</sup>.

أما حكم البسملة عند افتتاح القراءة بغير أول السورة: فالقارئ مخير بالإتيان بالبسملة أو عدم الإتيان بها والإتيان بها أفضل أما إذا كان في أول الآية ذكر الشيطان أو ضمير يعود عليه فيختار القارئ عدم الإتيان بالبسملة أو قطع البسملة عن ما بعدها.

فائدة (٨٩): حكم البسملة عند الجمع بين السورتين أي عند انتهاء القارئ

من قراءة السورة السابقة وشروعه في قراءة السورة اللاحقة، في هذه الحالة يجوز للقارئ ثلاثة وجوه اختيارية والأوجه هي:

الأول: قطع الجميع: بأن يقف على آخر السورة، ثم يقف على البسملة، ثم

يبدأ بأول السورة التالية.

الثاني: وصل الجميع: بأن يصل آخر السورة بالبسملة، ويصل البسملة بأول

السورة التالية.

---

(١) إلا ما جاء في قراءة حمزة وكذا خلف بوصل آخر السورة بأول التي تليها من غير بسملة، لأن القرآن عندهما كالسورة الواحدة. انظر النشر ١ / ٢٦٤، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٦١.

(٢) عن ابن عباس قال: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لِمَ لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: «لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان» أخرجه الحاكم في المستدرک ٢ / ٣٣٠. قال الشاطبي في حرز الأماني ص ٩: ومهما تصلها أو بدأت براءةً لتنزيلها بالسيف لست بمسولاً

الثالث: قطع الأول ووصل الثاني بالثالث: بأن يقف على آخر السورة، ثم يبسمل ويصل بالبسملة بأول السورة التالية.

فائدة (٩٠): «وأخرج أبو داود والترمذي حديث من قرأ والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى إلى آخرها أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله. وأخرج أحمد وأبو داود عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال: سبحان ربي الأعلى. وأخرج الترمذي والحاكم عن جابر قال خرج رسول الله ﷺ على الصحابة فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٩١): فواتح السور: هي الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم. وعدد حروف فواتح السور مكررة (٧٨) حرفاً وعددها غير مكررة (١٤) حرفاً. وقد وقعت الحروف المقطعة في مستهل (٢٩) سورة هكذا: ﴿الْم﴾ البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة. و﴿الْمَص﴾ في الأعراف. و﴿الر﴾ في يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر. و﴿المَر﴾ في الرعد. و﴿كَمِهَيْصَ﴾ مريم. و﴿طه﴾ في طه. و﴿طَسَمَ﴾ الشعراء، القصص. و﴿طَسَ﴾ في النمل. و﴿يَسَ﴾ في يس. و﴿صَ﴾ في ص. و﴿حَمَ﴾ غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف. و﴿حَمَ \* عَسَقَ﴾ الشورى. و﴿قَ<sup>ع</sup> وَالْقُرْءَانَ الْمَجِيدِ﴾ في ق. و﴿تَ<sup>ع</sup> وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ في القلم.

(١) الإتيان للسيوطي ١/ ٣٠٠.

فائدة (٩٢): لا تُقرأ هذه الحروف كالأسماء مثل باقي الكلمات، بل تُقرأ واحدة واحدة بصورة متقطعة، ومن أجل ذلك سميت بالحروف المقطعة. فنطق ﴿المر﴾ بهذه الكيفية: (ألف لام ميم)، ونطق ﴿طسم﴾ بهذه الكيفية: (طا سين ميم)، وهكذا بالنسبة للبقية، مع ملاحظة تسكين الأواخر باستمرار.

فائدة: ومد هذه الحروف كالاتي:

١- الألف لا تمد لأن وسطها ليس حرف مد.

٢- الحروف: (ن، ق، ص، ع، س، ل، ك، م) تمد مداً لازماً بمقدار ست حركات، إلا أن في (ع) في مريم والشورى وجهين اثنين، هما المد والتوسط، ولكن المد هو المقدم.

٣- الحروف: (ح، ي، ط، ه، ر) تمد مداً طبيعياً بمقدار حركتين.

فائدة (٩٣): معاني الحروف المقطعة<sup>(١)</sup>: ذكر العلماء في تأويل الحروف المقطعة تأويلات كثيرة، والأقرب - والله أعلم - أن معناها التحدي بأن هذا القرآن المعجز مؤلفة كلماته وجمله من الحروف نفسها التي نظم بها العرب أشعارهم وألفوا بها خطبهم، فهذه الحروف هي مادة القرآن الكريم، ومع وجود هذه المادة بين أيديهم هم عاجزون عن الإتيان بمثله<sup>(٢)</sup>، ومما يؤيد هذا المعنى أن هذه الحروف

---

(١) وقد عني بعض القدماء بإفراد مؤلف للبحث في هذه الحروف، منها «رسالة في أسرار الحروف التي في أوائل السور القرآنية» لابن سينا، و«الحروف المقطعة في أوائل السور» لأبي سعيد الخادمي، وغيرهما. أما المتأخرون فقد تناولوها بالدراسة والبحث وكل ذلك يدور في فلك النظريات والتفسيرات الاجتهادية فقط.

(٢) ومما يعزز ذلك أنه لم يثبت عن العرب ما يشير إلى عدم فهمهم لمعاني الحروف المقطعة، فلو كانوا يجهلون ذلك لظهر منهم من يسأل عن أسرارها وحقيقتها، وكان فيها فرصة =

المقطعة كانت عادة تتبع بإشارات دالة موحية إلى القرآن الكريم، نحو: ﴿الْمَ \*  
 ذَلِكَ الْكِتَابُ لَارِيبٍ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢] ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ \*  
 بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ١-٢].

فائدة (٩٤): قال الزركشي<sup>(١)</sup>: «وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل  
 السور على قولين أحدهما أن هذا علم مستور وسر محبوب استأثر الله به ولهذا  
 قال الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور، قال  
 الشعبي إنها من المتشابهة نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل، قال  
 الإمام الرازي وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله  
 ما لا يفهمه الخلق لأن الله تعالى أمر بتدبره والاستنباط منه وذلك لا يمكن إلا مع  
 الإحاطة بمعناه ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه في الأفعال فلم لا يجوز في  
 الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه وتارة بما لا نقف على معناه  
 ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم. القول الثاني أن المراد منها معلوم  
 وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهاً فمنها البعيد ومنها القريب».

فائدة (٩٥): قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: قلت: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور  
 بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي: ال م س ر ك ه ي ع ط ص ح

---

= وذريعة لليهود وغيرهم، في اختلاق الشبهات للطعن في القرآن بحجة طلسمية آياته  
 بالنسبة لفهم الناس، فكيف يكون ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل  
 عمران: ١٣٨].

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨.

ق ن يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر»<sup>(١)</sup>. وهي نصف الحروف عدداً، والمذكور منها: أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف.

فائدة (٩٦): قال ابن القيم<sup>(٢)</sup> في معرض ذكره لأسرار الحروف المقطعة: وسر آخر: وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح. وإذا أردت زيادة إيضاح هذا: فتأمل ما اشتملت عليه سورة «ص» من الخصومات المتعددة: فأولها: خصومة الكفار مع النبي ﷺ ﴿أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا﴾ إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخصم أهل النار، ثم اختصام الملائة الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم تخصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم، ثم خصامه ثانياً في شأن بنيهِ: حلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم. فليتأمل اللبيب الفطن: هل يليق بهذه السورة غير «ص» وسورة «ق» غير حرفها. وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف.

### تعريف الآية:

فائدة (٩٧): الآية لغة: تطلق على المعجزة، والعلامة<sup>(٣)</sup>، والعبارة، والأمر

العجيب<sup>(٤)</sup>، والجماعة<sup>(٥)</sup>، والبرهان<sup>(٦)</sup>.

(١) أو قولك: «صُن سرّاً يقطعك حمله».

(٢) بدائع الفوائد ٣ / ٦٩٢ - ٦٩٣.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

(٤) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وهي الولادة دون الفحل.

(٥) تقول: خرج القوم بأيّتهم، أي: بجماعتهم، ومنه آية القرآن؛ لأنّها جماعة الحروف. مجمل اللغة لابن فارس ١ / ١٠٦.

(٦) انظر مجمل اللغة لابن فارس ١ / ١٠٦، ولسان العرب مادة (أيا) ١ / ١٨٥، والبرهان للزركشي ١ / ٢٦٦.

واصطلاحاً: طائفة من كلمات القرآن مفصولة ومميزة عما قبلها وما بعدها بفاصل<sup>(١)</sup>.

وهو توقيفي لا مجال للقياس فيه كما لا يخفى، قال الزمخشري: الآيات علم توقيفي، لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدوا ﴿الْمَ﴾ آية حيث وقعت، ولم يعدوا ﴿الْمَرَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقيل بل منه ما هو بالقياس، ولا محذور فيه لعدم الزيادة والنقصان. وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل، والوقف على كل كلمة جائز، ووصل كل كلمة جائز.

فائدة (٩٨): الفاصلة: هي الكلمة التي تكون آخر الآية. وهي كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر، وتجمع على فواصل<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٩٩): معرفة الآيات تتوقف على النقل والسماع، فما كان رسول الله ﷺ يقف عليه دائماً عدّه الصحابة آية، وما وصله دائماً فليس بآية، وما كان يقف عليه مرة ويصله أخرى اختلفوا في عدّه واعتباره آية.

قال المسور بن مخرمة لعبد الرحمن بن عوف: «يا خال أخبرنا عن قصتكم يوم أحد؟ قال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا».

فائدة (١٠٠): عدد آيات القرآن عند الإمام نافع (٦٢١٧) آية؛ وعند الإمام شيبه (٦٢١٤) آية؛ وعند العلماء المصريين (٦٢٢٦) آية؛ وحسب رواية أنها عند

---

(١) البرهان للزركشي ١/٢٦٦، والإتقان للسيوطي ١/١٨٧، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١/١٠٥.

(٢) الإتقان للسيوطي ١/١٨٨.

(٣) انظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن للشيخ طاهر الجزائري ص ١٩٨.

ابن عباس (٦٢١٦)، إلا أن الجمهور متفق على العدد الذي اتفق عليه الكوفيون وهو (٦٢٣٦) آية حيث رُقمت جميع المصاحف المطبوعة في أنحاء العالم على حسب هذا الرقم. وأما الرقم (٦٦٦٦) الشائع بين الناس ما هو إلا رقم تقريبي لا أساس له أطلق بهدف تسهيل حفظه من قِبَل الصُّغار. علماً بأن ما سبق من اختلاف عدد آي الذكر الحكيم متعلق بتقييم الآيات القرآنية وحسب، ولا اختلاف في مجمل القرآن أبداً.

فائدة (١٠١): الاختلاف بين العلماء حول عدد آي الذكر الحكيم يرجع ذلك إلى أن جمهور العلماء عدوا البسملة التي في فواتح السور آية من القرآن الكريم، إلا أنهم اختلفوا في: هل البسملة آية من السورة التي افتتحت بها السورة أم لا؟ فعلماء المذهب الشافعي عدّوا البسملة آية من السورة التي افتتحت بها، إلا أن علماء المذهب الحنفي لم يعدّوها آية منها، بل ذهبوا إلى أن البسملة آية مستقلة عن تلك السورة، وأنها أنزلت للفصل بين السور وللتبرك بها. إلى جانب أن بعض العلماء يرى الحروف المقطّعة التي في فواتح السور كـ (يس، حم، ألم، ألر، طه...) آيات مستقلة، ويرى آخرون أنها جزء وكلمة من الآية الأولى من السورة. وكذلك عدّ بعض العلماء الآيات الطويلة آية واحدة بينما عدّها آخرون آيتين أو ثلاث آيات.

فائدة (١٠٢): ويترتب على معرفة الآي وعدّها وفواصلها أحكام فقهية منها: اعتبارها فيمن جهل بالفاتحة، فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات، ومنها اعتبارها في حُطبة الجمعة فإنه يجب عليه قراءة آية كاملة ولا يكفي شطرها، ومنها اعتبارها في السورة التي تقرأ في الصلاة وما يقوم مقامها، ومنها اعتبارها في جواز الوقف عليها عند القراءة<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفصيل ذلك من الإتيان للسيوطي ١/١٨٨، ومناهل العرفان للزرقاني ١/٢٣٩.

فائدة (١٠٣): أما عدد كلمات المصحف وحروفه فقد قال السيوطي<sup>(١)</sup> معلقا على الأقوال التي عدت كلماته وحروفه بقوله: «والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الألفان وعد الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار وأوسع القول في ذلك فراجع منه، فإن كتابنا موضوع للمهمات لا مثل هذه البطالات. وقد قال السخاوي: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك».

فائدة (١٠٤): «قال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>». «وقال الكيرماني: ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ<sup>(٣)</sup>». «واستدلوا على ذلك بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يُخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، ولكنهم عدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعا<sup>(٤)</sup>».

فائدة (١٠٥): هل ترتيب السور توقيفي أم بالاجتهاد؟ ففي كونه اجتهاديا<sup>(٥)</sup>

---

(١) الإتيقان ١/ ١٩٧.

(٢) البرهان للزركشي ١/ ٢٥٨.

(٣) البرهان للزركشي ١/ ٢٥٩.

(٤) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٢٤٥.

(٥) وقد نسب هذا القول إلى الإمام مالك بن أنس والقاضي الباقلاني وجماعة. انظر نكت الانتصار لنقل القرآن ص ٨٢، والبرهان ١/ ٢٥٧، وفتح الباري ٨/ ٦٥٥.

أو توقيفياً خلافاً، والجمهور على أنه توقيفي<sup>(١)</sup>، فما وضعت سورة في مكانها إلا بأمر النبي ﷺ وتوجيهه<sup>(٢)</sup>. ولأن اختلاف المصاحف في الترتيب كان قبل العلم بالتوقيف فلما عُلِمَ التوقيف انصاع الجميع وخضع لترتيب عثمان رضي الله عنه، ولذلك كان الأخذ بترتيب المصحف العثماني والالتزام به في كتابة المصحف واجبا لا محيص عنه، والإجماع حجة ومصدر من مصادر التشريع<sup>(٣)</sup>.

فائدة (١٠٦): هناك رأي يقول إن هذا الترتيب تم باجتهاد الصحابة، بدليل أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد

(١) قال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب. البرهان ١/ ٢٥٨.

(٢) ومما يدل على أن الترتيب كان معروفاً ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، إنهم من العتاق الأول، وهن من تلاميذ. فذكر ابن مسعود السور نَسَقاً كما استقر ترتيبها.

وقوله ﷺ: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل» رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ١/ ١٣٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٤٧٥.

«ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاءً، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاءً». الإتيان ١/ ١٧٩. وكذلك ما راعاه العلماء الأئمة في بحوثهم من التزام بيان أوجه التناسب بين كل سورة وما قبلها، وبيان وجه ترتيبها.

(٣) قال الزركشي: «والخلاف بين الفريقين في ترتيب السور لفظي لأن القائل بعدم صدوره من النبي ﷺ يقول إنه رمز لهم بذلك والثاني يقول إنه صرح لهم به، ولذلك قال مالك إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ». البرهان ١/ ٢٥٧، قال السيوطي: «وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير». الإتيان ١/ ١٧٧.

قال السيوطي في الإتيان ١/ ١٧٩: «والذي يشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأفبال ولا ينبغي أن يستدل بقراءة ﷺ سورا ولاءً على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ولعله فعل ذلك لبيان الجواز».

عثمان فمثلاً كان مصحف أبي بن كعب مبدوءاً بالفاتحة ثم البقرة ومصحف ابن مسعود كان مبدوءاً بالبقرة ثم النساء ومصحف علي كان مرتباً على النزول فأوله اقرأ ثم المدثر<sup>(١)</sup> ولكن الصحيح والمؤكد أن هذه الروايات لا تصمد أمام الروايات التي أكدت أن ترتيب القرآن كان بوحي من الله العلي الحكيم. وقد أجاب العلماء عن اختلاف ترتيب بعض مصاحف الصحابة ووضحوا أن ذلك مجرد تدوين الصحابي لنفسه وبصورة فردية غير ملزمة لغيره بل إن هذه الصحف وجدت بها قراءات تفسيرية معينة وقد علّل صاحب كتاب المباني اختلافهم في الترتيب بقوله إن الواحد منهم إذا حفظ سورة أنزلت أو كتبها ثم خرج في سرية فنزلت في وقت تغيبه، سورة، فإنه كان إذا رجع أخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته فيتبع ما فاتته على حسب ما يستهل له، فيقع فيما يكتبه تقديم وتأخير.

ويؤكد هذا الأمر، أن سور القرآن لو لم يكن ترتيبها توقيفياً لما أمكن إجماع الصحابة كلهم على هذا الترتيب المنقول إلينا منذ جمع القرآن ونسخه في المصحف الإمام وتعميمه في جميع الأمصار ولهذا التزم جميع الصحابة بهذا الترتيب وقاموا بحرق مصاحفهم. والعمدة في ترتيب سور القرآن أن الصحابة رضوان الله عليهم قد حفظوا في الصدور هذا الترتيب - قبل مصحف عثمان - فالحفظ هو المعتمد الأكبر لهذا الترتيب والتوثيق، وهذا أمر تم في عهد الرسول أولاً ثم أصبح رسمياً معلناً في عهد عثمان رضي الله عنه وذلك على الترتيب المسموع من النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر مناهل العرفان ١/ ٣٥٣.

(٢) انظر مزيد بيان ذلك من غرائب القرآن وورائب الفرقان للنيسابوري ١/ ٢٤ - ٢٥،

والبرهان للزركشي ١/ ٢٦٢، ومناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٥٤.

فائدة (١٠٧): قال الفخر الرازي في تفسيره<sup>(١)</sup>: قوله: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ يدل على أن القرآن وما هو عليه من كونه سوراً هو على حد ما أنزله الله تعالى بخلاف قول كثير من أهل الحديث: إنه نظم على هذا الترتيب في أيام عثمان فلذلك صح التحدي مرة بسورة ومرة بكل القرآن.

«قال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله وفي اللوح المحفوظ وهو على هذا الترتيب كان يعرض عليه السلام على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين»<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: «وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصاحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ، وأما ما روي من اختلاف مصحف أبي وعلي وعبد الله فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول الله ﷺ رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (١٠٨): لقد ألف العلماء تأليف خاصة تعنى بالتناسب الفني بين سور القرآن وآياته وبينوا أسرار هذا الترتيب ولطائفه وقالوا من تأمل في لطائف نظم السور وبديع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو - أيضاً - بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل تفسير المراغي من التفاسير التي عنيت ببيان أوجه الترابط البديع بين السور والآيات.

وعدد سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، افتتحها سبحانه وتعالى بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها، وهي:

(١) مفاتيح الغيب ١ / ٣٩١.

(٢) انظر البرهان للزركشي ١ / ٢٥٩، والإتقان ١ / ١٧٧.

(٣) تفسير القرطبي ١ / ٥٩.

١- الاستفتاح بالثناء، مثل: الحمد لله، وتبارك، وسبحان، وسبح،  
ويسبح لله.

٢- الاستفتاح بحروف التهجي: مثل الم، المص، الر، وذلك في ست  
وعشرين سورة.

٣- الاستفتاح بالنداء، وذلك في عشرين سورة، مثل: مفتتح النساء، والمائدة  
والأحزاب.

٤- الاستفتاح بالجمل الخبرية، في ثلاث وعشرين سورة، مثل، مفتتح النحل  
والأنبياء.

٥- الاستفتاح بالقسم، وذلك في خمس عشرة سورة، مثل: مفتتح الضحى  
والليل والشمس.

٦- الاستفتاح بالشرط، في سبع سور، مثل: مفتتح التكوير والانفطار  
والانشقاق.

٧- الاستفتاح بالأمر، في ست سور، مثل: مفتتح الجن والأعلى والإخلاص  
والمعوذتين.

٨- الاستفتاح بالاستفهام، في ست سور، مثل: الإنسان والنبأ والغاشية  
والفيل.

٩- الاستفتاح بالدعاء، في ثلاث سور وهي المطففين، والهمزة، والمسد.

١٠- الاستفتاح بالتعليل، في موضع واحد، لإيلاف قريش.

وهذه الافتتاحات فيها من الحسن وبراعة الاستهلال ما فيها.

فائدة (١٠٩): ترتيب الآيات بحسب ورودها المصحفي هو على غير ترتيب النزول، ففي القرآن آيات مدنية نزلت بعد الهجرة قد ألحقت بآيات مكية نزلت قبل الهجرة. فقد كان ﷺ إذا نزل عليه من القرآن شيء أمر كتاب الوحي أن يلحقوا الآية الموحة إليه بسورة كذا في موضع كذا. وبهذا كان يرتب الآيات والسور.

فائدة (١١٠): الأخذ بالترتيب في التلاوة ليس بواجب بل هو مستحب، وكره الإمام مالك مخالفة ترتيب المصحف في الصلاة وغيرها، وأما تعليم الصبيان بدءاً بقصار السور فأمر حسن، تسهلاً عليهم وتدرجاً من السهل إلى الصعب، ومن السور القصار إلى الطوال.

فائدة (١١١): كلام الله من حيث كونه كلام الله، لا يفضل بعضه بعضاً، بل إنَّ أيَّ آية منه من حيث نسبتها إلى الله تعالى، تعادل في شرفها أيَّ آية أخرى، فليس في القرآن فاضل ومفضول من هذه الناحية بالاتفاق. أما إذا نظرنا إلى النواحي الأخرى، فيمكن أن يفضل بعض الآيات بعضاً.

فائدة (١١٢): إن القول بوجود الفاضل والمفضول في آيات القرآن الكريم كما في شرح النقاية: هو الصواب، الذي ذكره ابن عبد السلام والأكثر من مثل إسحاق بن راهويه وابن العربي<sup>(١)</sup>، لورود النصوص بالترتيب، كحديث: «أعظم

---

(١) «وقال قوم بالترتيب، وأن ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ إِلَهًُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس موجوداً مثلاً في ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] وما كان مثلها. والترتيب إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها، لا من حيث الصفة، وهذا هو الحق. وانظر الإتقان ٤/ ١١٨ - ١١٩.

ومن قال بالترتيب إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين، وهو اختيار القاضي أبي بكر بن العربي وابن الحصار، لحديث أبي سعيد بن المعلى وحديث أبي بن =

آية في القرآن آية الكرسي» وحديث «سيدة آي القرآن آية الكرسي، وسنام القرآن البقرة» وغير ذلك من الأحاديث.

وانقسام القرآن إلى فاضل ومفضول بمعنى أن آياته وسوره بعضها أفضل من بعض في الأجر والثوبة كسورة (الإخلاص) فإنها أفضل من سورة (تبت يدا أبي لهب) أي أكثر أجراً منها قراءة.

ومثل أن بعض الآيات تزيد على ذلك بخواص أخرى كحصول الحفظ لقارئها كآية الكرسي، أو التحصين له كالمعوذتين، وللرقية كالفاتحة وغير ذلك مما هو معروف.

فائدة (١١٣): «قال الغزالي في جواهر القرآن: لعلك أن تقول قد أشرت إلى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يتفاوت بعضها بعضاً وكيف يكون بعضها أشرف من بعض؟ فاعلم أن نور البصيرة إن كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات وبين سورة الإخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة ﷺ، فهو الذي أنزل عليه القرآن، وقال: «يس قلب القرآن»، و«فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن»، و«آية الكرسي سيدة آي القرآن»، و«قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى. وقال ابن الحصار: العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل. وقال الشيخ عز الدين بن

---

= كعب أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا أي آية معك في كتاب الله أعظم» قال فقلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر» أخرجه البخاري ومسلم. قال ابن الحصار: عجبني ممن يذكر الاختلاف مع هذه النصوص». تفسير القرطبي ١/ ١١٠.

عبد السلام: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب»<sup>(١)</sup>.

فائدة (١١٤): «قال ابن المنير: اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل عليه آية من أسماء الله تعالى، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكناً في بعض وهي الله وهو الحي القيوم، ضمير لا تأخذه وله وعنده وبإذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤوده، ضمير حفظهما المستتر الذي هو فاعل المصدر وهو العلي العظيم. وإن عدت الضمائر المتحملة في الحي القيوم العلي العظيم، والضمير المقدر قبل الحي على أحد الأعراب صارت اثنين وعشرين»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١١٥): حكمة تقسيم القرآن إلى سور وآيات: منها: أن القارىء إذا ختم سورة أو جزءاً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله. ومنها: أن الحافظ إذا حدّق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة، فيعظم عنده ما حفظه، ومنه حديث أنس: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلَّ فينا»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (١١٦): أقسام سور القرآن الكريم: سور القرآن الكريم أربعة أقسام، هي:

الطَّوَالُّ: وهي أطول سبع سور في القرآن الكريم، وهي: «البقرة» و«آل عمران» و«النساء» و«المائدة» و«الأنعام» و«الأعراف» و«التوبة». والمثون: وهي

(١) انظر الإتقان للسيوطي ١١٧/٤.

(٢) الإتقان للسيوطي ١٢٢/٤ - ١٢٣.

(٣) انظر الكشاف للزخشري ٥٨/١، والبرهان للزركشي ٢٥٦/١، والإتقان للسيوطي ١٨٧/١.

السور التي تزيد آياتها على مائة آية أو تقاربها. والمثاني: وهى التي تلي المئين في عدد الآيات. والمفصل: سور المفصل تبدأ من أول سورة (ق) إلى نهاية القرآن، وسميت بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.

فائدة (١١٧): قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «نظم علي بن محمد بن الغالي أرجوزة في القرائن والأخوات ضمنها السور التي اتفقت في عدة الآي كالفاتحة والماعون والرحمن والأنفال وكيوسف والكهف والأنبياء».

أما سورتي الفاتحة والماعون فقد اتفقتا في عدد الآيات فكلاً منهما (٧) آيات وكذلك سورتي القصص وص كلاً منهما (٨٨) آية، وفاطر وق كل منهما (٤٥) آية. وأما سورتي الرحمن والأنفال فلم يتفقا في عدد الآيات ولكن تقارباً، فسورة الرحمن آياتها (٧٨) آية، والأنفال (٧٥) آية. ومثلها الكهف (١١٠) آية ويوسف (١١١) آية والأنبياء (١١٢) آية.

فائدة (١١٨): سجدة التلاوة: سجدة تسن عند تلاوة بعض آيات القرآن الكريم، أو سماعها، وهذه الآيات خمس عشرة، وهى: (الأعراف ٢٠٦)، (الرعد ١٥)، (النحل ٤٩ - ٥٠)، (الإسراء ١٠٩)، (مريم ٥٨)، (الحج ١٨)، (الحج ٧٧)، (الفرقان ٦٠)، (النمل ٢٦)، (السجدة ١٥)، (ص ٢٤)، (فصلت ٣٨)، (النجم ٦٢)، (الانشقاق ٢١)، (العلق ١٩).

علماً بأن السجدة الثانية في سورة الحج، والسجدات الواردة في سورة ص، والنجم، والانشقاق، والعلق موضع خلاف بين العلماء. وللدلالة على موضع السجدة يوضع شكل محراب في نهاية الآية، وتكتب كلمة «سجدة» على الحاشية.

(١) الإتيقان ١/١٩٥.

## الأحرف السبعة في القرآن:

فائدة (١١٩): الأحرف السبعة: يعد هذا المبحث من أهم المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم. وقد اختلف العلماء كثيراً حول المراد بالأحرف السبعة الوارد في الأحاديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»<sup>(١)</sup> حتى عدوه من المشكل المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، حتى أن السيوطي أورد في كتابه الإيتقان أربعين قولاً<sup>(٢)</sup> في تفسير الأحرف السبعة<sup>(٣)</sup>.

والحرف في أصل كلام العرب معناه: الطرف والجانب، وحرف السفينة والجبل جانبها. والأحرف السبعة: هي سبعة أوجه فصيحة من اللغات والقراءات أنزل عليها القرآن الكريم.

(١) روى البخاري ٣/١١٧٧، ومسلم ١/٥١٦ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة «الفرقان» في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئها رسول الله ﷺ فكادت أساوره - أي أثب عليه - في الصلاة، فصبرت حتى سلم، فلببته بردائه - أي أمسك بردائه من موضع عنقه - فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأ فيها، فقال: أرسله - أي اتركه - اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه». وقد جمع طرق هذه الأحاديث أبو شامة المقدسي في كتابه المرشد الوجيز.

(٢) لكن بعضها متهاافت لا تقوم له حجة كما قاله الحافظ المنذري، وباقي الأربعين تتداخل معانيها في بعضها البعض.

(٣) قال السيوطي في كتابه شرح سنن النسائي ٢/١٧٦ عند شرحه الحديث: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»، والمراد به أكثر من ثلاثين قولاً حكيتها في الإيتقان، والمختار عندي أنه من المتشابه الذي لا يدري تأويله.

فائدة (١٢٠): ذهب جمهور الفقهاء والقراء ومنهم الرازي وابن قتيبة<sup>(١)</sup> وابن الجزري إلى أن الأحرف السبعة عزيمة باقية ولم تنسخ<sup>(٢)</sup> واحتجوا لذلك بأن المصاحف العثمانية نقلت عن صحف الصديق المشتملة على الأحرف السبعة وأن الناس مازالوا مختلفين في لهجاتهم.

ولقد اختلف العلماء في بيان المراد من الأحرف السبعة على أقوال كثيرة تجدها مبسطة في المطولات.

فائدة (١٢١): قال ابن جرير الطبري<sup>(٣)</sup>: «فإن قال من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة؛ لأن القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشك من قراءة الأمة، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين».

فائدة (١٢٢): يقول الإمام الداني: «وجملة ما نعتقده من هذا الباب ونذهب إليه ونختاره أن القرآن منزل على سبعة أحرف، كلها شاف كاف وحق وصواب، وأن الله تعالى قد خير القراء في جميعها، وصوبهم إذا قرؤوا بشيء منها، وأن هذه الأحرف السبعة المختلف معانيها تارة وألفاظها تارة مع اتفاق المعنى ليس فيها تضاد، ولا تناف للمعنى، ولا إحالة ولا فساد، وأنا لا ندرى حقيقة أي هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض، أو آخر العرض كان ببعضها دون جميعها، وأن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ،

(١) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٩.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ / ٢١.

(٣) جامع البيان عن تأويل القرآن ١ / ٤٩

وضبطتها الأمة على اختلافها عنه وتلقته منه، ولم يكن شيء منها مشكوكا فيه ولا مرتابا به».

«وأخرج ابن أخته في المصاحف وابن أبي شيبة في فضائله من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال: القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم»<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٢٣): «قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لحشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سورة على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك بعضهم إلى تحطئه بعض، فحشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرص والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت فاقتصر على لغة واحدة»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١٢٤): الأحرف السبعة والقراءات السبع: دلت النصوص على أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات نزل بها القرآن، فالأحرف السبعة ليست هي القراءات السبع المشهورة، التي يظن كثير من عامة الناس أنها الأحرف السبعة<sup>(٣)</sup>.

(١) الإتيان للسيوطي ١/١٤٢.

(٢) الإتيان للسيوطي ١/١٧١.

(٣) قال أبو شامة: «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل» الإتيان للسيوطي ١/١٣٨.

وهذه القراءات السبع إنما عرفت واشتهرت في القرن الرابع، على يد الإمام المقرئ ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) الذي اجتهد في تأليف كتاب يجمع فيه قراءات بعض الأئمة المبرزين في القراءة، فاتفق له أن جاءت هذه القراءات سبعة موافقة لعدد الأحرف<sup>(١)</sup>.

مع أنه هناك ثلاث قراءات بعد القراءات السبع كلها متواترة مشهورة، فتكون القراءات المتواترة إلى النبي ﷺ عشر قراءات فضلاً عن القراءات الشاذة. قال ابن الجزري<sup>(٢)</sup>: «لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين - وإن كان يظنه بعضهم - لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا قد خلقوا ولا وجدوا».

فائدة (١٢٥): قال البغوي (ت ٥١٦هـ) في (شرح السنة): «المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرض على رسول الله ﷺ، فأمر عثمان رضي الله عنه بنسخه في المصاحف، وجمع الناس عليه، وأذهب ما سوى ذلك؛ قطعاً لمادة الخلاف، فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ، والمرفوع، كسائر ما نسخ، ورفع، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم».

فائدة (١٢٦): كان الرسول ﷺ يكتب بهذه الأحرف للقبائل كل بلغته وذلك كقوله لأحد الوافدين عليه (إنا أنطيناك الكوثر) بدلاً من ﴿إِنَّا

---

(١) وقد وجه كثير من العلماء اللوم لابن مجاهد لاقتصاره من بين القراء على سبعة، وإيقاعه الناس في الوهم والتلبيس، ولذا يقول السيوطي نقلاً عن أبي العباس بن عمار: «مسجّ السبعة فعل ما لا ينبغي، وجعل الأمر مشكلاً على العامة باختياره، فظن كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الحديث. وليته إذا اختار نقص عن السبعة أو زاد عليها ليزيل الشبهة» الإتيان ١/ ٢٢٣، وفتح الباري لابن حجر ١٤/ ٢٠٠.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٣.

أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ ﴿١﴾ [الكوثر: ١]، وبلغت الكشكشة (٢) مثل: ( قد جعل ربش  
تحتش سر يا ) وذلك بدلاً من ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْنُكَ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤] ومثل  
ذلك في حديثه ﷺ: «ليس من إمبرم صيامٍ في امسفر» (٣) بدلاً من «ليس من البر  
الصيام في السفر» (٤).

وليس معنى هذا أنه ﷺ أقرأ كل قبيلة القرآن كله، إنما كان يقرؤهم بحسب  
ما تيسر لحفاظهم وما يحتاجون إليه، فالكتابة بالأحرف السبعة لم تكن إلا بين يدي  
هذه القبائل ولأجلها (٥).

فائدة (١٢٧): كُتِّبَ الوحي منذ نزول القرآن في مكة وهم يكتبون بحرف  
قريش، وفي القرآن أكثر من ( ٨٧ ) سورة مكية، وكتاب الوحي كلهم قرشيون  
كتبوا بها وكذلك في الشطر الأول من العهد المدني، ومن هنا كانت الصحف

---

(١) قراءه شاذة قرأ بها الحسن وطلحه وابن يحيى وغيرهم. وتسمى لغة الاستنطاء: وهي  
جعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء، فأعطى يقال فيها أنطى ومنه قوله ﷺ في  
حديث الدعاء: «لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت» وكتب إلى وائل بن حجر:  
«وأنطوا الشج» يريد أعطوا.

(٢) وهي إبدال كاف المخاطبة شينا، فيقولون: أبوش بدلا عن: أبوك.. قال الشاعر:

فعيناش عينها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

(٣) وهي التي أسماها اللغويون (طمطانية حمير) وهي تقابل (أل) التي للعهد عند علماء  
اللغة، يقول الثعالبي: «الطمطانية تعرض في لغة حمير كقولهم طاب امهواء يريدون طاب  
الهواء». خزنة الأدب ٤ / ٢٣٤

(٤) وانظر في ذلك كتاب المرشد الوجيز للمقدسي ص ٩٦ - ٩٧ وفيه قال: «فهم في ذلك  
بمنزلة الألتغ والأرت لا يكلف ما ليس في وسعه، وعليه أن يتعلم ويجتهد».

(٥) قال السيوطي في الإتقان ١ / ١٣٦: «وزاد غيره، أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي بأن  
يغير كل أحد الكلمة بمرادفها في لغته، بل المرعي في ذلك السماع من النبي ﷺ».

البكرية<sup>(١)</sup> نسخة من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ بلغة قريش، وكان المصحف العثماني نسخة منها، ولهذا عزم عثمان على من كان عنده شيء من الأحرف الأخرى أن يحرقها، لكنه لم يمنع صاحبها من قراءة ما سمعه من الرسول ﷺ لأنه قرآن في حقه مستوفٍ للشروط القرآنية.

فائدة (١٢٨): أنه لما كان زمان عثمان رضي الله عنه ووقع الاختلاف بين أهل العراق وأهل الشام في القراءة وأعلمه حذيفة بذلك رأى هو ومن بالحضرة من الصحابة أن يجمع الناس على حرف واحد من تلك الأحرف وأن يسقط ما سواه فيكون ذلك مما يرتفع به الاختلاف ويوجب الاتفاق إذ كانت الأمة لم تؤمر بحفظ الأحرف السبعة وإنما خيّر في أيها شاءت لزمته.

فائدة (١٢٩): الخلاف في المراد من الحروف السبعة قد لا يترتب عليه كبير أثر، بعد أن عرفنا أن الأمة أجمعت على القراءات العشر وأنه لا يجوز القراءة بغيرها.

وقد يكون أثر هذا الاختلاف في أصل هذه القراءات المتعددة ودليلها الذي تستند إليه، فمن قال بنسخ الأحرف السبعة آخر حياة النبي ﷺ قال إن القراءات المتواترة متفرعة كلها عن حرف قريش الذي كتب به عثمان رضي الله عنه المصاحف<sup>(٢)</sup>.

ومن قال إنها عزيمة باقية جعل أوجه القراءات المتواترة متفرعة عن جميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

---

(١) نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) ولا يخفى ما في هذا القول من نظر إذ كيف يتسع حرف قريش للقراءة وضدها؟ كيف يكون عند قريش في لغتهم تحقيق الهمزة وتسهيلها وإسقاطها وإبدالها حرف مد؟.

## ترجمة القرآن:

فائدة (١٣٠): ترجمة القرآن: الترجمة لغة: النقل. وعرفاً: تنقسم إلى قسمين:

- ترجمة تفسيرية: وهي عبارة عن بيان معنى الكلام وشرحه بلغة أخرى من غير تقييد بحرفية النظم ومراعاة أسلوب الأصل وترتيبه.

- وترجمة حرفية: وهي إبدال ألفاظ الأصل بألفاظ أخرى، مرادفة لها من لغة أخرى فليس فيها تصرف في المعنى الأصلي، إنما التصرف في نظمه بمحاولة إبدال لغته بلغة أخرى. فهو خلع ثوب وإبداله بثوب آخر مع كون اللابس واحداً.

وترجمة القرآن ترجمة حرفية بالمثل غير معقولة ولا مقدورة، والعلماء متفقون على عدم إمكانها فضلاً عن وقوعها.

وأما الترجمة التفسيرية: فجائزة اتفاقاً بشرط التثبت في النقل، والتحري لأقوال الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، فيكون تفسيراً موجزاً صحيحاً كافياً قدر المستطاع، ويعتبر بياناً لا قرآناً، وتبليغاً لأحكامه لا معجزاً وتبياناً.

فائدة (١٣١): تفسير القرآن الكريم من العلوم التي فرض على الأمة تعلمها، والترجمة التفسيرية تفسير للقرآن بغير لغته، فكانت أيضاً من الأمور التي فرضت على الأمة، بل هي أكد لما يترتب عليها من المصالح المهمة، كتبليغ معاني القرآن وإيصال هدايته إلى المسلمين، وغير المسلمين ممن لا يتكلمون بالعربية ولا يفهمون لغة العرب، وأيضاً حماية العقيدة الإسلامية من كيد الملحدين، والدفاع عن القرآن بالكشف عن أضراليل المنصرين الذين عمدوا إلى ترجمة القرآن ترجمة حشوها بعقائد زائفة وتعاليم فاسدة، ليُظهروا القرآن لمن لم يعرف لغته في صورة تُنفّر منه وتصدُّ عنه، وكثيراً ما علّت الأصوات بالشكوى من هذه التراجم الفاسدة.

فائدة (١٣٢): ذكر في سبب طلب سيبويه لعلم النحو واللغة بعد أن بدأ طلب التفسير والحديث، أنه سأل يوماً حماد بن سلمة فقال له: أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رُعِف في الصلاة (بضم العين)؟، فقال له حماد: أخطأت إنما هو رَعَف (بفتح العين)، فانصرف إلى الخليل فشكا إليه ما لقيه من حماد فقال له الخليل: صدق حماد، ومثل حماد يقول هذا، ورُعِف بضم العين لغة ضعيفة. وقيل: إنه قدم البصرة ليكتب الحديث ويرويه فلزم حلقة حماد بن سلمة، فبينما هو يستملي على حماد قول النبي ﷺ: ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء. فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء - وخمنه اسم (ليس) - فقال له حماد: لحت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، إنما (ليس) ههنا استثناء فقال سيبويه: سأطلب علماً لا تلحنني فيه، فلزم الخليل وبرع في العلم<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٣٣): بدأت الترجمة التفسيرية للقرآن في مرحلة متقدمة جداً، ففي المبسوط للسرخسي<sup>(٢)</sup> أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتبها لهم.

فائدة (١٣٤): هنالك تراجم للقرآن بالفارسية والتركية ترجمت في القرن الرابع الهجري، وذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن موسى بن يسار الإسواري كان يفسر القرآن بالفارسية. وقال بزرك بن شهريار في كتاب (عجائب الهند والصين): أن القرآن ترجم في سنة ٣٤٥ هـ إلى إحدى لغات شمال الهند. والخواجة عبدالله الأنصاري ترجم وفسر القرآن سنة ٥٢٠ هـ.

---

(١) انظر ذلك في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني ٨٤ / ٤ - ٨٥ والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٦٧ / ٢.

(٢) انظر المبسوط للسرخسي ٣٧ / ١.

هذا وقد بلغت اللغات التي عثر فيها على ترجمة أو تراجم عدة للقرآن (١٢٥) لغة أجنبية.

فائدة (١٣٥): إن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية هي الترجمة اللاتينية التي قام بها روبرتوس كتتنسيس Ketensis وهرمانوس دلماتيا Hermannus بتوجيه من بطرس رئيس دير كلوني في فرنسا. وتمت الترجمة في عام ١١٤٣ م، غير أنها لم تطبع إلا عام ١٥٤٣ م في مدينة (بازل) بسويسرا<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٣٦): مذهب الجمهور هو عدم جواز وصحة القراءة في الصلاة بغير العربية. وذهب صاحباً أبي حنيفة أبو يوسف ومحمد بن الحسن إلى جواز القراءة بالأعجمية في الصلاة عند العجز عن النطق بالعربية فقط، أما ما حكى عن أبي حنيفة من جوازه أيضاً ولو للقادر فقد صح رجوع أبي حنيفة عن هذا القول كما حكاه عنه أبو بكر الرازي وغيره.

قراءة القرآن الكريم في الصلاة فرض (أي ركن من أركان الصلاة) ثابت في القرآن والسنة والإجماع.

وكما هو معروف فإن معنى القرآن: «هو اللفظ المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة». إذن لم ينزل

---

(١) إن المنظمات والهيئات الدولية المهتمة بنشر القرآن الكريم، بذلت مجهودات كبيرة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى جلّ لغات العالم، وعملت على طبعها وتوزيعها، إلا أن هذه الجهود ينبغي أن تدعم بنشر تعليم اللغة العربية في صفوف غير الناطقين بها، علماً بأن الملايين من مسلمي شبه القارة الهندية وتركيا، وجنوب شرق آسيا وأفريقيا مثلاً، يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب دون أن يعرفوا العربية، ولا أن يكتبوا كلمة واحدة، بل منهم من يقرأ القرآن بالقراءات السبع.

معنى القرآن على قلب محمد ﷺ وحسب، بل لفظ القرآن الكريم منزل عليه أيضا. من هنا فإن معنى القرآن المؤدى بألفاظ أخرى غير ألفاظ القرآن الكريم ولو كانت عربية ليس بقرآن. فأى لفظ غير لفظ القرآن الكريم ليس بكلام الله عز وجل بل هو تأويل لما فهمه المترجم. لذلك فإن مفهوم القرآن وفحواه ليس معنى القرآن وحسب، بل اللفظ والمعنى، فاللفظ ركن أي جزء من القرآن الكريم.

فائدة (١٣٧): قد اتفق علماء الأمة على أن الترجمة لا يطلق عليها اسم (قرآن) ولا تعتبر في حكم القرآن. غير أن ترجمة القرآن الكريم، وترجمة معانيه، وترجمة تفسيره، وقراءته، حتى يفهم الإنسان معنى القرآن بشكل عام، والاهتداء بهدي القرآن، وإدراك أوامر الله ونواهيه وهداياته شيء؛ وقراءة هذه التراجم لمعاني القرآن في الصلاة واعتبارها كأنها قرآن شيء آخر. إن القرآن الكريم يقرأ في الصلاة للتعبد به بلفظه الأصلي العربي. أما فهم هدي الله عز وجل وأوامره ونواهيه للبشر، والاستفادة من إرشادات كلام الله فيمكن أن يتيسر من خلال قراءة معاني القرآن وتراجمه وتفسيره بلغة مختلفة ففيها ثوابٌ عظيمٌ وعبادةٌ بشكل عام.

\*\*\*

## الفصل الثاني

الفوائد المتعلقة بنزول القرآن زماناً ومكاناً



## الفصل الثاني

### الفوائد المتعلقة بنزول القرآن زماناً ومكاناً

### المكي والمدني

فائدة (١٣٨): القرآن المكي هو ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة. والقرآن المدني: هو ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة<sup>(١)</sup>.

هذا هو الأصح في تعريفها لأنه تقسيم لوحظ فيه زمن النزول. فهو ضابط حاصر ومطرد لا يختلف<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] مدنية مع أنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع. وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة كالمنزل على النبي ﷺ بمنى وعرفات والحديبية.

والمدني ما نزل بالمدينة ويدخل في المدينة ضواحيها أيضاً كالمنزل عليه ﷺ في بدر وأحد وسَلْع وضواحيها<sup>(٣)</sup>.

وهذا التقسيم والتعريف لوحظ فيه مكان النزول فعلى هذا القول يكون هناك أيُّ في القرآن واسطة فتكون لا مكية ولا مدنية، بأن نزلت في السفر<sup>(٤)</sup> - أي بغير

---

(١) وقد ذهب أصحاب هذا الرأي إلى اعتبار الزمان أساساً في تعريف المكي والمدني. وانظر البرهان ١/ ١٨٧، والإتقان ١/ ٢٣، ولطائف الإشارات ١/ ٢٦.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٨٨.

(٣) وقد ذهب أصحاب هذا الرأي إلى اعتبار المكان أساساً في تعريف المكي والمدني.

(٤) انظر الإتقان للسيوطي ١/ ٢٣.

مكة والمدينة وضواحيها - كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا  
لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ...﴾ [التوبة: ٤٢] فإنها نزلت في تبوك.

فائدة (١٣٩): قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «أخرج عثمان بن سعيد الداني، بسنده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بـ (مكة)، وما نزل في طريق (المدينة) قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم (المدينة) فهو من المدني، وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحًا».

فائدة (١٤٠): عدد السور المدنية: (٢٩) سورة، وهي: البقرة وآل عمران والمعوذتان وسورة الحج والمائدة والنساء والأنفال، وبراءة والرعد والقتال والفتح والحجرات والحديد والنصر والبينة والزلزلة والقدر والنور والأحزاب والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق والتحريم، وما عدا هذا الذي ذكر من السور وهو (٨٥) سورة، هو المكي على القول الذي صح به المروي من الأحاديث عن النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١٤١): قيل إن سورة الرحمن والإنسان والفاحة من المدني<sup>(٣)</sup>. والأصح كما في شرح النقاية: أن سورة الفاتحة مكية<sup>(٤)</sup>، وقيل إن الفاتحة نزلت مرتين مرة

(١) الإتيقان ١/ ٢٣.

(٢) انظر تفصيل ذلك من البرهان ١/ ١٩٣، والإتيقان ١/ ٢٨، وفنون الأفتان ص ٣٣٧، وجمال القراء ١/ ٨.

(٣) الإتيقان ١/ ٣٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٨/ ١٨٧.

(٤) وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وقتادة وأبي العالية وغيرهم قال القرطبي: وهو الصحيح، لأن الصلاة فرضت بمكة، وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير الحمد لله رب العالمين، وقد قيل: أنها أول ما نزلت من القرآن. انظر الجامع لأحكام القرآن ١/ ١١٥، وأسباب النزول للواحدي ١/ ١٥.

بمكة ومرة بالمدينة عملاً بالدليلين، وقيل إنها نزلت نصفين، نصفاً بمكة ونصفاً بالمدينة<sup>(١)</sup>. وقيل سورة النساء والرعد والحديد والحج والصف والتغابن والقيامة والمعوذتان: مكيات والأصح أنها مدنيات.

فائدة (١٤٢): لا يقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية أنها بأجمعها كذلك، فقد يكون في السور المكية بعض آيات مدنية، وفي السور المدنية بعض آيات مكية. فالوصف فيها أغلبي حسب أكثر آياتها. ولذا يأتي في تسمية السورة: (سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية)، و(سورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية)، كما نجده في بعض المصاحف.

فائدة (١٤٤): الأكثرون على أن الفاتحة مكية، وورد أنها أول ما نزل من القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] فسرهما ﷺ بالفاتحة. وقيل: إنها نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة إعلماً بتشريفها. قال السيوطي<sup>(٢)</sup>: «وفيها قول رابع أنها نزلت نصفين، نصفها بمكة ونصفها بالمدينة، حكاه أبو ليث السمرقندي».

فائدة (١٤٤): لمعرفة المكي والمدني طريقتان، أحدهما: سماعي وهو يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة والتابعين الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله<sup>(٣)</sup>، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول

(١) انظر تفسير البغوي ١/١٦، والجامع لأحكام القرآن ١/١١٦، والإتقان ١/٣٠.

(٢) الإتقان ١/٣١.

(٣) وذلك لأنه لم يرد عن النبي ﷺ ما يبين المكي والمدني من القرآن، فكان المرجع في معرفة ذلك إلى الصحابة، «قال القاضي أبو بكر في الانتصار: إنها يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول» الإتقان للسيوطي ١/٢٣.

ومواقفه وأحداثه. والآخر قياسي: وهو ما يحكم عليه بالعلامات استناداً على خصائص المكي وخصائص المدني. فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وهذا قياسي اجتهادي، ولهذا نجدهم يقولون: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

فائدة (١٤٥): قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل، لركبت إليه»<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٤٦): قد ذكر العلماء للمكي والمدني علامات منها:

- أن كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية<sup>(٢)</sup> وفي الحج اختلاف<sup>(٣)</sup>.

- ومنها أن كل سورة فيها (كلا) فهي مكية. ولم تأت في القرآن في نصفه

---

(١) أخرجه البخاري ١٠/٥٦ في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، ح (٥٠٠٢).

(٢) «قال مكي: هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام، وفي كثير من السور المكية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. الإتيان للسيوطي ١/٤٨.

(٣) «فسورة الحج مكية وفيها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجْدُوا﴾ آية ٧٧ وسورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ و﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ وسورة النساء مدنية وأولها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾. انظر الإتيان ١/٤٧.

الأعلى<sup>(١)</sup>. ومجموع ما ورد في القرآن من (كلا) (٣٣) موضعاً، وهي في (١٥) سورة كلها في النصف الأخير من القرآن.

- ومنها أن كل سورة فيها قصة آدم وإبليس، وقصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية سوى العنكبوت والبقرة.

- ومنها أن كل سورة فيها سجدة فهي مكية، ويستثنى من ذلك سورتا الرعد والحج عند من يقول إنها مدينتان وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية.

- ومنها أن كل سورة في أولها حروف الهجاء كـ «الم»، و«الر»، ونحو ذلك فهي مكية سوى البقرة وآل عمران، وفي الرعد خلاف، فيرى بعض العلماء أنها مكية.

### الحضري والسفري:

فائدة (١٤٧): والمراد بالحضري: ما نزل على الرسول ﷺ في الحضري أي حال الإقامة، لا السفر وهو الأكثر، وبالسفري: ما نزل عليه في حال السفر وهو الأقل.

وهذا النوع أعم مما قبله، لأن الحضري قد يكون مكيًا، وقد يكون مدنياً، وكذلك السفري.

فائدة (١٤٨): (ومن السفري) قوله تعالى في سورة المائدة في التيمم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ إلى آخر الآية، فإنها نزلت

(١) «وحكمة ذلك أن نصفه الأخير نزل أكثره بمكة وأكثرها جابرة فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول». الإتيان ٤٨ / ١.

بالبيداء أمام ذي الحليفة على طريق مكة، أو بمحل يقال له ذات الجيش قرب المدينة عند رجوع النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق<sup>(١)</sup>.

ومنه آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فقد نزلت عشية يوم عرفة، وكان يوم الجمعة في حجة الوداع السنة الهجرية العاشرة.

ومنه آية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، نزلت بالجحفة في سفر الهجرة.

ومنه سورة الفتح، نزلت كلها بين مكة والمدينة في شأن الحديبية كلها.

ومنه سورة الأنفال كلها نزلت في بدر.

أما الحضري فكثير، وغالب آيات القرآن نزلت في الحضرة.

### الليلي والنهاري والفراشي:

فائدة (١٤٩): والمراد بالنهاري: ما نزل على الرسول ﷺ نهاراً، وبالليلي: ما نزل عليه ليلاً، وبالفراشي: ما نزل عليه وهو على فراش نومه، سواء كان نائماً أو غير نائم.

وهذا النوع أعم مما قبله، لأن النهاري قد يكون حضرياً، وقد يكون سفرياً، وقد يكون مكياً، وقد يكون مدنياً، وكذلك الليلي والفراشي، والنهاري أكثر.

(١) قال السيوطي في الإتقان ١ / ٦١: «ومنها آية التيمم فيها في الصحيح عن عائشة أنها نزلت بالبيداء وهم داخلون المدينة وفي لفظ بالبيداء أو بذات الجيش. قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق وجزم به في الاستذكار وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان. وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع واستبعد ذلك بعض المتأخرين قال: لأن المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل وهذه القصة من ناحية خير لقول عائشة أنها نزلت بالبيداء أو بذات الجيش وهما بين المدينة وخيبر كما جزم به النووي، لكن جزم ابن التين بأن البيداء هي ذو الحليفة».

فائدة (١٥٠): ومن الليلي سورة الفتح نزلت في الليل<sup>(١)</sup>، قال في شرح النقاية<sup>(٢)</sup>: وتمسك البلقيني بظاهره، فزعم أنها كلها نزلت ليلاً، وليس كذلك بل النازل منها تلك الليلة إلى قوله تعالى: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

فائدة (١٥١): «ومن الليلي آية القبلة أي: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وخالف ابن حجر فقال: الأقوى أن نزولها كان نهاراً»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (١٥٢): ومن الليلي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلْأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.. الآية<sup>(٤)</sup> [الأحزاب: ٥٩]، لا قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلْأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ﴾.. الآية [الأحزاب: ٢٨] فإنها لم تنزل بالليل.

فائدة (١٥٣): «ومنه: سورة الأنعام، نزلت بمكة ليلاً جملة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسييح. ومنه: سورة مريم والمعوذتان والمنافقون وكذلك المرسلات نزلت ليلة عرفة بغار منى»<sup>(٥)</sup>.

فائدة (١٥٤): ومنه آية: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكانوا يجرسون النبي ﷺ بالليل، ولما نزلت عليه هذه الآية قال لهم: «انصرفوا فقد عصمني الله»<sup>(٦)</sup>.

---

(١) ففي البخاري ٥٨٢ / ٨ كتاب التفسير من حديث عمر: «لقد نزلت عليّ الليلة سورة هي

أحب إلى مما طلعت عليه الشمس، فقرأ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

(٢) إتمام الدراية لقراء النقاية للسيوطي ص ٢٣.

(٣) انظر الإتيان للسيوطي ١ / ٥٨.

(٤) «قال القاضي جلال الدين: وإنما قلنا إن ذلك كان ليلاً لأنهن إنما كن يخرجن للحاجة ليلاً

كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك». الإتيان للسيوطي ١ / ٦٠.

(٥) انظر الإتيان للسيوطي ١ / ٦١.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرک ٧ / ٣٥٣، عن عائشة رضي الله عنها وقال: «هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ٩.

فائدة (١٥٥): ومن الليالي آية الثلاثة الذين خلفوا في سورة التوبة (آية ١١٣)، وذلك لما في الصحيح من حديث كعب: فأُنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ عند أم سلمة حين بقي الثلث الأخير من الليل. وكعب هذا أحد الثلاثة الذين خلفوا وهم: هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع العامري، وكعب بن مالك السلمي. فهذه المذكورات بعض أمثلة لما نزل في الليل على أن الكثير من الآيات نزل بالنهار. قال ابن حبيب: نزل أكثر القرآن نهاراً<sup>(١)</sup>.

### معرفة الصيفي والشتائي:

فائدة (١٥٦): والمراد بالصيفي: ما نزل على الرسول ﷺ صيفاً، ويدخل فيه الربيع مدة حلول الشمس في البروج الشمالية الستة، وهي: (الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة).

والمراد بالشتائي: ما نزل على الرسول ﷺ شتاءً، ويدخل فيه الحريف مدة حلول الشمس في البروج الجنوبية الستة، وهي: (الميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت) فجملة فصول السنة أربعة (الصيف، والربيع، والشتاء، والحريف). وجملة البروج اثنا عشر، وهي التي ذكرناه، ستة شمالية وستة جنوبية.

فائدة (١٥٧): ومن أمثلة الصيفي (آية الكلاله)، وهي في سورة النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] إلى آخر السورة، نزلت في سفر حجة الوداع<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الإتيان للسيوطي ٥٨/١، والبرهان للزركشي ١/١٩٨.

(٢) وفي صحيح مسلم عن عمر: «ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟».

فائدة (١٥٨): الأصح أن الله تعالى أنزل في الكلاله آيتين: إحداهما نزلت في الشتاء وهي التي في أول النساء، والأخرى نزلت في الصيف وهي التي في آخرها<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٥٩): ومن الصيفي: قوله تعالى ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وكقوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وسورة النصر، وآية الدين في البقرة.

فائدة (١٦٠): ومن أمثلة الشتائي قوله تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ [النور: ١١] إلى آخر عشر آيات، وهي التي تسمى آيات البراءة التي نزلت تبرئة للسيدة عائشة رضي الله عنها مما نسب إليها المنافقون افتراء وضلالاً.

فائدة (١٦١): أسماء الذين خاضوا في حديث الإفك، فالمشهور في الروايات الصحيحة هم: عبدالله بن أبي، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش.

فائدة (١٦٢): ومثال الفراشي آية الثلاثة الذين خلفوا فإنها نزلت في نومه ﷺ في بيت أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية المخزومي، تزوجها ﷺ بعد موت أبي سلمة، لثمانٍ خلون من جمادى الآخرة في السنة الرابعة من الهجرة، وتوفيت سنة تسع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ودفنت بالبقيع. وهي آخر من مات من أزواجه ﷺ أما أول من مات منهن فهي زينب أم المساكين رضي الله تعالى عنهن، وقد روت أم سلمة (٣٧٨) حديثاً.

فائدة (١٦٣): ومن الفراشي أيضاً - ويسمى هذا النوع بالنومي - النازل من

---

(١) نقل السيوطي هذا القول عن الواحدي. الإتيان ١/ ٦٣.

الآيات حال كونه نائماً، مثل الرؤيا لسورة الكوثر لكون رؤيا الأنبياء وحيّاً فإنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. ولكن الصحيح أنه لم ينزل من القرآن شيئاً في النوم، وإنما كانت تعتري النبي ﷺ إغفاءة الوحي عند نزوله كالنائم الذي يغيب عمن حوله. قال السيوطي نقلاً عن الإمام الرافعي: «فهم فاهمون من الحديث أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة لأن رؤيا الأنبياء وحي قال وهذا الصحيح لكن الاشبه أن القرآن كله نزل في اليقظة». ثم قال السيوطي: «وليس الإغفاءة إغفاءة نوم بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحي فقد ذكر العلماء أنه كان يؤخذ عن الدنيا»<sup>(١)</sup>.

### أسباب النزول:

فائدة (١٦٤): تعريف السبب: لغة: الحبل. ثم استعمل لكل شيء يتوصل به إلى غيره.

وشرعاً: ما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه. مثاله: زوال الشمس علامة لوجوب الصلاة، وطلوع الهلال علامة على وجوب صوم رمضان في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وسبب النزول اصطلاحاً: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، كأن تقع حادثة في زمن النبي ﷺ، أو يؤجّه إليه سؤال فتنزل الآية أو الآيات من الله ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال.

### فائدة (١٦٥): أسباب النزول:

١ - قسم نزل بدون سبب، وهو أكثر القرآن.

(١) الإتيان ١ / ٧١.

٢- قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب. ومن هذه الأسباب:

- حدوث واقعة معينة فينزل القرآن الكريم بشأنها.

عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:

٢١٤]. خرج النبي ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحاه، فاجتمعوا إليه

فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكتنم مصدقي؟..»

الحديث، فقال أبو لهب تبالاً لك، إنما جمعنا لهذا، ثم قام، فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ

يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾<sup>(١)</sup> [المسد: ١].

- أن يُسأل الرسول ﷺ عن شيء، فينزل القرآن بيان الحكم.

مثال ذلك: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في

حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب، فمر بنا ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن

الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا له:

يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام، فأمسك وجهه بيده على جبهته،

فعرفت أنه ينزل عليه، فأنزل الله عليه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ

أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> [الإسراء: ٨٥].

فائدة (١٦٦): المراد بنزول الآية لسبب ما هو نزولها إما بعد وقوع الحادثة

مباشرة، أو بعد ذلك بقليل، مثل الآيات المتعلقة بقصة (أهل الكهف) و(ذي

القرنين) فقد نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤالهم النبي ﷺ، ومثل حادثة

الإفك، فقد نزلت الآيات المتعلقة بذلك بعد شهر.

فائدة (١٦٧): خرج من ذلك الآيات التي تنزل ابتداءً، بينما هي تتحدث عن

قصص الأنبياء، وأحوال الأمم معهم، أو عن بعض الحوادث الماضية، كسورة

(١) مسلم في الصحيح ح (٣٠٧).

(٢) البخاري ح (٦٧٥٣)، ومسلم ح (٥٠٠٢).

الفيل مثلاً، أو تتحدث عن المستقبل كاليوم الآخر وما فيه من نعيم أو عقاب، فإن هذه القصص والأحداث لا تعتبر أسباب نزول<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٦٨): الحكمة في معرفة أسباب النزول:

١- يعين على معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم<sup>(٢)</sup>، وذلك من خلال تصور واقع التنزيل وحيثياته فيستفاد من استحضار سبب النزول في استنباط الحكم. قال ابن دقيق العيد: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن». وقال الواحدي: «لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها».

٢- الاستعانة على فهم الآية، وإزالة الإشكال عنها، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. مثاله قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبْتُمْ...﴾ [الطلاق: ٤]، فقد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الفقهاء، حتى قال الظاهرية: بأن الآية لا عدة عليها إذا لم ترتب. وقد أزال هذا الإشكال سبب النزول، ذلك أنه لما نزلت الآية التي في البقرة في بيان عدد النساء قالوا: قد بقي من عدد النساء لم يذكرن: الصغار والكبار، فنزلت الآية. فعلم بهذا: أن الآية خطاب للمرتاب في حكمهن وليس لهن.

٣- أن لفظ الآية يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عُرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته<sup>(٣)</sup>.

(١) قال السيوطي في الإتقان ١/ ٩٠: «فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك».

(٢) الإتقان للسيوطي ١/ ٨٢.

(٣) الإتقان للسيوطي ١/ ٨٢.

٤ - معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها<sup>(١)</sup>.

٥ - تثبيت الوحي، وتيسير الحفظ والفهم، وتأكيده الحكم في ذهن من يسمع الآية. وهذا ما يعرف في علم النفس بقانون (تداعي المعاني).

٦ - معرفة السبب تزيد المؤمن إيماناً وبصيرة بحكمة الله في تشريعه فيدعوه ذلك إلى شدة التمسك بها، وأما غير المؤمن فيعلم أن الشرع قام على رعاية المصلحة، وجلب المنفعة ودفع المضرة فيدعوه ذلك إن كان منصفاً إلى الدخول في الإسلام.

فائدة (١٦٩): ومن فوائد أسباب النزول دلالاته على إعجاز القرآن، وأنه من الله تعالى من ناحية الارتجال، فنزوله في الغالب بعد الحادثة مباشرة يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين، أو من كتب السابقين، فلو كان ينقل كتابه من كتب غيره، لكان إذا سأله سائل يترث حتى يراجع الكتب التي عنده، وينظر ماذا تقول في هذه المسألة ثم يجيب، ولكن النبي ﷺ لم يكن يفعل، بل يسأله الرجل فيعطيه الجواب الموافق للصواب، الذي لم يكن قرأه ولا عرفه إلا في هذه اللحظة التي نزل عليه فيها.

فائدة (١٧٠): كيفية معرفة أسباب النزول: لما كان سبب النزول أمراً واقعاً نزلت بشأنه الآية، كان من البدهي ألا يدخل العلم بهذه الأسباب في دائرة الرأي والاجتهاد، لهذا قال الإمام الواحدي<sup>(٢)</sup>: «ولا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسمع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها».

(١) الإتيان للسيوطي ١ / ٨٤.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٤.

ومن هنا نفهم تشدد السلف في البحث عن أسباب النزول، حتى قال الإمام محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن، فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٧١): اتفق علماء الحديث على اعتبار قول الصحابي في سبب النزول لأن أسباب النزول غير خاضعة للاجتهاد فيكون قول الصحابي حكمه الرفع، أما ما يرويه التابعون من أسباب النزول، فهو مرفوع أيضاً، لكنه مرسل، لعدم ذكر الصحابي.

لكن ينبغي الحذر والتيقظ، فلا نخلط بأسباب النزول ما ليس منها، فقد يقع على لسانهم قولهم: نزلت هذه الآية في كذا ويكون المراد موضوع الآية، أو ما دلت عليه من الحكم. قال الزركشي<sup>(٢)</sup>: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب في نزولها.

فائدة (١٧٢): سبب النزول الذي يروى عن صحابي بسند متصل فحكمه حكم الحديث المرفوع لا الموقوف، أي فهو مقبول وإن لم يعتضد أي لم يعزز برواية أخرى تقويه. إذ قول الصحابي فيما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه مرفوع حكماً.

والسبب الذي روي عنهم إن روي بغير سند أي متصل عن تابعي فحكمه أنه مرسل أي أنه لا يقبل إلا إذا صح واعتضد بمرسل آخر وكان الراوي له من أئمة التفسير، الآخذين عن الصحابة، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، فإن كان بلا سند فمردود<sup>(٣)</sup>.

(١) أسباب النزول للواحد ص ٤، ولباب النقول للسيوطي ص ٣.

(٢) البرهان ١ / ٣١.

(٣) وانظر في ذلك الإتيان للسيوطي ١ / ٩١.

فائدة (١٧٣): قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٧٤): ألف في أسباب النزول جماعة منهم علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ) - شيخ البخاري -، ومنهم علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، وابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وله في ذلك كتاب حافل سماه «لباب النقول في أسباب النزول».

ومن الممكن أن يتبين الباحث أسباب النزول من خلال كتب التفسير، وكتب المغازي والسير وأمثالها.

فائدة (١٧٥): قال السيوطي<sup>(٢)</sup>: «يقرب من هذا ما ورد في القرآن على لسان غير الله - أي بعض الخلق - كالنبي عليه الصلاة والسلام وجبريل والملائكة غير مصرح بإضافته إليهم ولا محكي بالقول كقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية، فإن هذا وارد على لسانه ﷺ لقوله آخرها: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤] وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ الآية [الأنعام: ١١٤]، فإنه وارد أيضاً على لسانه. وقوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية [مريم: ٦٤] وارد على لسان جبريل. وقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ \* وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ \* وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦] وارد على لسان الملائكة، وكذا: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا لَنَسْتَعِيرُ﴾ [الفاتحة: ٥] وارد على ألسنة العباد، إلا أنه يمكن هنا تقدير القول: أي قولوا، وكذا الآيتان الأوليان يصح أن يقدر فيهما قل بخلاف الثالثة والرابعة».

(١) البرهان للزركشي ٣١/١ - ٣٢، والإتقان للسيوطي ٩٠/١.

(٢) الإتقان ١٠١/١.

فائدة (١٧٦): قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «وفي جمال القراء للسخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: فإن قيل ما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أول مرة على حرف واحد، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو: ملك ومالك، والسرائط والصرائط ونحو ذلك».

فائدة (١٧٧): أشكل على عروة بن الزبير رضي الله عنه أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]. قال السيوطي<sup>(٢)</sup>: «فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكاً بذلك، وقد ردت عائشة على عروة في فهمه ذلك بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت»<sup>(٣)</sup>.

### أول ما نزل من القرآن:

فائدة (١٧٨): «أول ما نزل على الإطلاق صدر سورة (اقرأ) وهو القول الأصح، وبعدها سورة المدثر، وقيل العكس، وهو أن المدثر أنزل أولاً ثم اقرأ وعلى القول الأخير قوم كثير. وحمل المحققون من العلماء هذا القول على أنه أول ما نزل بعد فترة الوحي، أو أول ما نزل كسورة كاملة، وبذلك لا يكون هناك تعارض بين القولين»<sup>(٤)</sup>.

(١) الإتيان للسيوطي ١/ ١٠٣.

(٢) الإتيان ١/ ٨٤.

(٣) نظراً إلى أن الصفا كان عليه صنم يقال له (أساف) وكان على المروة صنم يقال له: (نائلة)، وكان المشركون إذا سعوا بينهما تمسحوا بهما. فلما ظهر الإسلام وكسر الأصنام تخرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك، فنزلت الآية، كذلك جاءت بعض الروايات.

(٤) الإتيان ١/ ٦٩.

فائدة (١٧٩): ذهب السيوطي إلى أن البسملة هي أول آية نزلت من القرآن الكريم على الإطلاق، قال: «وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق»<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٨٠): قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: «إن هذه الآيات الخمس (من سورة العلق) اشتملت على مقاصد القرآن ففيها براعة الاستهلال، وهي جديرة أن تسمى (عنوان القرآن) لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة في أوله<sup>(٣)</sup>، وبيان كونها اشتملت على مقاصد القرآن أنها تنحصر في علوم التوحيد والأحكام والأخبار، وقد اشتملت على الأمر بالقراءة والبداءة فيها بسم الله، وفي هذه الإشارة إلى الأحكام، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذا إشارة إلى أصول الدين، وفيها ما يتعلق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [العلق: ٥]».

فائدة (١٨١): أول آية نزلت في القتال<sup>(٤)</sup>: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، كما رواه الحاكم في المستدرک<sup>(٥)</sup>.

وأول ما نزل في الخمر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ثم قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] ثم قوله تعالى:

(١) الإتقان ١ / ٧١.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٤ / ١٣٠.

(٣) وهذا بخلاف الفن البديعي المسمى العنوان فإنهم عرفوه بأن يأخذ المتكلم في فن فيؤكده بذكر مثال سابق.

(٤) انظر أحكام القرآن للجصاص ٢ / ١٤٣.

(٥) ٥ / ٤٨٧، و ٧ / ٩٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وأول ما نزل في الأطفمة بمكة آية الأنعام: ﴿ قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ﴾.. الآية [الأنعام: ١٤٥]. وأول سورة أنزلت فيها سجدة سورة النجم<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٨٢): أول ما نزل في المدينة سورة المطففين ثم سورة البقرة وهو المروي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقيل بالعكس وهو منقول عن عكرمة.

آخر ما نزل من القرآن:

فائدة (١٨٣): آخر آية نزلت آية الكلاله: ﴿ سَتَمَتُّونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت براءة. وقيل: آية الربا ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٨] آخر ما نزل كما رواه البخاري<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل غير ذلك.

وقيل: آخر شيء نزل من القرآن: ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٨١] الآية<sup>(٤)</sup>.

قال: الفريابي في تفسيره: «حدثنا سفيان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية، وكان بين

(١) انظر تفصيل ذلك من الإتيان للسيوطي ١ / ٧٤-٧٦.

(٢) في سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب التوقي في الكيل والوزن، ح (٢٢١٤).

(٣) في صحيحه ٥ / ١٨٥، ومسلم ٣ / ١٢٣٦.

(٤) انظر تفصيل ذلك من الإتيان للسيوطي ١ / ٧٧ - ٨١.

نزولها وبين موت النبي ﷺ أحد وثمانون يوماً. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: آخر ما نزل من القرآن كله: ﴿وَأَنْقُؤْا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية، وعاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليالٍ ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول»<sup>(١)</sup>.

فائدة (١٨٤): «في المستدرک عن أبي بن كعب قال: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة. وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن مردويه عن أبي أنهم جمعوا القرآن في خلافة أبي بكر وكان رجال يكتبونه، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا﴾ [التوبة: ١٢٧] ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن، فقال لهم أبي بن كعب: إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن قال: فحتم بما فتح به. بالله الذي لا إله إلا هو، وهو قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١٨٥): «تعدد الروايات في آخر ما نزل من الآيات يرجع إلى أن كل واحد من الصحابة أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو لفارقتة له ونزول الوحي عليه بقرآن بعده»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن جرير ٣/ ١١٤ والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٦٩.

(٢) انظر البرهان للزركشي ١/ ٢٠٩.

(٣) البرهان للزركشي ١/ ٢١٠، والإتقان للسيوطي ١/ ٨٠.

قال البيهقي<sup>(١)</sup>: «هذا الاختلاف يرجع - والله أعلم - إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم، أو أراد أن ما ذكر من أواخر الآيات التي نزلت».

فائدة (١٨٦): آخر سورة نزلت بمكة: المؤمنون، ويقال العنكبوت، وآخر سورة نزلت بالمدينة: سورة براءة، وأول سورة أعلنها النبي ﷺ: سورة النجم.

فائدة (١٨٧): قال الزركشي في البرهان<sup>(٢)</sup>: «قد يكون النزول سابقاً على الحكم كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، فقد روى البيهقي وغيره عن ابن عمر أنها نزلت في زكاة الفطر. وأخرج البزار نحوه مرفوعاً. وقال بعضهم: لا أدري ما وجه التأويل لأن السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة ولا صوم. وأجاب البغوي بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ \* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١-٢] فالسورة مكية وقد ظهر أثر الحل يوم فتح مكة حتى قال عليه الصلاة والسلام: أحلت لي ساعة من نهار. وكذلك نزلت بمكة ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ [القمر: ٤٥] قال عمر بن الخطاب: فقلت أي جمع؟ فلما كان يوم بدر وانهمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلاً بالسيف يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فكانت ليوم بدر.

\*\*\*

(١) دلائل النبوة ٨ / ٢٢١.

(٢) البرهان للزركشي ١ / ٣٢ - ٣٣، والإتقان للسيوطي ١ / ١٠٤.

## الفصل الثالث

الفوائد المتعلقة بالسند من علوم القرآن الكريم



## الفصل الثالث

### الفوائد المتعلقة بالسند من علوم القرآن الكريم

فائدة (١٨٨): أما القراءات فأنواع:

الأول - المتواترة: وهي التي نقلها جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم كذلك إلى النهاية، وغالب القراءات كذلك<sup>(١)</sup>.

والثاني - القراءة المشهورة: وهي ما نقلت عن جمع كثير، ولكنها لم تبلغ درجة التواتر، ووافقت الرسم والعربية، واشتهرت عن القراء، ولم تعد من الغلط ولا من الشاذ. وهذا لا تصح القراءة به، ولا يجوز رده، ولا يحل إنكاره.

والثالث - قراءة الأحاد: وهي ما صحَّ سندها وخالفت الرسم أو العربية أو لم تشتهر الاشتهار المذكور، وهذه لا يُقرأ بها. مثل ما روي: (رفارف خضر وعباقرى حسان)، والصواب الذي عليه القراءة: ﴿رَفَرَفٍ خُضْرٍ وَعَبَّاقِرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

ومن الأحاد قراءة الصحابة التي صحَّ إسنادها إذ لا يُظن بهم القراءة بالرأي.

والرابع - الشاذة: وهي ما لم يصح سندها، كقراءة: (مَلَكٌ يَوْمَ الدِّينِ) بصيغة الماضي ونصب (يوم) مفعولا، وهذه لا يُقرأ بها أيضا.

---

(١) انظر الإتيان ١ / ٢١٥. ويمكننا أن نقول أن أقسام القراءات هي: القراءات المتواترة وهي التي تحققت فيها أركان القراءة الصحيحة المقبولة، والقراءات الشاذة وهي ما سوى ذلك، وهناك القراءات الموضوعية المكذوبة.

الخامس - الموضوع: وهو المختلق المكذوب.

السادس - ما يشبه المدرج من أنواع الحديث، وهو ما زيد في القراءة على وجه التفسير والبيان<sup>(١)</sup>.

وهذه الأنواع الخمسة الأخيرة لا تحل القراءة بها.

فائدة (١٨٩): والقراءات التي وصلت إلينا بطريق متواتر عشر قراءات، نقلها إلينا مجموعة من القراء امتازوا بدقة الرواية، وسلامة الضبط، وجودة الإتقان.

ومن المتواتر: القراءات السبع الثابتة من طرق عن القراء السبعة، وهم نافع، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وعبد الله بن عامر، وأبو عمرو، وابن كثير. وهذا النوع لا تجوز القراءة في الصلاة بغيره، ولا تثبت الأحكام الشرعية كالحذود وغيرها إلا به، ولا تثبت بغيره إلا على سبيل التفسير له.

وهناك أربعة آخرون إذا أضيفوا إلى هؤلاء العشرة تكمل بهم عدة القراء الأربعة عشر وهم: الحسن بن يسار البصري، وابن محيصن محمد بن عبد الرحمن السهمي المكي، ويحيى بن المبارك اليزيدي، ومحمد بن أحمد الشنبوذي.

### القراءات القرآنية:

فائدة (١٩٠): قراءات القرآن: «اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف أو كیفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الإتقان ١/ ٢١٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣١٨.

وتعريف علم القراءات: هو علم يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزّوًّا - أي منسوباً - إلى ناقله.

فائدة (١٩١): مثال على القراءات: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٩]. هذه قراءة حفص عن عاصم، أو القراءة العامة التي كُتِبَ المصحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عليها، والشاهد في الآية كلمة «أَنْفُسِكُمْ» بضم الفاء وكسر السين، وهي جمع: «نَفْس» بسكون الفاء، ومعناها: لقد جاءكم رسول ليس غريباً عليكم، تعرفونه كما تعرفون أنفسكم؛ لأنه منكم: نسباً ومولداً ونشأة، وبيئة، ولغة.

وقرأ في غير القراءات العشر: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ بفتح الفاء وكسر السين، ومعناها: لقد جاءكم رسول من أذكاكم وأطهركم. و«أَنْفُس» هنا أفعل تفضيل من النفاسة. فكلمة «أنفسكم» قرئت على وجهين من حيث النطق. وهذا هو معنى القراءة والقراءات القرآنية.

فائدة (١٩٢): تعريف بعض اصطلاحات علم القراءات، تعريف القراءة، الرواية، الطريق:

تعريف القراءات: القراءات جمع قراءة، وهي مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً.

الرواية: هي ما ينسب للراوي عن الإمام القارئ، مثل رواية قالون عن نافع، وحفص عن عاصم.

الطريق: هو ما ينسب للآخذ من الراوي وإن نزل، مثل طريق الأزرق عن ورش، أو الأصبهاني عن ورش، أو عبيد بن الصباح عن حفص، ومثل طريق الشاطبية والدرة المضوية، وطريق طيبة النشر. وهذه الطرق هي التي تؤخذ منها القراءات المتواترة في زماننا.

فيقال مثلاً: قراءة نافع برواية ورش طريق الأزرق. أو طريق الشاطبية.

و القارئ في اللغة: اسم فاعل من قرأ، وفي الاصطلاح: يطلق على إمام من الأئمة المعروفين الذين نسبت إليهم القراءات.

فائدة (١٩٣): اتفقت كلمة أهل العلم على أن ما وراء القراءات العشر التي جمعها القراء، شاذ غير متواتر، لا يجوز اعتقاد قرآنيته، ولا تصح الصلاة به، والتعبد بتلاوته، إلا أنهم قالوا: يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها، وبيان وجهها من جهة اللغة والإعراب.

فائدة (١٩٤): المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها؛ كقراءة عائشة وحفصة قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] قرأتا: (والصلاة الوسطى صلاة العصر) وقراءة ابن مسعود قوله تعالى: ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] قرأها: (فاقطعوا أيانها) وقراءة جابر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣] قرأها: (من بعد إكراههن هن غفور رحيم). فهذه الحروف - القراءات - وما شابهها صارت مفسرة للقرآن.

فائدة (١٩٥): اختلف في أول من دَوَّنَ القراءات، فقيل هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(١)</sup> (ت ٢٢٤هـ) وقيل أبو حاتم السجستاني (ت ٢٢٥هـ) وهو رأي ابن الجزري، وقيل يحيى بن يعمر (ت ٩٠هـ).

بدأ ظهور وتبلور شروط القراءة الصحيحة وتمييز الصحيح من الشاذ مبكراً، ويقال بأن أول من ألف في القراءات الشواذ هو ابن مجاهد التميمي حيث ألف كتاباً أسماه (الشواذ) إلا أن هذا الكتاب مفقود.

ثم توالى التأليف في القراءات السبع، فألف مكي ابن أبي طالب القيسي القيرواني (ت ٤٣٧هـ) كتابيه «التبصرة» و«الكشف»، وألف أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) «التيسير في القراءات السبع» و«جامع البيان». ونظم الإمام الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) التيسير في حرز الأمانى ووجه التهاني «الشاطبية».

وجاءت مرحلة أفراد القراءات في مؤلفات خاصة بها، أو جمع أقل من السبعة أو أكثر من السبعة لدفع ما علق في أذهان الكثيرين من أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، لبيان أن هناك قراءات أخرى غير السبعة التي جمعها ابن مجاهد

---

(١) حيث أُلّف كتاب «القراءات» جمع فيه خمسة وعشرين قارئاً. وبعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية جمع كتاباً في قراءات الخمسة: من كل مصر واحد، [ت ٢٥٨هـ] وبعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون ألف كتاباً في القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إماماً منهم هؤلاء السبعة، [ت ٢٨٢هـ] وبعده الإمام الطبري أبو جعفر جمع كتاباً حافلاً أسماه الجامع، وفيه نيف وعشرون قراءة [ت ٣١٠هـ] وبعده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني جمع كتاباً في القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة [ت ٣٢٤هـ]. ثم جاء بعده أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد وهو أول من اقتصر على قراءات السبعة فقط، وقام الناس في زمانه وبعده فألفوا في القراءات أنواع التأليف.

وهي قراءات مقبولة وصحيحة، وتوج ذلك وختم بكتاب ابن الجزري «النشر في القراءات العشر»<sup>(١)</sup> ومنظومته «طيبة النشر في القراءات العشر»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (١٩٦): ومن الكتب المهمة في هذا العلم كتاب «حرز الأمانى ووجه التهاني» لـ القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الأندلسي الشاطبي الشافعي الضربير [ت ٥٩٠ هـ]، وهو عبارة عن نظم شعري لكل ما يتعلق بالقراء والقرءات السبع، ويُعرف هذا النظم بـ «الشاطبية» وقد وصفها الذهبي بقوله: «قد سارت الركبان بقصيدته، وحفظها خلقت كثير، فلقد أبدع وأوجز وسهّل الصعب».

فائدة (١٩٧): انتشار القراءات في العالم الإسلامي: فإن رواية حفص عن عاصم تنتشر في معظم الدول الإسلامية لا سيما في المشرق<sup>(٣)</sup>. ورواية قالون في

---

(١) وكتاب النشر في القراءات العشر الجامع لجميع طرق ما ذكرناه من هذه المؤلفات المتقدمة، المحتوي على فرائد فوائدها، الذي لم يسبق إلى مثله، للإمام العلامة المحقق والذي وصف أنه لم تسمع الأمصار بمثله: أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف بن الجزري [ت ٨٣٣ هـ]، وله أيضاً تقريب النشر في القراءات العشر.

(٢) وهي عبارة عن نظم كتاب النشر وكتاب طيبة النشر في القراءات العشر اقتفى فيه أثر الشاطبي في استخدام مصطلحات الكتاب ليسهل على كل طالب استحضار قواعد هذا الفن، وتحصيل مسائله، ونظمها من بحر الرجز، وهي قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، جمع فيها طرق القراء ورواياتهم، واعتمد ما في الشاطبية وكتاب التيسير لأبي عمرو الداني، وزاد عليها الضعف من القراءات والروايات والطرق، وبلغت أبحاثها (١٠١٤). وله أيضاً تحبير التيسير، زاد فيه قراءات الأئمة الثلاثة على السبعة التي في كتاب التيسير لأبي عمرو الداني والدررة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر، له أيضاً وهو عبارة عن نظم كتابه «تحبير التيسير»، وقد شرح الطيبة ابنه أبو بكر أحمد بن محمد بن الجزري [ت ٨٣٥ هـ].

(٣) ورواية حفص عن عاصم: كانت رواية نادرة الوجود حتى نشرها الأحناف وبخاصة العثمانيين. حيث انتشرت في جميع المشرق، وغالب البلاد المصرية، والهند، وتركيا، وأفغانستان.

ليبيا وتونس وأجزاء من الجزائر. ورواية ورش المصري عن نافع المدني في الجزائر والمغرب وموريتانيا ومعظم الدول الإفريقية. ورواية الدوري عن أبي عمرو البصري في السودان والصومال وحضر موت في اليمن.

فائدة (١٩٨): شروط القراءة المقبولة: يشترط للقراءة الصحيحة توفر

ثلاثة شروط:

١- موافقة وجه صحيح من اللغة العربية (قواعد النحو)، بخلاف ما خالفها

فلا يكون قرأناً لتنزه القرآن عن اللحن<sup>(١)</sup>.

٢- موافقة الرسم العثماني ولو احتمالاً، مثل (ملك) تحتل (مالك)، ومثل

(مكانتكم) تحتل (مكاناتكم)، بخلاف ما خالفه وإن صح سنده، لأنه مما نُسخ

بالعرضة الأخيرة - وهي التي قبل وفاته ﷺ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يعرض

القرآن على جبريل كل رمضان - أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني.

٣- حصول التواتر: وهو أن ينقلها عدد كبير يستحيل في العادة اجتماعهم

على الكذب<sup>(٢)</sup>.

---

(١) قال الداني: «وأئمة القراء: لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها». الإتيان للسيوطي ٨٩/١.

(٢) وهنا يجب التمييز بين شرط التواتر في قبول القراءة، ومسألة تواتر القرآن، فقد تقدم أنهما حقيقتان متغايرتان، فكما سيأتي أنه اختلف في اشتراط التواتر في قبول القراءة، وهو خاص بكيفية الأداء فقط، أما قرآنية الكلمة فلا بد لثبوتها من شرط التواتر كما هو معلوم. انظر بيان ذلك من البرهان للزركشي ٣١٨/١، والمنتقى للباجي ٤ / ١٥٦، ومختصر ابن الحاجب ٤٦١ / ١، ومسلم الثبوت ٩ / ٢.

ويعتبر الشرطان الأول والثاني تبعاً للشرط الثالث، عند جمهور من اشترط التواتر من العلماء ومنهم ابن الجزري في قوله الأول من قوله.

بينما يرى جمهور العلماء ومنهم أبو شامة وابن الجزري ومكي ابن أبي طالب وشهاب الدين القسطلاني<sup>(١)</sup> وغيرهم أنه يكفي لصحة القراءة أن تكون مشهورة صحيحة الإسناد<sup>(٢)</sup>، إضافة إلى شرطي: موافقة الرسم ووجه من أوجه النحو<sup>(٣)</sup>، وبالتالي يكون شرط موافقة اللغة والرسم أساسيين.

قال أبو شامة المقدسي<sup>(٤)</sup>: «كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اختل أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة، أشار إلى ذلك جماعة من الأئمة المتقدمين...، وقد ذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه «جمال القراء».

قال الزركشي<sup>(٥)</sup>: «وقد سبق أن المتواتر: كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصح من لغة العرب».

فائدة (١٩٩): قال ابن الجزري رحمه الله تعالى في نظمه لشرط القراءة المقبولة:

(١) انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني ٦٩ / ١.  
(٢) بأن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، وهكذا حتى ينتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذ به بعضهم.

(٣) الإبانة عن وجوه القراءات ص ٥٧، والنشر لابن الجزري ١٤ / ١.

(٤) المرشد الوجيز ص ١٧١.

(٥) البحر المحيط ١ / ٤٧٤.

فكل ما وافق وجه نحوٍ وكان للرسم احتمالاً يحوي  
وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان  
وحيثما يختل ركنٌ أثبت شدوذه لو أنه في السبعة

فائدة (٢٠٠): قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «أحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزري، قال في أول كتابه النشر<sup>(٢)</sup>: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف».

### القراءات العشر المتواترة:

فائدة (٢٠١): القراءات المتواترة هي عشر قراءات، تنسب كل قراءة إلى إمام من أئمة القراء، وهذه النسبة ليست نسبة اختراع وإيجاد ولكنها نسبة ملازمة وإتقان، واشتهر عن كل قارئ راويان.

(١) الإتقان ١/ ٨٩.

(٢) ٩/ ١.

فائدة (٢٠٢): تراجم القراء السبعة أصحاب القراءات السبع المشهورة ورواتهم وهم الذين ذكرهم ابن مجاهد واشتهروا بالضبط والأمانة وملازمة العمر في القراءة<sup>(١)</sup>:

١- نافع المدني وهو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، أصله من أصبهان،<sup>(٢)</sup> توفي بالمدينة سنة (١٦٩ هـ)، وقد تلقى القراءة عن سبعين من التابعين أخذوا عن أبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة<sup>(٣)</sup>، وأشهر رواته:

أ- قالون: وهو عيسى بن مينا المدني، فقيه العربية ويكنى أبا موسى، وقالون لقب له لقبه إياه نافع لجودة قراءته، فإن قالون بلغة الرومية: جيد<sup>(٤)</sup>، ولد سنة (١٢٠ هـ)، وتوفي بالمدينة سنة (٢٢٠ هـ).

ب- ورش: وهو عثمان بن سعيد المصري وأصله من القيروان، ويكنى أبا

---

(١) وليس بالضرورة هنا أن يكون الرواة للقراءة عن القارىء ممن أخذ عنه مباشرة، فقد يكون الرواة ممن لم يدرك حياة القارىء كما هو الحال في البزي وقنبل اللذين لم يدركا ابن كثير، وكذلك الحال في هشام ابن عمار وابن ذكوان اللذين لم يدركا ابن عامر، بل المراد بالرواة هنا من أتقن القراءة على قراءة ذلك القارىء وتحقق بها ضبطاً ومارسها زمناً.

(٢) وكان أسود اللون، شديد السواد، حسن الخلق، وسيم الوجه، وفيه دعابة. كان إذا تكلم يُشم من فيه رائحة المسك. قيل له: أتتطيب كلما قعدت تقرئ الناس؟ فقال: إني لا أقرب الطيب ولا أمسه. ولكن رأيت فيما يرى النائم أن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في فيّ فمن ذلك الوقت يُشم من فمي هذه الرائحة.

(٣) انظر ترجمته من معرفة القراء الكبار ١/١٠٧، والنشر ١/١١٢.

(٤) كان قالون أصم شديد الصمم، وكان يُقرأ عليه القرآن وكان ينظر إلى شفطي القارىء ويرد عليه اللحن والخطأ.

سعيد، ولقب بورش، لقبه إياه الناس لشدة بياضه<sup>(١)</sup>، ولد سنة (١١٠ هـ) وتوفي بمصر سنة (١٩٧ هـ).

٢- عبد الله بن كثير الداري<sup>(٢)</sup> المكي، وهو من التابعين، ولد سنة (٤٥ هـ) وتوفي بمكة سنة (١٢٠ هـ). وقد لقي من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري. وأشهر رواته:

أ- البزي: وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة<sup>(٣)</sup> المؤذن المكي. ويكنى أبا الحسن، مولده (١٧٠ هـ) وتوفي بمكة سنة (٢٥٠ هـ).

ب- قنبل: وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المكي المخزومي، ويكنى أبا عمرو، ولقبه قنبل ويقال: إن القنابلة هم أهل بيت بمكة<sup>(٤)</sup>، ولد سنة (١٩٥ هـ) وتوفي سنة (٢٩١ هـ).

٣- أبو عمرو بن العلاء: شيخ الرواة وهو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري، ولد سنة (٧٠ هـ)، وتوفي بالكوفة سنة (١٥٤ هـ) سمع أنس بن

---

(١) وهذا اللقب لزمه حتى صار لا يعرف إلا به، ولم يكن شيء أحب منه فيقول: أستاذي سمانى به.

(٢) لُقّب بالداري لأنه كان عطاراً، والعرب تسمي العطار دارياً نسبة إلى دارين موضع بالبحرين يجلب منه الطيب. أو إلى تميم الداري. انظر ترجمته من معرفة القراء الكبار ٨٦/١، وغاية النهاية ٤٤٣/١.

(٣) والبزة معناها الشدة، واسم أبي بزة بشار. فارسي من أهل همذان، أسلم على يد السائب ابن أبي السائب.

(٤) وقيل لاستعماله دواءً يقال له قنبل معروف عند الصيادلة لداء كان به فلما أكثر منه عرف به.

مالك وغيره من الصحابة، فلذلك عُد من التابعين. وقد روى عن مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، عن أبي بن كعب<sup>(١)</sup>، وأشهر رواته:

أ- الدوري: وهو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري الأزدي النحوي الضريمر، والدور موضع ببغداد، ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفي سنة (٢٤٦هـ).

ب- السوسي: وهو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي، توفي سنة (٢٦١هـ).

٤- ابن عامر الشامي: وهو عبد الله بن عامر اليحصبي، ويكنى أبا عمران، وهو من التابعين، وكان قاضيا لدمشق زمن خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوفي بدمشق سنة (١١٨هـ)<sup>(٢)</sup> تلقى القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، عن عثمان بن عفان، ولقي من الصحابة: النعمان بن بشير، ووائل بن الأسقع، وأشهر رواته:

أ- هشام: وهو هشام بن عمار بن نصير القاضي الدمشقي، ويكنى أبا الوليد، ولد سنة (١٥٣هـ) وتوفي سنة (٢٤٥هـ).

ب- ابن ذكوان: وهو عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان القرشي الدمشقي، ويكنى أبا عمرو، ولد سنة (١٧٣هـ)، وتوفي بدمشق سنة (٢٤٢هـ).

---

(١) انظر معرفة القراء الكبار ١/ ١٠٠. وقال أبو عبيدة: كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها وتفرغ للعبادة وجعل على نفسه أن يختم في كل ثلاث ليال.

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/ ٨٢.

٥- عاصم الكوفي: وهو عاصم بن أبي النجود الأسدي، ويكنى أبا بكر، ويقال له: ابن بهدلة، وهو من التابعين<sup>(١)</sup>، توفي بالكوفة سنة (١٢٨ هـ) أو (١٢٧ هـ)، قرأ على زر بن حبيش الذي أخذ عن الصحابي علي بن أبي طالب، وعلى أبي عبد الرحمن السلمي الذي أخذ عن الصحابي عبد الله بن مسعود<sup>(٢)</sup>، وأشهر رواته:

أ- شعبة: وهو أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الأسدي النهشلي الكوفي، ولد سنة (٩٥ هـ) وتوفي سنة (١٩٣ هـ). ولما حضرته الوفاة بكت أخته، قال لها ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها القرآن ثماني عشرة ألف ختمة.

ب- حفص: وهو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز<sup>(٣)</sup> الأسدي الكوفي، وكنيته أبو عمرو، قال ابن معين عنه: هو أقرأ من أبي بكر<sup>(٤)</sup>. ولد سنة (٩٠ هـ) وتوفي سنة (١٨٠ هـ). وكان حفص أعلم الناس بقراءة عاصم<sup>(٥)</sup> وكان ربيب عاصم - ابن زوجته -.

---

(١) قال أحمد بن حنبل: «كان أهل الكوفة يختارون قراءة عاصم، وأنا أختارها». تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٩/٥.

(٢) انظر معرفة القراء الكبار ١/٨٨. وكان عاصم يقرأ حفصاً بقراءة علي بن أبي طالب التي يرويها من طريق أبي عبد الرحمن ويقرأ أبا بكر بن عياش بقراءة ابن مسعود التي يرويها من طريق زر بن حبيش.

(٣) نسبه إلى بيع البز أي الثياب.

(٤) أبو بكر هو شعبة، قال محيي بن معين: «الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم، هي رواية حفص». النشر في القراءات العشر ١/١٥٦.

(٥) وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٦- حمزة الكوفي: وهو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات<sup>(١)</sup>، مولى عكرمة بن ربيع التيمي، ويكنى أبا عمارة، ولد سنة (٨٠ هـ) وتوفي بحلولاً في العراق، في خلافة أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني سنة (١٥٦ هـ)، وهو من تابعي التابعين<sup>(٢)</sup>، وقد قرأ على سليمان بن مهران الأعمش، على يحيى بن وثاب، على زر بن حبيش، على عثمان، وعلي، وابن مسعود. وأشهر رواته:

أ- خلف: وهو خلف بن هشام البزار، ويكنى أبا محمد، ولد سنة (١٥٠ هـ) وتوفي ببغداد سنة (٢٢٩ هـ).

ب- خلاد: وهو خلاد بن خالد بن خليل الصيرفي الشيباني الكوفي، ويكنى أبا عيسى، ولد سنة (١٢٩ هـ) وتوفي بالكوفة سنة (٢٢٠ هـ).

٧- الكسائي الكوفي: وهو علي بن حمزة، إمام النحاة الكوفيين، ويكنى أبا الحسن، من تابعي التابعين، وقيل له الكسائي لأنه أحرم في كساء، قال يحيى بن معين: ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي. وكان يؤدب ولدي الرشيد الأمين والمأمون. توفي في رَنْبُويَه في الري بخراسان عندما كان في صحبة الخليفة العباسي الرشيد<sup>(٣)</sup> سنة (١٨٩ هـ)<sup>(٤)</sup>، وأشهر رواته:

---

(١) كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان منطقة في العراق. انظر ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ١١١.

(٢) قال له أبو حنيفة يوماً: شيئا غلبتنا فيهما لا ننازعك في واحدٍ منها، القرآن، والفرائض. قال يحيى بن معين: سمعت محمد بن فضيل يقول: ما أحسب أن الله تعالى يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة.

(٣) ومات معه في المكان المذكور محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة. فقال الرشيد: دفنا الفقه والنحو في الري في يوم واحد، وفي رواية أنه قال: اليوم دفنا الفقه والعربية.

(٤) انظر معرفة القراء الكبار ١/ ١٢٠.

أ- الليث: وهو أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي، توفي سنة (٢٤٠هـ).

ب- حفص الدوري: وهو أبو عمر، الراوي عن أبي عمرو بن العلاء البصري، توفي سنة (٢٤٦هـ).

ومن هؤلاء القارئین السبعة، خمسة من الموالي، واثنان فقط من العرب هما: ابن عامر، وأبو عمرو بن العلاء، كما أورد ذلك الزركشي في «البرهان».

قراءة الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني: تابعي كبير القدر، مولى أم سلمة<sup>(١)</sup>، يروي قراءته عن عبد الله بن عياش المخزومي وابن عباس وأبي هريرة عن النبي ﷺ، توفي في المدينة سنة (١٣٣هـ)<sup>(٢)</sup>. رواها عنه:

عيسى بن وردان أبو الحارث الحذاء قال الداني: هو من جلة أصحاب نافع وقدمائهم، وقد شاركه في الإسناد، وهو إمام مقرئ وحاذق، وراوٍ محقق ضابط توفي في حدود (١٦٠هـ).

وسليمان بن مسلم بن جمار الزهري المدني أبو الربيع، كان مقرئاً جليلاً ضابطاً نبيلاً مقصوداً في قراءة أبي جعفر ونافع روى القراءة عرضاً عنهما. توفي بعيد سنة (١٧٠هـ).

---

(١) فقد صح أنه أتى به إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فمسحت على رأسه ودعت له بالخير. وأنه صلى بعبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) انظر ترجمته من معرفة القراء الكبار ١/ ٧٢.

قراءة الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري: أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية والرواية وكلام العرب والفقهاء. انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عمرو، وكان إمام جامع البصرة سنين<sup>(١)</sup>، توفي سنة (٢٠٥ هـ)<sup>(٢)</sup>. أشهر رواة قراءته:

(رؤيس): هو محمد بن المتوكل اللؤلؤي، أبو عبدالله البصري أخذ القراءة عن يعقوب الحضرمي، وهو من أحذق أصحابه. توفي بالبصرة سنة (٢٣٨ هـ).  
ورؤح بن عبد المؤمن الهذلي البصري النحوي أبو الحسن مقرئ ثقة مشهور ضابط، روى عنه البخاري في صحيحه، وعرض عليه القراءة خلق كثير توفي سنة (٢٣٤ هـ).

قراءة الإمام خلف بن هشام البزار الكوفي: من أئمة القراءة، وهو أيضا راوي قراءة حمزة، أخذ القراءة عن مالك بن أنس وحماد بن زيد، وأخذ عنه أبو عوانة، توفي سنة (٢٢٩ هـ)<sup>(٣)</sup>. رواها عنه:

إسحاق بن إبراهيم بن عثمان المروزي ثم البغدادي الوراق توفي سنة (٢٨٦ هـ).

وإدريس بن عبد الكريم الحداد سئل عنه الدارقطني فقال: هو ثقة وفوق الثقة بدرجة. توفي يوم الأضحى سنة (٢٩٢ هـ) عن ثلاث وتسعين سنة.

(١) انظر ترجمته من معرفة القراء الكبار ١/١٥٧.

(٢) وله ثمان وثمانون سنة. ومات أبوه عن ثمان وثمانين سنة وكذلك جده، وجد أبيه.

(٣) انظر ترجمته من معرفة القراء الكبار ١/٢٠٨.

فائدة (٢٠٣): قال أبو عمرو الداني: «ليس في القراء السبعة من العرب سوى اثنين: عبدالله بن عامر اليحصبي قارئ دمشق، وأبي عمرو بن العلاء المازني قارئ البصرة»<sup>(١)</sup>.

قال أبو محمد مكّي بن أبي طالب: «وأصح القراءات سنداً نافع وأفصحها أبو عمرو، والكسائي»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٠٤): قال السيوطي<sup>(٣)</sup>: «قد اشتهد إنكار أئمة هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية، وآخر من صرح بذلك الشيخ تقي الدين السبكي فقال في شرح المنهاج: قال الأصحاب: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبع ولا تجوز بالشاذ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة من الشواذ. وقد نقل البغوي الاتفاق على القراءة بقراءة يعقوب وأبي جعفر مع السبع المشهورة، وهذا القول هو الصواب، قال: واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين: منه ما يخالف رسم المصحف فهذا لاشك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها. ومنه ما لا يخالف رسم المصحف ولم تشتهر القراءة به وإنما ورد من طريق غريب لا يعول عليها، وهذا يظهر المنع من القراءة به أيضاً. ومنه ما اشتهر عن أئمة هذا الشأن القراءة به قديماً وحديثاً، فهذا لا وجه للمنع منه، ومن ذلك قراءة يعقوب وغيره».

---

(١) انظر التيسير في القراءات السبع ص ٦.

(٢) انظر الإتقان للسيوطي ١/ ٢٢٥.

(٣) في الإتقان ١/ ٩٦.

فائدة (٢٠٥): «باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءة في لمستم ولا مستم، وجواز وطء الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على الاختلاف في يطهرن»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٠٦): «لاختلاف القراءات وتنوعها فوائد: «منها التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة. ومنها إظهار فضلها وشرفها على سائر الأمم، إذ لم ينزل كتاب غيرهم إلا على وجه واحد. ومنها إعظام أجرها من حيث أنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه لفظة لفظة حتى مقادير المدات وتفاوت الإمالات، ثم في تتبع معاني ذلك واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، وإمعانهم في الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح. ومنها إظهار سر الله في كتابه وصيانتها له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة. ومنها المبالغة في إعجازه بإيجازه إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات»<sup>(٢)</sup>.

### القراءات الشاذة:

فائدة (٢٠٧): الشاذ لغة: يطلق على معان تدور في مجملها حول الانفراد، والندرة، والقلّة، والافتراق. يقال: (شذ الرجل) إذا انفرد عن أصحابه. ويقال: (شذ الشيء) إذا ندر عن جمهوره. ويقال: (جاء القوم شذاذا) أي: قلّالاً. ويطلق لفظ (شذان الإبل وشذانها) على ما افترق منها<sup>(٣)</sup>.

(١) البرهان للزركشي ١/٣٢٦، والإتقان للسيوطي ١/٢٢٦.

(٢) الإتقان للسيوطي ١/٢٢٧.

(٣) لسان العرب ٣/٤٩٤ - ٤٩٥.

فائدة (٢٠٨): تعريف القراءة الشاذة: هي القراءة التي اختل فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة. أو هي: ما نقل قرآنا من غير تواتر واستفاضة متلقاة من الأمة بالقبول<sup>(١)</sup>.

وأشهر القراءات الشاذة أربعة: قراءة ابن محيصن: محمد بن عبد الرحمن المكي (ت ١٣٢ هـ)<sup>(٢)</sup>، وقراءة يحيى اليزيدي: أبو محمد بن المبارك البصري (ت ٢٠٢ هـ)<sup>(٣)</sup>، وقراءة الحسن البصري (ت ١١٠ هـ)<sup>(٤)</sup>، وقراءة سليمان بن مهران الأعمش (ت ١٤٥ هـ)<sup>(٥)</sup>.

#### فائدة (٢٠٩): أنواع القراءات الشاذة:

١- ما ورد آحاداً وصح سنده، لكنه خالف رسم المصحف أو قواعد العربية.

٢- ما لم يصح سنده مع موافقته للرسم وقواعد النحو.

٣- القراءات الموضوعية المختلفة.

---

(١) انظر البحر المحيط للزركشي ١ / ٤٧٤، والبرهان في علوم القرآن ١ / ٣٣٢.

(٢) معرفة القراء الكبار ١ / ٩٨.

(٣) معرفة القراء الكبار ١ / ١٥١.

(٤) الزاهد الكبير المعروف، لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجاء فيه أيضاً أنه أتى به أم سلمة رضي الله عنها فبركت عليه، ومسحت برأسه. وكما تقدم فقد وقع مثل ذلك لأبي جعفر المدني. انظر معرفة القراء الكبار ١ / ٦٥.

(٥) معرفة القراء الكبار ١ / ٩٤ والتهذيب ٤ / ٢٢٤.

٤- القراءات التفسيرية: وهي التي سيقت على سبيل التفسير، مثل قراءة سعد (وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس) أو قراءة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيانها).

فائدة (٢١٠): حكم القراءات الشاذة: لا تعتبر القراءات الشاذة قرآناً، ولا يجوز اعتقاد قرآنتها، كما لا تجوز قراءتها في الصلاة أو خارجها. ويجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها في الكتب وتوجيهها<sup>(١)</sup>. وما صح من القراءات الشاذة حجة عند بعض الأصوليين<sup>(٢)</sup> في استنباط الأحكام الشرعية<sup>(٣)</sup>.

ولقد نقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى إجماع المسلمين على عدم جواز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من يقرأ به فقال: «وعلماء المسلمين مجمعون على ذلك إلا قوم شذوا لا يعرج عليهم»<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) وانظر المنتقى للباي ١ / ٢٤٤، والمجموع للنووي ٣ / ٣٩٢.
- (٢) ومنهم السرخسي، وأمير بادشاه، وابن قدامة، والطوفي، وابن اللحام، وأبو الحسين البصري. انظر أصول السرخسي ١ / ٢٨١، والمغني لابن قدامة ١٣ / ٥٢٩، وشرح مختصر الروضة للطوفي ٢ / ٢٥،
- (٣) وذهب فريق آخر إلى أن القراءة الشاذة ليست بحجة في الأحكام الشرعية، لعدم ثبوتها عندهم قرآناً ولا خبراً. وذهب إلى هذا القول الجويني، والغزالي، والآمدي. انظر البرهان للجويني ١ / ٦٦٦، والمنحول للغزالي ص ٢٨١، والإحكام للآمدي ١ / ١٦٠. قال النووي في شرح صحيح مسلم ٥ / ١٣٠ - ١٣١: «مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتاج بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ؛ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآناً لا يثبت خبراً».
- (٤) انظر التمهيد ٨ / ٢٩٣، وممن نقل الإجماع على ذلك أيضاً ابن حزم في المحلى ٤ / ٢٥٥.

فائدة (٢١١): الأحناف رحمهم الله تعالى يشترطون للعمل بالقراءة الشاذة أن تكون مشهورة، ولذلك لم يعملوا بقراءة أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: «فعدة من أيام آخر متتابعات». لأنها قراءة شاذة غير مشهورة، واحتجوا بقراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات». لأنها كانت مشهورة في زمن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

قال التفتازاني: «والقراءة الشاذة لم تنقل إلينا بطريق التواتر، بل بطريق الأحاد كما اختلف بمصحف أبي رضي الله عنه، أو الشهرة كما اختلف بمصحف ابن مسعود رضي الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢١٢): «قال أبو عبيد في فضائل القرآن: المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة: (والصلاة الوسطى صلاة العصر)، وقراءة ابن مسعود: (فاقطعوا أيماهما)، وقراءة جابر: (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم). قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٢١٣): ليس كل ما يراه القارئ في كتب التفسير أو اللغة أو النحو من قراءات منسوبة إلى واحد من هؤلاء القراء السبعة أو العشرة متواترا إلا إذا كان

---

(١) انظر البحر المحيط للزركشي ١ / ٤٧٦.

(٢) انظر التلويح على التوضيح ١ / ٢٧.

(٣) الإتقان للسيوطي ١ / ٢٢٧.

مذكورا في كتاب النشر أو الشاطبية أو الدرّة فقط، وما عدا ذلك فليس بمتواتر  
ولا يقال له قراءة سبعية أو عشرية لانقطاع سندها عنهم.

\*\*\*

## الفصل الرابع

الفوائد المتعلقة بالألفاظ من علوم القرآن الكريم



## الفصل الرابع

### الفوائد المتعلقة بالألفاظ من علوم القرآن الكريم

(الغريب، والمعرب، والمجاز، والمشارك، والمترادف، والاستعارة، والتشبيه)

#### الغريب:

فائدة (٢١٤): الغريب لغة: مفرد، وجمعه غرباء وهم الأبعد. وفي الاصطلاح:

هي الألفاظ الغريبة التي لا تتضح دلالتها على المعنى بشكل ظاهر.

فالغريب هو اللفظ الذي يطلق على معنى لا يعرف إلا بالتفتيش والبحث عنه في معاجم اللغة، ولا مدخل للرأي فيه، كـ (القَسْوَرَة) اسم للأسد، و(الأبَّ) من قوله تعالى: ﴿وَفَلَكِهَةٌ وَأَبَاٌ﴾ [عبس: ٣١]، وغير ذلك مما لا يعرف معناه إلا العلماء المطلعون، والنقلة الباحثون.

فائدة (٢١٥): لا وجود في القرآن لكلمة واحدة من الغريب حقاً، كما

يُعرِّفه اللغويون والنقاد. فالغريب الذي يعد عيباً في الكلام: هو ما ليس له معنى يفهم منه على جهة الاحتمال أو القطع، وما ليس له وجود في المعاجم اللغوية ولا أصل له في جذورها. فالغريب بهذا المعنى ليس له وجود في القرآن الكريم، ولا يحتاج على هذا بوجود بعض الألفاظ التي استعملت في القرآن من غير اللغة العربية مثل: استبرق، وسندس، واليَمِّ، لأن هذه الألفاظ كانت مأنوسة الاستعمال عند العرب حتى قبل نزول القرآن، وشائعة شيوعاً ظاهراً في محادثاتهم اليومية وكتاباتهم الدورية، كما أنها مفردات وليست تراكييب، بل أسماء مفردة لأشخاص أو أماكن أو معادن أو آلات. ثم إنها وإن لم تكن عربية الأصل، فهي بالإجماع عربية الاستعمال، ومعانيها كانت وما تزال معروفة في القرآن، وفي الاستعمال العام.

فائدة (٢١٦): غريب القرآن الكريم: هي الألفاظ التي يخفى معناها ويدق على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة، أو بسبب استعمالها في غير المعنى الذي وضعت له، فالغرابة هنا غرابة نسبية وليست مطلقة. والغريب النسبي بكل الاعتبارات المتقدمة غريب فصيح سائغ، وليس غريباً عديم المعنى، أو لا وجود له في معاجم اللغة ومصادرها، وهذا موضع إجماع بين علماء اللغة والبيان.

فائدة (٢١٧): لضياء الدين ابن الأثير الكاتب رأي خاص في الغريب حيث ذهب إلى أن منه الحسن ومنه القبيح، وأن النقاد قد خفي عليهم أمره فوصفوه بالقبح، وفاتهم أنه نوعان: غريب حسن وغريب قبيح، وقسم الألفاظ في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»<sup>(١)</sup> إلى ثلاثة أقسام: (قسمان حسنان وقسم قبيح، فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشي. والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر، ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله، وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات عدة وهي التي يطلق عليها غريب القرآن<sup>(٢)</sup>، وكذلك

(١) ص ٥٦.

(٢) قال الجرجاني في دلائل الإعجاز ص ١١٥: «وتأمل ما جمعه العلماء في غريب القرآن فترى الغريب منه إلا في القليل، إنما كان غريباً من أجل استعارة هي فيه كمثل: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ﴾ ومثل: ﴿حَكِّمُوا بُعِيثًا﴾ ومثل: ﴿فَأَصْدَعُ يَمًا تُؤْمَرُ﴾ دون أن تكون اللفظة غريبة في نفسها. إنما ترى ذلك في كلمات معدودة كمثل: ﴿مَجَلَّ لَنَا قَطْنَا﴾، و﴿ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسْرِ﴾ و﴿جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِيًّا﴾».

تضمن الحديث النبوي منه شيئاً<sup>(١)</sup> وهو الذي يطلق عليه غريب الحديث).

ثم يوضح اللفظ القبيح والذي يسميه أيضاً بالوحشي الغليظ والمتوعر فيقول: «فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به، وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله، فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة، وذلك في اللفظ عيبان، أحدهما أنه غريب الاستعمال والآخر أنه ثقيل على السمع كرهه على الذوق. وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته، وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضاً المتوعر»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢١٨): «قال أبو بكر الأنباري: قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيراً الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك. وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن. قالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث. قال: وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلاً للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) ومنه في حديث النبي ﷺ: «على التبعة شاة. والتبعة لصاحبها، وفي السيوب الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار، من أجبي فقد أربى» وهذا كتابه إلى الأقبال العباهلة. انظر كتاب الصاحبى لابن فارس ص ١٣.
- (٢) انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ص ٥٦.
- (٣) الإتقان للسيوطي ٥٥ / ٢.

فائدة (٢١٩): كان ابن عباس رضي الله عنه يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن إلى الشعر الجاهلي، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن، ويحض على الرجوع إلى الشعر العربي القديم، ليُستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنية الغريبة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أصحابه عن معنى قوله تعالى في الآية [٤٧] من سورة النحل: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] فيقوم له شيخ من هذيل فيقول له: هذه لغتنا، التَخَوُّفُ: التنقص، فيقول له عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فيقول له: نعم، ويروي قول الشاعر:

تَخَوَّفَ الرَّحْلَ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا      كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفِينُ<sup>(١)</sup>

فيقول عمر رضي الله عنه لأصحابه: «عليكم بديوانكم لا تضلُّوا»، قالوا: وما ديواننا؟ قال: «شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم». ويعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك أول من سنَّ هذا المنهج.

غير أن ابن عباس، امتاز بهذه الناحية واشتهر بها أكثر من غيره، فكثيراً ما كان يسأل عن القرآن فينشده فيه الشعر، وقد رُوي عنه الشيء الكثير من ذلك<sup>(٢)</sup>، وأوعب ما رُوي عنه مسائل نافع بن الأزرق وأجوبته عنها، وقد بلغت مائتي مسألة، أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب «الوقف والابتداء»، وأخرج الطبراني

(١) تَمَكَّ السنام: طال وارتفع، القرد: المتراكم بعض لحمه فوق بعض، النبعة: شجرة من

أشجار الجبال، يتخذ منها القسي، السفن: القشر. انظر تفسير للقرطبي ١٠/ ١١٠.

(٢) يقول سعد بن جبير ويوسف بن مهران: «سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا». الجامع لأحكام القرآن

٢٤/١.

بعضها الآخر في معجمه الكبير، وقد ذكر السيوطي في «الإتقان»<sup>(١)</sup> بسنده مبدأ هذا الحوار الذي كان بين نافع وابن عباس<sup>(٢)</sup>، وسرد مسائل ابن الأزرق<sup>(٣)</sup> وأجوبة ابن عباس عنها.

فائدة (٢٢٠): أقدم من عزي إليه كتاب بهذا العنوان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وقد جمع السيوطي من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم قائمة منسوبة إلى ابن عباس تفسر كلمات، مرتبة على سور القرآن وآياتها. ولكن هذا لم يكن ديدن ابن عباس في كل تفسيراته، لأن محاورته مع نافع بن الأزرق الحنفي (ت ٦٥ هـ) تكشف عن اهتمام شديد بالشواهد الشعرية. ويؤيد ذلك قوله: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب.

فائدة (٢٢١): نسب العلماء كتباً في الغريب إلى أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ) وأبي الحسن النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) وأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) وأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) وأبي عبيد القاسم

(١) ٥٥/١.

(٢) وهي عبارة عن أسئلة وجهها نافع بن الأزرق (ت ٦٥ هـ) وصاحبه نجدة بن عويمر الحروري (ت ٦٩ هـ) وهما من قادة الخوارج لابن عباس رضي الله عنهما بغرض إخراجهم وتعجيزه واشترط عليه أن يأتي بشاهد من أشعار العرب على كل تفسير يذكره. وانظر «الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق» لبنت الشاطيء.

(٣) نافع بن الأزرق الحنفي البكري الوائلي (ت ٦٥ هـ) كان رأس الخوارج في وقته وتنتسب إليه فرقة الأزارقة، الذين كانوا يرون تكفير مخالفيهم واستحلال أموالهم وتخليد هم في النار، وقد أوجبوا على المرأة الحائض أن تؤدي جميع أعمالها العبادية ولا تنقص منها شيئاً. اجتاح القرى في جنوب شرق العراق وقتل وسبى الكثير من أهلها. حتى قتل في وقعة دولا ب عام ٦٥ هـ أيام خلافة عبد الله بن الزبير.

ابن سلام (ت ٢٢٤هـ) وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت ٢٩١هـ).

فائدة (٢٢٢): يعد كتاب الراغب المسمى «المفردات في غريب القرآن» علماً بارزاً في هذا الفرع من العلوم، بفضل ترتيبه وعلاجه الاستعمال المجازي، ومحاولته تتبع دوران اللفظ في القرآن، فكتابه أشبه ما يكون بمعجم كامل للألفاظ القرآنية. ومن أتى بعده سار على منواله. قال السيوطي: «ومن أحسنها - أي معرفة غريب القرآن - المفردات للراغب»<sup>(١)</sup>.

### المعرب:

فائدة (٢٢٣): (المعرب) بضم الميم وفتح العين والراء المشددة هو نقل لفظ من غير العربية إليها، مستعملاً في معناه مع نوع تغيير، أي ليكون أمانة على التعريب. ومن هنا عُلِمَ أن العَلَمَ غير معرَّب، إذ لا تغيير فيه.

فائدة (٢٢٤): وقد اختلف العلماء في (المعرب)، هل ورد في القرآن الكريم أم لا؟، والصحيح أنه ورد فيه لكن بقله جداً، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] مع المراد الغالب، أو أن الأعجمي الذي فيه صار عربياً باستعمال العرب له وتناسى أصله، أو أنه من توافق اللغات<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٢٥): مثال ذلك: (أَوَاهُ) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، فإن معناه الموقن بلغة الحبشة<sup>(٣)</sup>. وكذلك

(١) الإيتقان ١/٣٠٣.

(٢) انظر الإيتقان للسيوطي ٢/١٠٦، والمزهر في علوم اللغة ١/٢٦٨.

(٣) الدر المنثور ٤/٣٠٦.

(الكِفْل) من قوله تعالى: ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، فإن معناه الضعف بكسر الصاد، بلغة الحبشة<sup>(١)</sup>. وكذلك (القِسْطَاسُ) بمعنى العدل أو الميزان بلغة الروم<sup>(٢)</sup>، ﴿سِينِينَ﴾ [التين: ٢] فإن معناه: الحسن بلغة الحبشة<sup>(٣)</sup>، ﴿سَفْرَقَ﴾ [القمر: ٤٨] معناها القراء بالنبطية<sup>(٤)</sup> وغير ذلك. وللسيوطي مؤلف جمع فيه كل ذلك هو «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» مطبوع<sup>(٥)</sup>.

فائدة (٢٢٦): قد أنكر الجمهور هذه الكلمات ونحوها مما استعملت في لغة أخرى في كونها معرّبة، وقالوا هي من توافق لغة العرب ولغة غيرهم. وهو مذهب الأكثرين كما في الإتيان<sup>(٦)</sup>، منهم الشافعي وابن جرير<sup>(٧)</sup>، وأبو عبيدة، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وابن فارس، وهو الأصح عند الأصوليين، وذلك لقوله تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فإنه يدل على أن كله عربي، فليس فيه عربي وغيره، فلو كان فيه معرب لاشتمل على غير عربي، فلا يكون كله عربياً، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ آيَاتُهُ أَءِئِنَّهٗ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤] وقد شدد الشافعي في رسالته<sup>(٨)</sup> بوجود المعرب في القرآن.

(١) الدر المنثور ٨/ ٨٧.

(٢) الدر المنثور ٥/ ٢٨٥.

(٣) تفسير الطبري ١٥/ ٢٤٠.

(٤) الدر المنثور ٨/ ٤١٨.

(٥) ولقد أورد السيوطي الألفاظ الأعجمية مرتبة على حروف المعجم فانظرها من الإتيان ١٠٨/ ٢-١١٩.

(٦) الإتيان ٢/ ١٠٥.

(٧) تفسير الطبري ١/ ١٣.

(٨) الرسالة للإمام الشافعي ص ٤٠ و ٤٢. وقال: «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي».

وقد أجاب القائلون بوجود المعرّب في القرآن كما في شرح النقاية بأن هذه الألفاظ القليلة لا تخرجه عن كونه عربياً، فالقصيدة العربية التي فيها كلمة فارسية، لا تخرج عن كونها عربية، وبالعكس، وهذا جواب عن الآية الأولى، وأما الجواب عن الثانية، فإن المعنى في السياق هو: أكلام أعجمي ومخاطب عربي؟<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٢٧): قال الإمام الشافعي<sup>(٢)</sup>: «ومن جماع علم كتاب الله العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب... فالواجب على العالمين أن لا يقولوا إلا من حيث علموا وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له إن شاء الله، فقال منهم قائل إن في القرآن عربياً وأعجمياً والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب».

فائدة (٢٢٨): قال السيوطي<sup>(٣)</sup>: «وقال غيره: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتها بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم، فعلمت من لغاتهم ألفاظ، غير بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن»<sup>(٤)</sup>.

فائدة (٢٢٩): «قال أبو عبيد القاسم بن سلام: والصواب عندي فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها

(١) انظر تفسير ابن كثير ١١١/٤.

(٢) الرسالة ص ٤٠-٤٣.

(٣) الإتقان ١٠٥/٢.

(٤) وانظر إلى مبحث المعربات من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام فقد أفاد فيه مؤلفه وأجاد.

عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فصادق. ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون»<sup>(١)</sup>.

### الحقيقة والمجاز في القرآن:

فائدة (٢٣٠): المجاز مَفْعَل، من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكان الذي وضع به أولاً<sup>(٢)</sup>.

قال عثمان بن جنبي (ت ٣٩٢هـ): «الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقال السكاكي (ت ٦٢٦هـ): «المجاز هنا هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً لا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع»<sup>(٤)</sup>.

فائدة (٢٣١): قال السيوطي<sup>(٥)</sup>: «لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، والحقيقة<sup>(٦)</sup> كل لفظ بقي على موضوعة ولا تقديم فيه ولا تأخير، وهذا أكثر

(١) الإتقان للسيوطي ١٠٨/٢، والمزهر في علوم اللغة ١/٢٦٨.

(٢) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٦٥. وانظر لسان العرب لابن منظور مادة جاز.

(٣) انظر الخصائص ٤٤٢/٢.

(٤) مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٠.

(٥) الإتقان ١٠٩/٣، وانظر البرهان للزركشي ٢/٢٥٥.

(٦) وهي في اللغة مأخوذة من الحق، والحق هو الثابت اللازم، وهو نقيض الباطل، ومنه يقال حق الشيء حقه، ويقال حقيقة الشيء أي ذاته الثابتة اللازمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الزمر ٧١، أي وجبت، وكذلك قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ﴾ الأعراف ١٠٥، أي واجب علي.

الكلام. وأما المجاز<sup>(١)</sup> فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه، وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزّه عنه، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى، وهذه شبهة باطلة، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن؛ فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها».

فائدة (٢٣٢): قال الإمام عبد القاهر الجرجاني<sup>(٢)</sup>: «ومن قدح في المجاز، وهم أن يصفه بغير الصدق فقد خبط خبطاً عظيماً، وتهدف لما لا يخفى».

قال ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ): «إن العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعدّه من مفاخر كلامها»<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن قتيبة<sup>(٤)</sup>: «وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تسأل: وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً كان أكثر كلامنا فاسداً».

---

(١) وأما المجاز فمأخوذ في اللغة من الجواز وهو الانتقال من حال إلى حال، ومنه يقال جاز فلان من جهة كذا إلى جهة كذا.

(٢) أسرار البلاغة ص ٣٦١.

(٣) العمدة في محاسن الشعر: ١ / ٢٦٥.

(٤) في تأويل مشكل القرآن ص ١٣٢.

فائدة (٢٣٣): الذين أنكروا المجاز قلة لا تكاد تذكر بجانب تلك الكثرة من المجيزين، وإنكار المجاز - بعد التحقيق - لا يكاد يوجد، لأن من قال بإنكاره في القرآن لم يمنع وقوعه في اللغة، وأكثر منكري المجاز أنكروه في القرآن دون اللغة، وثلاثة أنكروه مطلقاً وهم أبو إسحق الاسفرائيني وابن تيمية وابن قيم الجوزية<sup>(١)</sup>، وهم وإن أنكروه من جهة فقد أقرّوا به من جهات في حر كلامهم.

قال الشوكاني: «وكما أن المجاز واقع في الكتاب العزيز ووقوعا كثيرا فهو أيضا واقع في السنة ووقوعا كثيرا والإنكار لهذا الوقوع مباحة لا يستحق المجاوبة»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٣٤): الكذب يختلف عن المجاز فالكذب عبارة عن الإخبار عن شيء يخالف الواقع من دون نصب قرينة على مخالفة هذا الخبر للواقع؛ كأن يقول شخص مثلاً: جاء زيد، ولم يكن قد جاء بعد، أو: لم يأت زيد، وكان قد أتى فعلاً.

فائدة (٢٣٥): والمجاز: عبارة عن استعمال لفظ في خلاف المعنى المفهوم والمعهود عرفاً، مع نصب قرينة على أنّ هذا الاستعمال غير المعهود كان لجهة من الجهات؛ كأن يقول شخص مثلاً: رأيت أسداً منهمكاً برمي السهام، ومقصوده من لفظ الأسد ليس الأسد الحيوان المفترس، بل الرجل الشجاع الذي عبّر عنه

---

(١) انظر رد الشوكاني عليهم من كتاب إرشاد الفحول ١ / ٤٥، وفيه قال: «وعلى كل حال فهذا لا ينبغي الاشتغال بدفعه ولا التطويل في رده فإن وقوع المجاز وكثرته في اللغة العربية أشهر من نار على علم وأوضح من شمس النهار، قال ابن جني: أكثر اللغة مجاز».

(٢) إرشاد الفحول ١ / ٤٦.

لشجاعته بالأسد، وذكر قرينة في كلامه لهذا الاستعمال، وهي عنوان الرمي ،  
فمعلوم أنّ الأسد لا يرمي السهام، بل الرجل الشجاع هو الذي يفعل ذلك.

ومثل هذه الاستعمالات صحيحة جداً، بل هي أبلغ وأفضل في إيصال مراد  
المتكلم بواسطة استعمال اللفظ في معناه الثانوي، للعلاقة الموجودة بين المعنى  
المتعارف والمعنى الفعلي الاستعمالي؛ ويقال لمثل هذا الاستعمال: الاستعمال  
المجازي؛ والعلاقة ووجه الارتباط بين المعنيين كثيرة ومتعددة، كعلاقة  
الإشراف، والتشبيه، والاستلزام، وسائر الأنواع والعلاقات والروابط التي  
أوصلوها في بعض كتب البيان إلى خمس وعشرين علاقة.

فائدة (٢٣٦): تشترك الحقيقة والمجاز في امتناع اتصاف أسماء الأعلام بهما  
كزيد وعمرو وذلك لأن الحقيقة على ما تقدم إنما تكون عند استعمال اللفظ فيما  
وضع له أولاً، والمجاز في غير ما وضع له أولاً، وذلك يستدعي كون الاسم  
الحقيقي والمجازي في وضع اللغة موضوعاً لشيء قبل هذا الاستعمال في وضع  
اللغة، وأسماء الأعلام ليست كذلك فإن مستعملها لم يستعملها فيما وضعه أهل  
اللغة له أولاً ولا في غيره لأنها لم تكن من وضعهم فلا تكون حقيقة ولا مجازاً<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٣٧): لا يختص استعمال اللفظ المجازي بالعربية دون غيرها،  
لكنه أكثر انتشاراً في اللغات التي تكون دائرة معاني مفرداتها واشتقاقاتها أكبر،  
وفصاحتها وبلاغتها أقوى، كما هو في العربية. ولا ترقى جميع لغات الدنيا إلى  
العربية في اتساع اللغة ومصادر الاشتقاق، وفي لطف قرينة الكلام، والفصاحة

---

(١) وقد فصل ذلك الإمام الزركشي في كتابه البحر المحيط ١/ ٥٨٣ فانظره.

التامة والبلاغة الكاملة، وقول الشعر بداهة، وبيان المعاني الكثيرة والمطالب المحتشدة والنكات الدقيقة بأوجز عبارة وأقل بيان<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٣٨): يتميز المشترك عن المجاز بأنه يقصد بالمشترك تلك الألفاظ التي يصلح الواحد منها لعدة معان مختلفة من غير أن تكون هناك علاقة بينها مثل لفظة النهار التي تطلق على مدلولها المعروف، وعلى فرخ الحبارى، ولفظة الليل لهذا الجزء من الزمان ولولد الكروان<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٣٩): ثم المجاز عندهم ينقسم إلى قسمين:

الأول: مجاز في التركيب<sup>(٣)</sup>، ويسمى مجازاً في الإسناد، ومجازاً عقلياً<sup>(٤)</sup>، وعلاقته الملابس، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة، لملاسته له، كقوله

(١) ولقد زاد استعمال لفظ المجاز لدرجة أنه قد ساوى في اتساعه استعمال اللفظ الحقيقي في معناه، حتى أن الزمخشري قد كتب لهذا السبب كتاباً في اللغة سماه (أساس البلاغة) يتكفل بتمييز وتشخيص المعاني الحقيقية عن المجازية، ونظم حسب ترتيب الحروف الهجائية لكل مادة، فيذكر المعنى الحقيقي لها ثم يعدد تحت عنوان (ومن المجاز) جميع المعاني المجازية الواردة في كلام العرب والأمثلة والأشعار والقرآن الكريم.

(٢) وانظر أسرار البلاغة ص ٣٩٦.

(٣) وهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي بشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي: بشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور، لأمر واحد كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

(٤) «وحده أن كل كلمة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه من العقل لضرب من التأويل فهو مجاز». أسرار البلاغة للجرجاني ص ٣٥٦.

وهو الذي تتوصل إليه بحكم العقل، وضرورة الفطرة، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] فليس الجدار كائناً مريداً، ولا هو بقادر على هذا الفعل، وقد أدركنا بالضرورة العقلية، ومن سياق الإسناد الجملي، أن المجاز هو الذي أشاع روح الإرادة في الجدار، وكأنه يريد.

تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢] أسندت الزيادة وهي فعل الله، إلى الآيات لكونها سبباً لها أي عادة لا حقيقة، لأن السبب الحقيقي هو الله تعالى.

والثاني: مجاز في المفرد، ويسمى المجاز اللغوي، والمجاز المرسل<sup>(١)</sup>، وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولاً، لعلاقة غير مشابهة<sup>(٢)</sup>. وقد نظم السيد العلامة علوي بن عباس المالكي علاقات المجاز المرسل في بيتين بقوله:

عَلَّقَ بِكُلِّ سَبَبٍ أَوَّلٍ بَدَلَ      وَلَا زِمَ عَمُومٍ إِطْلَاقٍ مَحَلَّ  
مِقَابِلٍ لِذِي تَعَلَّقٍ حَصَلَ      جِوَارٍ اسْتِعْدَادِ آلَةِ الْعَمَلِ

فائدة (٢٤٠): الفرق بين قسمي المجاز من وجهين: الأول: أن المجاز العقلي من عوارض الإسناد. والمجاز اللغوي من عوارض الألفاظ، والثاني: أن المجاز العقلي من مباحث علم المعاني، والمجاز اللفظي من مباحث علم البيان.

فائدة (٢٤١): وللمجاز أيضاً أنواع كثيرة: منها (اختصار الحذف) نحو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

(١) أي ويسمى نوع منه مجازاً مرسلًا: «وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملائمة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها، ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولي لها، فلا يقال: اتسعت اليد في البلد، أو اقتنيت يدا، كما يقال: اتسعت النعمة في البلد، أو اقتنيت نعمة، وإنما يقال: جلّت يده عندي، وكثرت أياديه لدي، ونحو ذلك» الإيضاح للقزويني ص ٢٨٠.

وأما النوع الآخر فيسمى استعارة، والفرق بينهما أن العلاقة في الاستعارة هي المشابهة، وفي المجاز المرسل غيرها. (٢) قيد خرج به الاستعارة.

[البقرة: ١٨٤] أي فأفطر فعدة.. الخ، ونحو قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦] أي فأرسلوه، فجاء فقال: يا يوسف. ثم كون الاختصار من أنواع المجاز على المشهور، وقد أنكره بعضهم كما في الإتيان<sup>(١)</sup>؛ لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضعه، والحذف ليس كذلك.

فائدة (٢٤٢): ليس هناك اتفاق على عدّ الحذف من أضرب المجاز. والمشهور أنه من المجاز<sup>(٢)</sup> وقد ذهب ابن عطية إلى اعتداد الحذف من المجاز، حيث قال: «وحذف المضاف هو عين المجاز، أو معظمه. وهذا مذهب سيبويه وغيره، وليس كل حذف مجازاً»<sup>(٣)</sup>.

وقد مثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٣] أي أهل القرية فإن حكم القرية في الأصل هو الجر، والنصب فيها مجاز، باعتبار أن المضاف محذوف، وأعطي للمضاف إليه حكم المضاف، فأصبح منصوباً وحقه الجر أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣] والعجل ليس موضع ذلك، بل المراد حبّ العجل، فحذف المضاف وأقام مقامه المضاف إليه، للدلالة على هذه الحقيقة الثابتة.

ومن أهل العلم من وضع معياراً عنده يتحدد كون الحذف من المجاز أم لا. وهذا ما ذكره عز الدين الزنجاني<sup>(٤)</sup> في قوله: «الحذف مجاز إذا تغير الحكم بسببه، وإلا فلا. مثلاً زيد منطلق وعمرو، ليس مجازاً رغم حذف الخبر».

(١) ١٢٤/٣.

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٢١٢/١، ومعاني القرآن للفراء ٣٦٣/١.

(٣) وانظر الإتيان ١٢٤/٣.

(٤) انظر أسرار البلاغة ٣٨٣، والبرهان للزركشي ١٠٣/٣.

فائدة (٢٤٣): قال عبد القاهر الجرجاني<sup>(١)</sup>: «ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن يتوهموا أبدأً في الألفاظ الموضوععة على المجاز والتمثيل أنها على ظواهرها، فيفسدوا المعنى بذلك، ويطلوا الغرض، ويمنعوا أنفسهم والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف. وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه، وجعلوا يكثرون في غير طائل. هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به. ونسأل الله تعالى العصمة والتوفيق».

فائدة (٢٤٤): في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] قال ابن قتيبة<sup>(٢)</sup>: «إنما أراد أنه يجعل لهم في قلوب العباد محبة، فأنت ترى المخلص المجتهد محبباً إلى البر والفاجر، مهيباً، مذكوراً بالجميل، ونحوه قول الله سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]، لم يرد في هذا الموضوع أني أحببتك، وإن كان يحبه، وإنما أراد أنه حبه إلى القلوب، وقربه من النفوس، فكان ذلك سبباً لنجاته من فرعون، حتى استحياه في السنة التي يقتل فيها الولدان».

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩] يرى ابن قتيبة أن ليس السبات هنا النوم، فيكون معناه فجعلنا نومكم نوماً، ولكن السبات الراحة، أي جعلنا النوم راحة لأبدانكم، ومنه قيل: يوم السبت، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة، وكان الفراغ منه يوم السبت، فقيل لبني إسرائيل: استريحوا في هذا اليوم، ولا تعملوا شيئاً، فسمي يوم السبت، أي: يوم الراحة. وأصل السبت التمدد،

(١) دلائل الإعجاز ص ٨٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٧٩.

ومن تمدد استراح، ومنه قيل: رجل مسبوت... ثم قد يسمى النوم سباتا، لأنه بالتمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٤٥): «ومن هنا كان «تلخيص البيان في مجازات القرآن» - لأبي الحسن الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) - أول كتاب كامل ألف لغرض واحد، وهو متابعة المجازات والاستعارات في كلام الله كله سورة سورة وآية آية، ومن هنا كانت القيمة العلمية لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله لهذا الغرض. فهو يقوم في التراث العربي الإسلامي وحده شاهدا على أن الشريف الرضي خطأ أول خطوة في التأليف في مجازات القرآن واستعاراته تأليفا مستقلا بذاته، ولم يأت عرضا في خلال كتاب، أو بابا من أبواب مصنف<sup>(٢)</sup>».

وقد أفرده المجاز بالتصنيف من الشافعية الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) في كتابه «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٢٤٦): كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة معمر بن المثنى الليثي (ت ٢١٠ هـ) ليس في مجاز القرآن بالمعنى الاصطلاحي بل هو كتاب لغة وتفسير مفردات، وشرح غريب القرآن، قال فؤاد سزكين في مقدمة تحقيقه لكتاب المجاز لأبي عبيدة: «ومهما كان من أمر فإن أبا عبيدة يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات: (مجاز كذا) و(تفسير كذا) و(معناه كذا) و(غريبه) و(تقديره) و(تأويله) على أن معانيها واحدة أو تكاد. ومعنى هذا أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطريق

---

(١) تفسير القرطبي ٣٨/١٣.

(٢) مقدمة تلخيص البيان ص ٣٠. حققه الأستاذ محمد عبد الغني حسن.

(٣) مطبوع.

التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز»<sup>(١)</sup>. فمجاز القرآن يقصد أبو عبيدة به المعبر إلى فهمه، فالتسمية لغوية وليست اصطلاحية.

## المشترك في القرآن:

فائدة (٢٤٧): المشترك: هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة. وقد اختلف الناس فيه فالأكثر على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ بل من الناس من أوجب وقوعه قال: لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وزع لزم الاشتراك.

والمراد بالمشترك هنا: المشترك اللفظي، إذ هو المنصرف إليه عند الإطلاق لا المعنوي. والفرق بينهما: أن المشترك اللفظي: هو ما تعدد فيه الوضع والمعنى، دون اللفظ، كما ستأتي أمثله<sup>(٢)</sup>.

والمشترك المعنوي: هو ما اتحد فيه الوضع والمعنى واللفظ، لكنه يشمل أفراداً أي من حيث معناه الواحد له أفراد، لا من حيث لفظه، وذلك كلفظ العين المراد به الباصرة، فإن لفظه واحد، وكذلك الوضع والمعنى لكنه يشمل عين زيد وعمرو وبكر وغيرهم وكالإنسان فإن لفظه ووضع ومعناه واحد، وهو الحيوان الناطق، ولكنه يشمل أفراداً كزيد وبكر وخالد. وأما القدر المشترك فيه، فهو القدر الذي يشترك فيه الجزئيات المختلفة الحقائق كالحوانية في القدر الذي يشترك فيه الإنسان والبقر، وكالجسمية في القدر الذي يشترك فيه الإنسان والحجر.

(١) مقدمة سزكين لكتاب المجاز ١/ ١٨.

(٢) المزهر ١/ ٣٦٩.

فائدة (٢٤٨): المشترك المعنوي يعني أن لفظاً واحداً يكون موضوعاً لمعنى واحد ولكنه معنى كلي وعام، وله مصاديق متعددة. مثاله: لفظ (الكتاب) لفظ موضوع لمعنى الكتاب، فاللفظ واحد والمعنى واحد - كلي وعام - لأن معنى الكتاب، ينطبق على الكتاب الصغير والكتاب الكبير، المطبوع والمخطوط، القديم والحديث، فالاشتراك هنا في المعنى، ولكن المصاديق مختلفة ومتغايرة، ولذلك نقول المشترك هنا معنوي.

فائدة (٢٤٩): أمثلة المشترك اللفظي كثيرة منها: (قرء) فإنه للحيض والطهر. و(ويل) فإنها لكلمة عذاب، ولواد في جهنم، كما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري. و(ند) بكسر النون، فإنه للمثل والضد. و(المولى) فإنه للسيد والعبد. و(تواب) فإنه للتائب والقابل للتوبة. و(الغيي) فإنه اسم لواد في جهنم، ولضد الرشد، كما قاله ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] و(مضارع) فإنه يستعمل للحال والاستقبال. و(ورا) بالقصر: لغة في وراء، فإنه للخلف والأمام كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ [الكهف: ٧٩] أي أمامهم.

فائدة (٢٥٠): «قال ابن فارس في كتاب الأفراد: كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ [الزخرف: ٥٥]، فمعناه: أغضبونا. وكل ما فيه من ذكر البروج فهي الكواكب إلا ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]، فهي القصور الطوال الحصينة. وكل ما فيه من ذكر البر والبحر، فالمراد بالبحر الماء، وبالبر التراب اليابس إلا ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الروم: ٤١]، فالمراد به البرية والعمران. وكل ما فيه من بخس فهو النقص إلا ﴿ بِشْمَنِ بَخِيسٍ ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي حرام. وكل ما فيه من البعل فهو الزوج إلا

﴿ أَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [الصفات: ١٢٥]، فهو الصنم، وكل ما فيه من البكم فالخرس عن الكلام بالإيمان إلا ﴿ عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧]، و﴿ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ ﴾ [النحل: ٧٦]، فالمراد به عدم القدرة على الكلام مطلقاً. وكل ما فيه جثياً فمعناه: جميعاً إلا ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ [الجاثية: ٢٨]، فمعناه: تجثو على ركبها. وكل ما فيه من حسابان فهو العدد إلا ﴿ حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [الكهف: ٤٠] فهو العذاب....<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>.

### المترادف في القرآن:

فائدة (٢٥١): الترادف مأخوذ من الرديف، وهو: ركوب اثنين على دابة واحدة<sup>(٣)</sup>. والترادف: التتابع. وقد فسّر الزجاج قوله تعالى: ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] معناه: يأتون فرقة بعد فرقة. وقال الفراء: مردفين متتابعين.

(١) انظر الإتيان للسيوطي ١٣٢/٢.

(٢) ما ذكره ابن فارس يندرج تحت باب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، قال ابن الجوزي: «واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضوع الآخر. وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه». وقال الزركشي في البرهان: «فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ «الأمة». والنظائر كالألفاظ المتواطئة». ولقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) كتاب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. وألف فيه ابن العماد الحنبلي (ت ٨٨٧ هـ) كتاباً سماه «كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر»، وكذلك السيوطي في كتابه «معترك الأقران في مشترك القرآن».

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥٠٣/٢. ومثاله: الرحمة، والرقعة، والشفقة، والحنو، والحنان، والعطف، والرأفة، ومثل رأيت الشيء، وأبصرته، وعايته، وشاهدته. ومثل: هفوة، وزلة، وسقطة، وعشرة، وكبوة.

والمترادف اصطلاحاً: ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة<sup>(١)</sup>، وهو ضد المشترك، أخذاً من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٥٢): يقصد بالترادف هنا التقارب في المعنى، وليس التساوي والتطابق، فالترادفات كلمات تقاربت في المعنى وإن اختلفت من بعض الوجوه، فالترادف لا يعني التشابه التام إنما أن يُقام لفظ مقام لفظٍ لمعانٍ متقاربة يجمعها معنى واحد كما يقال: أصلح الفاسد ولم الشعث ورتق الفتق وشعب الصدع. ولا تكون المترادفات بمعنى واحد، بل تكون الكلمات مترادفة إذا كان لها نفس المعنى أو معنى آخر مقارب للمعنى الأول في كل الاستعمالات أو في بعض هذه الاستعمالات. وهذا التوصيف يساعد كثيراً على التفرقة بين المترادفات في القرآن الكريم، إذ إن التنزيل الرباني حين يذكر الكلمة في موضع ثم يذكر كلمة مترادفة في موضع آخر لا يكون معنى الكلمتين واحداً من كل الوجوه.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢] ومعنى ردف هنا (اقترب) أي أن الترادف يعني التقارب ولا يعني التوافق أو التساوي.

فائدة (٢٥٣): نجد في اللغة العربية استعمال لفظين لمعنى واحد ويسمى (بالترادف)، كالغيم والسحاب، والعقل والنهى، والريب والشك،

---

(١) أو تقبول الترادف: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد. انظر «نهاية السؤل شرح منهاج الوصول» للأسنوي ١/ ٢٣٧.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٩٩.

والبارئ والخالق»، وتبلغ العربية حدّ الإعجاز وهي تعبّر عن صوت الشيء الواحد بألفاظ مختلفة تراعي معها التفاوت في علّوه وهبوطه وعمقه وسطحيّته... فإن صوت الماء إذا جرى خريّر، وإذا كان تحت ورق أو قماش قسيب، وإذا دخل في مضيق فقيق، وإذا تردّد في الجرّة أو الكوز بقبقة، وإذا استخرج شراباً من الأنية قرقرة<sup>(١)</sup>.

**فائدة (٢٥٤):** الاعتماد على المرادف اللغوي هو منهج أساسي من المناهج المتبعة في تفسير مفردات القرآن الغريبة، ومن الأمثلة العملية على وجود الترادف، وتفسيره بالمرادف، هو تفسير (أبق) بـ (هرب)، وتفسير (تفتهم) بـ (وسخهم)، وتفسير (أجاج) بـ (شديد الملوحة)، وتفسير (لا ريب فيه) بـ (لا شك فيه).

وهكذا فسرت ألفاظ القرآن المفردة ذات الدلالة الغريبة على القارئ والسامع بمفردة لغوية أخرى مألوفة المعنى عنده. ولهذا الغرض ألفت تفاسير: تعنى بمفردات غريب ألفاظ القرآن لبيان معانيها ودلالاتها، كمفردات الراغب الأصفهاني، وغريب القرآن للسجستاني، وغريب القرآن لأبي عبيدة، وغريب القرآن لابن قتيبة وغيرها كثير.

**فائدة (٢٥٥):** ويمكن إجمال آراء العلماء في الترادف فيما يلي:

١- فريق أثبت وجود الترادف<sup>(٢)</sup> واحتجّ لوجودها بأن جميع أهل اللغة «إذا أرادوا أن يفسروا اللبّ قالوا: هو العقل، أو الجرح قالوا: هو الكسب. وهذا يدلّ على أن اللبّ والعقل عندهم سواء وكذلك الجرح والكسب، وما أشبه ذلك.

(١) انظر دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) منهم سيبويه: وهو من أشهر المثبتين لهذه الظاهرة. انظر الكتاب لسيبويه ١/ ٢٤.

ويروي أصحاب الترادف قصصاً وأحاديث للبرهنة على رأيهم. فمن ذلك ما روه من أن النبي ﷺ وقعت من يده السكين فقال لأبي هريرة: ناولني السكين، فالتفت أبو هريرة يمناً ويسرة، ثم قال بعد أن كرّر الرسول له القول ثانية وثالثة: ألمدية تريد؟ فقال له الرسول ﷺ: نعم. ومن المثبتين للترادف الرماني الذي ألف «كتاب الألفاظ المترادفة» وكراع الذي ألف «المنتخب».

٢- فريق ينكر وجود الترادف<sup>(١)</sup> ومن هؤلاء ابن فارس (ت ٣٦٩هـ) وثلعب (ت ٢٩١هـ) وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وأبو هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ)<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن فارس: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهتد والحسام، والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت معانيها فإنها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: سيف وعضب وحسام. وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناها غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال، نحو مضى وذهب

(١) انظر المزهري للسيوطي ١/ ٤٠٥.

(٢) كقول الخطيب:

ألا حَبَّذا هِنْدٌ وأَرْضٌ بها هِنْدٌ وهِنْدٌ أتى من دونها النَّأْيُ والبَعْدُ قالوا: فالنَّأْيُ هو البَعْدُ. أما أبو هلال العسكري فلا يرى في النَّأْيِ والبَعْدِ لفظين مترادفين، بل هما عنده لفظان متباينان، فيقول: «وذلك أن النَّأْيَ يكون لما ذهب عنك إلى حيث بلغ، وأدنى ذلك أن يقال له نَأَى. والبَعْدُ تحقيق التروُّح والذهاب إلى الموضع السَّحِيق، والتقدير: أتى من دونها النَّأْيُ الذي يكون أول البَعْدِ، والبَعْدُ الذي يكاد يبلغ الغاية. انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١١.

وانطلق وقعد وجلس ورقد ونام وهجع، قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك القول فيما سواه. وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٥٦): قال عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٣٠هـ): «لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب، وإلا فهي زجاجة. ولا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خوان. ولا يُقال كوز إلا إذا كانت له عروة، وإلا فهو كوب...» وقد استطرّد في ذلك على هذا المنوال في فصل «الأشياء تختلف أسماءها وأوصافها باختلاف أحوالها»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٥٧): من يثبت الترادف، يرى أن هناك كلمات مترادفة، تؤدي معنى واحداً تاماً، لم تأت في العربية عبثاً، وإنما جاءت لأغراض ومقاصد، والترادف قائم من منطلق أن اللغة اصطلاحية ولعل من أبرز القائلين به الآمدي صاحب الإحكام في أصول الأحكام إذ نص على ذلك، واتهم أصحاب الرأي السابق وسرد أدلة عقلية على وقوعه ثم يُدلل الآمدي على إمكانية وقوع ذلك بقوله: «ثم الدليل على وقوع الترادف في اللغة ما نقل عن العرب من قولهم: الصهلب، والشوذب من أسماء الطويل، والبهتر، والبحتر من أسماء القصير».

فائدة (٢٥٨): قال عز الدين بن جماعة: «والحاصل أن من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشبه المترادفة في الذات، والمتباينة في الصفات»<sup>(٣)</sup>.

(١) الصاحبي ص ٥٩-٦٠.

(٢) في كتابه فقه اللغة وأسرار العربية ص ٥٩.

(٣) المزهر ١/٤٠٥.

فائدة (٢٥٩): الفرق بين الحماية والحفظ: أن الحماية تكون لما لا يمكن إحرازه وحصره مثل الأرض والبلد، تقول: هو يحمي البلد والأرض، والحفظ يكون لما يُحْرَزُ ويُحْصَرُ، تقول هو يحفظ دراهمه ومتاعه. والفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد لا يكون إلا على إحسان، والمدح يكون بالفعل والصفة وذلك مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى غيره وأن يمدحه بحسن وجهه وطول قامته ولا يجوز أن يحمده على ذلك وإنما يحمده على إحسان يقع منه فقط. والفرق بين الخجل والحياء: الخجل مما كان والحياء مما يكون. والفرق بين الغضب والسخط: أن الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير.

فائدة (٢٦٠): أوضح الراغب الأصفهاني أن المترادفات في اللغة غير متساوية في المعنى تمام التساوي، وأن هناك فارقاً في المعنى بين مرادف ومرادف آخر زائداً على مرادفه. فمثلاً فسر كلمة (الريب) بقوله: «الريب أن تتوهم أمراً ما فينكشف عما تتوهمه»<sup>(١)</sup> وفسر كلمة (الشك) بقوله: «الشك: اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما»<sup>(٢)</sup> وبذا يتضح الفارق بين الشك والريب في المعنى، في حين لم يفرق كثير من المفسرين بينهما<sup>(٣)</sup>، كما لم يفرق كثير من أصحاب القواميس بينهما. وفي تفسيره (للخشوع) بالضراعة، وضح الفارق في المعنى بين المترادفين بقوله: «الخشوع:

(١) غريب القرآن ١/ ٢٠٥.

(٢) غريب القرآن ١/ ٢٦٥.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١/ ١٥٩.

الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل في ما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح»<sup>(١)</sup>، كما أنه فسر (السغب) بقوله: «هو الجوع مع التعب، وقد قيل في العطش مع التعب»<sup>(٢)</sup>. بينما فسر السغب في قواميس اللغة بالجوع مجرداً من حالة التعب. وهكذا فتفسير السغب بالجوع مجرداً، لا يؤدي الغرض القرآني من استعمال كلمة السغب، ولم يستعمل كلمة جوع، لأنها لا تعبر عن تمام المراد، وهو وصف الحالة التي تسيطر على الناس في ذلك اليوم (جوع ونصب)، أو (جوع يخالطه عطش وتعب) أو كل هذه الحالات.

و فسر الإشفاق مفرقا بينه وبين مرادفه، الخوف، بقوله: «والإشفاق عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه. قال: ﴿وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩] فإذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بفي فمعنى العناية فيه أظهر. قال: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]»<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٢٦١): في قصة يوسف عليه السلام استعمل التعبير القرآني كلمة (فأكله الذئب) ولم يستعمل افترسه الذئب، علماً أن الشائع في الاستعمال إطلاق كلمة الافتراس على مثل هذا النوع، وذلك للطيفة دقيقة وهي أن الافتراس من

(١) غريب القرآن ١/ ١٤٨.

(٢) غريب القرآن ١/ ٢٣٣.

(٣) غريب القرآن ١/ ٢٦٣.

فعل السبع معناه القتل فحسب، وأصل الفرس: دق العنق، والقوم إنما ادّعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلاً ولا عظماً. وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باقٍ منه يشهد بصحة ما ذكره فادّعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة، والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بأكل.

فائدة (٢٦٢): قال أهل الأصول: لوقوع الألفاظ المترادفة سببان: أحدهما: أن يكون من واضعين، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر؛ وهذا مبنيٌّ على كون اللغات اصطلاحية<sup>(١)</sup>. والثاني: أن يكون من واضع واحد وهو الأقل؛ وله فوائد: منها: أن تكثر الوسائل - أي الطرق - إلى الإخبار عما في النفس؛ فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به؛ وقد كان بعض الأذكياء في الزمن السالف ألثغ، فلم يُحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات تعينه على قَصده لما قدر على ذلك<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ومن أسباب حصول الترادف أيضاً هو التخصيص والنقل: أي انتقال معنى الكلمة من المعنى العام إلى المعنى الخاص، كلفظ (الحج)، ولفظ (السبت)، قال السيوطي: «فقد ذكر ابن دريد: «إن الحج أصله قصدك الشيء، وتجريدك له، ثم خص بقصد البيت... ثم رأيت له مثلاً في غاية الحسن، وهو لفظ (السبت) فإنه في اللغة: الدهر، ثم خص في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر» المزهري ٤٢٧/١.

(٢) المزهري للسيوطي ٤٠٦/١.

فائدة (٢٦٣): «من أَلَف في المترادف العلامة مجد الدين الفيروزآبادي<sup>(١)</sup> صاحب القاموس، أَلَف فيه كتاباً سَمَاهُ «الرَّوَضُ الْمَسْلُوفُ فِيمَا لَهُ اسْمَانُ إِلَى أَلُوفٍ». وأفرد خلُقَ من الأئمة كتباً في أسماء أشياء مخصوصة؛ فألف ابنُ خالويه كتاباً في أسماء الأَسَدِ، وكتاباً في أسماء الحَيَّةِ. قال ابن الشجري في كتابه<sup>(٢)</sup>: «هذا كتاب جمعت فيه من الكلم العربية ما وجدته مبددا في الكتب اللغوية مما اتفق لفظا واختلف معنى وأضفت له شواهد من الكتاب العزيز وكلام الرسول ﷺ والشعر القديم».

### الاستعارة:

فائدة (٢٦٤): الاستعارة هي في الحقيقة مجاز<sup>(٣)</sup>، والفرق بينها وبين التشبيه، وجوب ذكر أدوات التشبيه في التشبيه، مثل: زيد كالأسد، وعدم وجوب ذكرها في الاستعارة<sup>(٤)</sup>.

قال الزركشي<sup>(٥)</sup>: «الاستعارة هي من أنواع البلاغة وهي كثيرة في القرآن ومنهم من أنكره بناء على إنكار المجاز في القرآن، والاستعارة مجاز وقد سبق تقديره ومنع

(١) أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الإمام اللغوي الشهير ولد بكازرون وهي بلدة بفارس - سنة (٧٢٩ هـ)، توفي في زبيد باليمن ليلة الثلاثاء من شوال سنة (٨١٧ هـ)، وقد ناهز التسعين، ولم يزل إلى حين موته متمتعاً بسمعه وبصره، متوقِّد الذهن، حاضر العقل. قال السخاوي: وكان يرجو وفاته بمكة فما قُدِّرَ له ذلك. ودُفِنَ بتربة الشيخ إسماعيل الجبرتي.

(٢) واسمه (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لهبة الله بن علي أبو السعادات العلوي الحسيني البغدادي (ت: ٥٤٢ هـ) والكتاب مطبوع، حققه وعلق عليه عطية رزق.

(٣) انظر كتاب العمدة لابن رشيق ١/ ٢٦٨.

(٤) وانظر في ذلك المثل السائر لابن الأثير ٢/ ٧٠، والمعيار للزنجاني ٢/ ٢٧.

(٥) البرهان ٣/ ٤٣٢.

القاضي عبد الوهاب المالكي إطلاق لفظ الاستعارة فيه لأن فيها إيهاما للحاجة كما منع بعضهم لفظ القرآن مخلوق وهو لا ينكر وقوع المجاز والاستعارة فيه إنما توقف على إذن الشرع».

فائدة (٢٦٥): الاستعارة: هي ذكر أحد جانبي التشبيه بقصد الجانب الآخر مع ادعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به بإثبات بعض مخصّصات المشبّه به للمشبّه<sup>(١)</sup>.

قال ابن رشيق: «الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها».

قال ابن الأثير<sup>(٢)</sup>: «إنما سمي هذا القسم من الكلام استعارة لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر».

(١) انظر أقوال العلماء في تعريف الاستعارة من كتاب النكت لأبي الحسن الرماني ص ٧٩، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي ص ٢٣١، والعمدة لابن رشيق ١ / ٢٧١، وأسرار البلاغة لعبد القاهر البغدادي ص ٤٠٢، والمعيار للنزجاني ٢ / ٢٧.

(٢) انظر المثل السائر ٢ / ٧٢.

فائدة (٢٦٦): قال بعضهم: حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي وإيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو حصول المبالغة أو المجموع. مثال إظهار الخفي ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ [الزخرف: ٤] فإن حقيقته: وأنه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ الأم للأصل لأن الأولاد تنشأ من الأم كإنشاء الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان.

فائدة (٢٦٧): ومثال إيضاح ما ليس بجلي ليصير جلياً قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٤] فإن المراد أمر الولد بالذل لو لديه رحمة، فاستعير للذل أولاً جانب ثم للجانب جناح، وتقديره الاستعارة القريبة: واخفض لهما جانب الذل: أي اخفض جانبك ذلاً، وحكمة الاستعارة في هذا جعل ما ليس بمرئي مرئياً لأجل حسن البيان<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٦٨): ومثال المبالغة قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] وحقيقته: وفجرنا عيون الأرض، ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما في الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت عيوناً<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٦٩): قوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ في الآية من بلاغة التعبير، ودقة المعنى، والتفنن في التصوير، ما لا نجده في الاستعمال الحقيقي، فلو قيل (بلغ ما تؤمر به) لوجدنا فعل (بلغ)، يضيق عن الإحاطة بالمراد من الآية «لأن الصدع

(١) انظر البرهان للزركشي ٤٣٣/٣.

(٢) الإتقان للسيوطي ١٣٥/٣.

بالأمر لا بد له من تأثير كتأثير صدع الزجاج، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع. والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلا أن الإيصال الذي له تأثير كصدع الزجاج «أبلغ»<sup>(١)</sup>.

فلاستعارة في الآية هي التي كشفت أصالة ما يريد القرآن التعبير عنه، بحيث يصبح لفظ الاستعارة متميزا لا يسد مسده لفظ آخر، ولا يشاكلة تعبير مقارب، وبذلك بلغت الاستعارة في القرآن الكريم مرتبة الإعجاز.

فائدة (٢٧٠): قال الزركشي<sup>(٢)</sup>: «وقوله - تعالى - ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] المستعار السكوت والمستعار له الغضب والمستعار منه الساكت وهذه أطف الاستعارات لأنها استعارة معقول لمعقول لمشاركتة في أمر معقول،... وقوله - تعالى - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] وكل خوض ذكره الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء».

### التشبيه:

فائدة (٢٧١): اختلفت أساليب البلاغيين في تعريف التشبيه. فعرفه ابن رشيق بأنه: «صفة الشيء بما قاربه، وشاكلة من جهة واحدة، أو من جهات كثيرة،

---

(١) انظر النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني ص ١١، والبرهان للزركشي ٤٣٧/٣، والإتقان للسيوطي ١٣٦/٣، وقال في ١٦٦/٣: «فانظر إلى جليل هذه الاستعارة وعظم إيجازها وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة. وقد حكى أن بعض الأعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام».

(٢) البرهان ٤٤٢/٣.

لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه كُليّة لكان إيّاه»<sup>(١)</sup>، أمّا القزوينيّ فذكر أنّه:  
«الدّلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى»<sup>(٢)</sup>.

وكلا التعريفين لم يذكر أداة التشبيه على أهمّيّتها؛ إذ هي فرق جوهريّ بينه وبين الاستعارة. فيمزج بين التعريفين، فيقال: التشبيه: هو الدّلالة على الشيء بما قرّبه وشاكله من جهة واحدة أو أكثر، بأداة ظاهرة أو مُضمّرة.

فائدة (٢٧٢): كلمة المتشابه تطلق ويقصد بها معان مختلفة فمنها المتشابه أي المشكل من الآيات التي قد تشبهه على فهم القارئ؛ لخلوه من الدلالة الراجعة لمعناه، الذي يحتاج للجواب والرد على الطاعن<sup>(٣)</sup>.

كما تطلق ويراد بها ضد المحكم، وهو الذي لا يعلمه إلا الله، أو لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم؛ مثل الحروف المقطعة، وصفات الله تعالى.

كما تطلق ويراد بها الآيات المتشابهة لفظاً، وقد تفرق بحرف أو كلمة، وقد ألف العلماء في هذا الفن كتباً كثيرة؛ منها: «درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز»، للخطيب الإسكافي المعتزلي (ت ٤٠٢ هـ)، وأشهرها كتاب «البرهان في متشابه القرآن» للكرماني (ت ٦٦٥ هـ).

---

(١) انظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق ١/ ٢٨٦.

(٢) وانظر المثل السائر لابن الأثير ٢/ ١١٥، وأسرار البلاغة ص ٩٠، وكتاب الصناعتين ص ٢٤٥.

(٣) انظر كتاب «كشف المعاني في المتشابه من المثاني» لبدر الدين بن جماعة ص ٢٨.

كما تطلق ويقصد بها تشبيه شيء بشيء وهو معدود في علم البيان، كتشبيه الحور العين باللؤلؤ، وقد ألف في هذا المعنى ابن نايقا البغدادي (ت ٤٨٥هـ) كتابه «الجمان في تشبيهات القرآن».

ويطلق المتشابه ويراد به أن القرآن متماثل في النظم والبلاغة والهدف الذي يدعو إليه؛ فلا تجد في أسلوبه اختلافا، ولا في معانيه مناقضة، ولا في سورته تغايرا، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُثَشِّبًا مَثَانًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ﴾ [الزمر: ٢٣]. قال القرطبي: «متشابهها يشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة، ويصدق بعضه بعضا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٧٣): فالتشبيه: هو أن يعمد المتحدث إلى عقد مشاركة بين أمرين في وصف ظاهر واضح في أحد الأمرين وفي الآخر خفي غير واضح. كقوله ﷺ: «لعن المؤمن كقتله» أراد أن يثبت صفة الحرمة للعن فعمد إلى شيء وصف الحرمة فيه واضح وهو (القتل) الذي تقشعر منه الأبدان ليحقق أثر ذلك في نفس المستمع.

فائدة (٢٧٤): إن التشبيه تنحصر بلاغته في إيجاد علاقات جديدة بين الأشياء، وقد كانت العرب تستظرف التشبيه بقدر عمق وخفاء وجه الشبه بين

(١) تفسير القرطبي ١٥/١٦٢.

الطرفين؛ مما يوحي بقدرة المتكلم على اكتشاف العلاقات بين الأشياء، وأن العالم عبارة عن علاقات بين أشياءه، ومن يرى علاقات أكثر فهو بذلك يعلو ويسمو على غيره<sup>(١)</sup>.

قال الزركشي: «اتفق الأدباء على شرفه في أنواع البلاغة وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها كما لا وكساها حلة وجمالا»<sup>(٢)</sup>. وقال المبرد (ت ٢٨٥هـ): «والتشبيه جار كثيرا في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد»<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن الأثير: «وأما فائدة التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنها تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه. أترى أنك إذا شبعت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى التريغيب فيها. وكذلك إذا شبعتها بصورة شيء قبيح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير منها»<sup>(٤)</sup>.

فائدة (٢٧٥): قال المبرد عند ذكره قول الله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [النور، ٣٥]: «وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدون في هذه الآية فقال: إنما نمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها؟ وهؤلاء في هذا القول كما قال عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ، وَلَمَّا

(١) وانظر في ذلك كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٧٤.

(٢) البرهان ٣/٤١٤.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ٩٢/٢.

(٤) انظر كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٣٨.

يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴿ [يونس، ٣٩] وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين، أحدهما: أن هناك شجرا يقال له الأستن، منكر الصورة، يقال لثمره: رؤوس الشياطين، وهو الذي ذكره النابغة في قوله: (تحيد من أستن سود أسافله). وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم. والقول الآخر: وهو الذي يسبق إلى القلب أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد، وكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثَّل هذه الشجرة بما ينفر منه كل نفس<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٧٦): وفن التشبيه معدودٌ - بعد استقرار تصنيف علوم العربية - في علم البيان، ويهتم به نظرياً وتطبيقياً المشتغلون بعلوم البلاغة، وقد اهتمَّ بالتشبيه في القرآن الكريم كل العلماء الذين عالجوا قضية الفصاحة والبيان من قديم، ووقف عنده المفسرون والمعتنون بمعاني القرآن، مثل أبي عبيدة صاحب (مجاز القرآن) والجاحظ في (البيان والتبيين) وسواه من كتبه، إلى جمهرة غفيرة من العلماء والأدباء والمتكلمين.

وكان ابن أبي عون أول من عرف بتخصيصه موضوع (التشبيهات) بكتاب مستقل.

فائدة (٢٧٧): «والفرق بين الاستعارة والتشبيه حاصله: أن الاستعارة لا بد فيها من حذف أحد الطرفين، فإن حذف المستعار له وذكر المستعار فهي تصريحية، وإن ذكر المستعار له وحذف المستعار ورُمز له بشيء من لوازمه فهي مكنية، بخلاف التشبيه فإنه لا بد فيه من الجمع بين الطرفين وبذلك يفترقان.

---

(١) الكامل للمبرد ٢/ ٩٢، ٩٣، وانظر البرهان للزركشي ٣/ ٤٤٠.

ومثله بقوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال الزمخشري في هذه: «والمحققون على تسميته تشبيهاً بليغاً لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون، وإنما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد المنقول عنه والمنقول له دلالة الحال أو فحوى الكلام»<sup>(١)</sup>.

«وفرق ثان - بين التشبيه والاستعارة - أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالباً، والاستعارة لا تحتاج إلى أداة. وفرق ثالث: أن الاستعارة أو جز من التشبيه فإنك إذا قلت (زيد أسد) أو جز من قولك: (زيد في بسالة الأسد) فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضي الاستعارة»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٢٧٨): وجه الشبه: المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه على سبيل:

أ- التحقيق: مثل تشبيه رجل بأسد، فالشجاعة هي المعنى المشترك والصفة الجامعة بين الرجل والأسد، وهي على حقيقتها موجودة في الإنسان، وموجودة في الأسد، والفرق بين وجوده في الرجل والأسد من جهة قوة الشجاعة وضعفها وزيادتها ونقصانها.

ب - أو تخيلاً: (لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على سبيل التأويل)، كقول ابن بابك:

وأرض كأخلاق الرجال قطعتها      وقد كحلَّ الليل السِّمَّاءَ فأبصرا  
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها      ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

(١) الإتيان للسيوطي ٣/ ١٤١.

(٢) انظر مقدمة تفسير ابن النقيب ص ١٣٤.

تخيل أخلاق الكرام شيء له سعة وجعله أصلاً فيها فشبّه الأرض  
الواسعة بها.

فائدة (٢٧٩): تأثير التشبيه: يقول الخطيب القزويني<sup>(١)</sup>: «اعلم أنه مما اتفق  
العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به لاسيما  
قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت أو  
ذماً أو افتخاراً أو غير ذلك، وإذا أردت تحقيق هذا فانظر إلى قول البحري:

دانٍ على أيدي العفّة وشاسعٌ عن كل ندٍّ في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه في العصبة السارين جد قريب»<sup>(٢)</sup>

فائدة (٢٨٠): وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك «العسل في  
حلاوته كالصبر في مرارته، أو كالخل في حموضته» قال أبو الحسن الرماني: وهذا  
الضرب من التشبيه لا يقال إلا بتقييد وتفسير، ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني  
قول ابن المهدي للمأمون يعتذر:

لئن جحدتك معروفاً مننت به إني لفي اللؤم أحظى منك بالكرم<sup>(٣)</sup>

فائدة (٢٨١): ثم إن التشبيه ينقسم إلى أقسام عدة باعتبارات مختلفة: فهو  
باعتبار طرفيه ينقسم إلى مفرد ومركب، ومن حيث تعدده ينقسم إلى أربعة

---

(١) انظر الإيضاح في علوم البلاغة ص ٦٩.

(٢) فهذا الممدوح قريب بعيد؛ فهو قريب للذين يطلبون عطاءه، وبعيد عن كل شبيهه يائله في  
الكرم، فكأنه يقول: إن ما تتصورونه غير ممكن فهو ممكن، فهو قريب في حال وبعيد في  
حال، فكذلك البدر بعيد في علوه، وقريب في نوره.

(٣) العمدة لابن رشيق ١/ ٢٨٨.

أقسام: تشبيه ملفوف، ومفروق، وتسوية، وجمع. وباعتبار وجه الشبه فينقسم إلى ستة أقسام: تمثيلي، وغير تمثيلي، ومفصل، ومجمل، وقريب مبتذل، وبعيد غريب. وباعتبار أدواته ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تشبيه صريح، وضمني، ومعكوس (المقلوب). وبيان هذه الأقسام وأمثلتها تطلب من كتب البيان.

فائدة (٢٨٢): التشبيه نمطان: مجازي وواقعي، ويُقصد بالمجازي ما تُرصد به العلاقة بين طرفين لا واقع لها، أي يحتاج إلى استحداث علاقة مجازية بينهما في الذهن، كتشبيه السفن بالجبال في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤] حيث لا علاقة واقعية بينهما ولكنها علاقة مجازية. وهذا بعكس التشبيه الواقعي كقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] حيث إن استحضار دلالة ما (كذكر الله تعالى وذكر الآباء) في الذهن وممارسة ذلك لفظياً، أمرٌ واقعي، ولم تُستحدث علاقة مجازية بينهما.

فائدة (٢٨٣): قاعدة الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به وقد تدخل على المشبه إما لقصد المبالغة فتقلب التشبيه وتجعل المشبه هو الأصل نحو: ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] كان الأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع؛ لأن الكلام في الربا لا في البيع، فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلاً ملحقاً به البيع في الجواز وأنه الخلق بالحل<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٨٤): «القاعدة في المدح تشبيه الأدنى بالأعلى، وفي الذم تشبيه الأعلى بالأدنى؛ لأن الذم مقام الأدنى، والأعلى طارئ عليه، فيقال في المدح:

(١) الإتيان للسيوطي ٣/ ١٣٢.

الحصى كالياقوت، وفي الظم: ياقوت كالزجاج، وكذا في السلب ومنه: ﴿يُنْسَاءُ  
النَّبِيَّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] أي في النزول لا في العلو. ﴿أَمْرٌ  
بَجَعَلِ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] أي في سوء الحال: أي لا نجعلهم كذلك.

نعم، أورد على ذلك ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتِهِ﴾ [النور: ٣٥] فإنه شبه الأعلى  
بالأدنى لا في مقام السلب. وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين إذ لا أعلى  
من نوره فيشبه به<sup>(١)</sup>.

فائدة (٢٨٥): قال الزركشي<sup>(٢)</sup>: «وأما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ  
كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] فهو من تشبيهه الغريب بالأغرب لأن خلق آدم  
أغرب من خلق عيسى ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس وفيه دليل على  
جواز القياس، وهو رد فرع إلى أصل لشبهه ما؛ لأن عيسى رد إلى آدم لشبه بينهما،  
والمعنى أن آدم خلق من تراب ولم يكن له أب ولا أم، فكذلك خلق عيسى من  
غير أب».

فائدة (٢٨٦): «فمن الآيات التي لم ينسج على منوالها، ولا سمحت قريحة  
بمثالها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾ إلى قوله ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٠-٤٤]، ولهذا فإن ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل إلى هذه  
الآية قال: هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله. وترك المعارضة، ومزق ما كان  
اختلقه<sup>(٣)</sup>.

(١) الإتيان للسيوطي ١٣٣/٣.

(٢) البرهان ٤٢٦/٣.

(٣) مقدمة تفسير ابن النقيب ٣٧٠.

فائدة (٢٨٧): «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] فإن فيه عشر جمل، وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه، إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس. وقال بعضهم: وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران. أحدهما: أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا. والثاني: أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء، فكذلك الدنيا»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الإتيان للسيوطي ٣/ ١٣٠، وأصل هذا الكلام في أسرار البلاغة ص ١٠٩.

الفصل الخامس  
الفوائد المتعلقة بعلم المعاني



## الفصل الخامس الفوائد المتعلقة بعلم المعاني

فائدة (٢٨٨): علم المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يكون بليغاً فصيحاً<sup>(١)</sup> في إفراده وتركيبه. وعرف الخطيب القزويني علم المعاني بأنه: «علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال».

وأحوال اللفظ تشمل أحوال الجملة، كالقصر، والفصل والوصل، والمساواة والإيجاز والإطناب، كما تشمل أحوال أجزائها، كأحوال الإسناد، وأحوال المسند، وأحوال المسند إليه، وأحوال متعلقات الفعل، وأحوال اللفظ، وهذه مقيدة بما يطابق مقتضى الحال.

فائدة (٢٨٩): الإيجاز: هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل، مع وفائها بالغرض المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح فيها<sup>(٢)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] فقد حذف في الآية لبيان سبحانه وتعالى أن المراد الابتداء وليس المراد الإخبار أن الحج أشهر. وفي هذا قال أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي في كتابه المحرر الوجيز: «وقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ

---

(١) فالفصاحة أن يكون الكلام خالصاً أي سالماً عما يعد عيباً في اللغة؛ بأن يسلم من عيوب تعرض للكلمات التي تركيب منها الكلام أو تعرض لمجموع الكلام، فالعيوب العارضة للكلمات ثلاثة: الغرابة، وتنافر الحروف، ومخالفة قياس التصريف. والعيوب العارضة لمجموع الكلام ثلاثة: التعقيد، وتنافر الكلمات، ومخالفة قواعد النحو ويسمى ضعف التأليف.

(٢) بحثه في كتاب الصناعتين للعسكري ص ١٩٣، والعمدة لابن رشيق ١/ ٤٣١، والمثل السائر لابن الأثير ٢/ ٢٦٥، ونهاية الإيجاز للفخر الرازي ص ٣٣٧، وشرح الكافية لصفى الدين الحلي ص ١٧٨.

مَعْلُومَتٌ ﴿ في الكلام حذف تقديره أشهر الحج أشهر، أو وقت الحج أشهر، أو وقت عمل الحج أشهر، والغرض إنها هو أن يكون الخبر عن الابتداء هو الابتداء نفسه، والحج ليس بالأشهر فاحتيج إلى هذه التقديرات. »

فائدة (٢٩٠): والإطناب: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة. ويحصل الإطناب بأمور عدة، أهمها:

١- الإيضاح بعد الإبهام. وفائدته تقرير المعنى في النفس، بذكره مرتين؛ مرة على نحو الإجمال، وأخرى على نحو التفصيل. وذلك كقوله تعالى: ﴿ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ \* أَمَدَّكُمْ بِأَنعَمٍ وَبَيْنَ ﴾ [الشورى: ١٣٢-١٣٣].

٢- ذكر الخاص بعد العام وعكسه. وفائدتها التنبيه على فضل الخاص، والتنويه بشأنه، حتى كأنه ليس من جنس العام. فالأول كقوله تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾. والثاني كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

٣- التكرير بذكر الشيء مرتين أو أكثر. ويأتي لأغراض، أهمها: التأكيد والتقرير، نحو: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣-٤]. وخوف تناسي الأول، الموجب لزوال الترابط من الكلام، بسبب طول الفصل. نحو: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]. وقصد التعظيم والتهويل، نحو: ﴿ الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ ﴾.

فائدة (٢٩١): والمساواة: تساوي اللفظ والمعنى<sup>(١)</sup>، فيما لم يكن داع للإيجاز والإطناب. المساواة هي الأصل في تأدية المعنى المراد، فلا تحتاج إلى علة، واللازم

(١) انظر العمدة لابن رشيقي ١/ ٤٣١، والمثل السائر لابن الأثير ٢/ ٣٢٢، والطراز ٣/ ٣٢٢.

الإتيان بها حيث لا توجد دواعي الإيجاز والإطناب. من أمثلة ذلك في القرآن، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]. فإذا تأملت هذا المثال وجدت الألفاظ فيه بقدر المعاني، والمعاني بقدر الألفاظ. ولو أردت إسقاط كلمة، لاختل المعنى، أو أردت زيادة لفظ، لما كان في الزيادة أية فائدة، بمعنى أنه لا يكون له دخل في تأدية أصل المعنى المراد. وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

فائدة (٢٩٢): والمساواة على قسمين: المساواة مع رعاية الاختصار، وذلك بتأدية المراد في ألفاظ قليلة الأحرف كثيرة المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾. والمساواة من دون اختصار، وذلك بتأدية المعنى المراد بلا رعاية الاختصار، نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]. كما أنه إذا لم تف العبارة بالعرض سمي إخلالاً، وإذا زاد على الغرض بدون داع سمي تطويلاً.

فائدة (٢٩٣): أقواله عليه الصلاة والسلام غلب عليها منحى الإيجاز والاقتصار، وذلك لأن فكره كان يغلب على لسانه، فقل كلامه ونزه عن الحشو، وبرئ من شوائب الإطالة، وقد كان ﷺ يخاطب كل قوم بما يناسبهم حالاً ومقاماً ولغة وفصاحة.

يقول مصطفى صادق الرافعي: «ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويثقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي

ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل، فقد كانت هي من دليله، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفصول حتى ليس فيها كلمة مفصولة، وكأنها هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ.

فائدة (٢٩٤): قال رسول الله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»<sup>(١)</sup>، «وجوامع الكلم هو ما كان كثير المعاني وقليل الألفاظ»، وفي فصاحة البيان النبوي يقول الجاحظ: «هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة والتكلف...».

وقد كان يغلب على كلامه ﷺ طابع الإيجاز، حيث كان لا يجبذ الثرثرة والاندفاع في الكلام، فقد تكلم رجل عنده فأطال، فقال له النبي ﷺ: «كم دون لسانك من حجاب؟» فقال: شفتاي وأسناني. فقال له: «إن الله يكره الانبعاث في الكلام، فنصّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته»<sup>(٢)</sup>.

وهذه كانت سجية في النبي ﷺ بل وفي الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً، كما ورد في قوله: «نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء»، أي قلة في الكلام، من بكأت الناقة والشاة إذا قل لبنها<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند رقم (٧٠٩٦) و(٩٣٢٨).

(٢) هكذا يورده أهل الأدب. انظر: العمدة لابن رشيق ص ٧٨، وأصل الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت.

(٣) انظر: لسان العرب، مادة (بكأ) وأساس البلاغة للزخشري، مادة (بكت).

فائدة (٢٩٥): من أمثلة الإيجاز في حديثه قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»<sup>(١)</sup>، فيها من الإيجاز والفصاحة الكثير. من ذلك أنه لم يكتف ﷺ هنا بالنهي عن إيذاء الجار بل تعداه إلى النهي عن مجرد شعور الجار بالخوف من جاره، وجعل ذلك سبباً في حرمانه من دخول الجنة.

فائدة (٢٩٦): قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق، واللين والرفق في الدعاء إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف كف الأذى وغيض البصر وما شاكلهما من المحرمات، وفي الإعراض الصبر والحلم والتؤدة.

فائدة (٢٩٧): قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، الآية في أمر عباده أن يعتبروا، وقرب ذلك عليهم، ففي كل شيء من خلق الله عز وجل للإنسان عبرة إلا أن أقربها وأقصرها أمر نفسه.

فائدة (٢٩٨): قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: ٤٣]، أي من يضمم لغيره شراً يعود عليه. ويتناسب هذا مع قولهم: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

فائدة (٢٩٩): قوله تعالى: ﴿ وَهَلُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهذا كلام يشمل جميع ما يجب للنساء على الرجال من حسن المعاشرة وصيانتهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، حديث رقم (٥٥٥٧)، وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، حديث رقم (٦٦).

وإزاحة علهن وكل ما يؤدي إلى مصالهن، كما يشمل ما يجب للرجال على النساء من طاعة الأزواج، وحسن المشاركة في السراء والضراء، والسعي إلى مرضاتهم، وحفظ غيبتهم وصيانتهم عن خيانتهم.

فائدة (٣٠٠): يقول أبو هلال العسكري في المساواة: «أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب».

ومثال المساواة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، والمعنى: لا يحيق المكر السيئ بأحد إلا بأهله. وقول الرسول ﷺ: «الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات».

فائدة (٣٠١): الإطناب في اللغة مأخوذ من: أطنب في الشيء إذا بالغ فيه. وفي الاصطلاح: «هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة». وهو الذي يميزه عن التطويل إذ إن التطويل: «هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة».

فائدة (٣٠٢): للتفرقة بين الإطناب وبين التطويل والحشو: أن التطويل تكون الزيادة فيها لغير فائدة وغير متعينة، أما الحشو: فهو أن تكون الزيادة فيها لغير فائدة ومتعينة، وهو نوعان: حشو مفسد للمعنى وحشو غير مفسد للمعنى.

قال الرماني<sup>(١)</sup>: «والإيجاز بلاغة والتقصير عي، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عي. والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه، وليس كذلك التقصير، لأنه لا بد فيه من الإخلال. فأما الإطناب فإنما يمكن في تفصيل المعنى وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل... فأما التطويل فعيب وعي، لأنه تكلف الكثير فيما يكفي فيه القليل، فكان كالسالك طريقا بعيدا جهلا

(١) في رسالته النكت في إعجاز القرآن ص ٣.



- زيادة الترغيب في شيء: كالعفو في قوله تعالى: ﴿إِن مِّنْ أَرْوَجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوًا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

- لاستمالة المخاطب في قبول العظة: كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٢٨-٢٩] بتكرير (يا قوم).

فائدة (٣٠٤): في قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، قد أدرج فيه ذكر كل محبوب عليهم، وزوال كل مكروه عنهم، فلا شيء أضرّ بالإنسان من الحزن والخوف، لأن الحزن يتولد من مكروه ماضٍ أو حاضر، والخوف يتولد من مكروه مستقبل، فإذا اجتمعا على امرئ لم ينتفع بعيشه، بل يتضجر ويسأم بحياته، والحزن والخوف أقوى أسباب مرض النفس، كما أن السرور والأمن أقوى أسباب صحتها، فالحزن والخوف موضوعان مقابل كل محنة وبليّة، والسرور والأمن مقابل كل صحة ونعمة هنية.

## القَصْرُ:

فائدة (٣٠٥): القَصْرُ في اللغة معناه الحبس. قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي محبوسات، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ أُنْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢] أي يحبسن أنظارهن على أزواجهن.

والقصر في الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.

تخصيص شيء بشيء: معناه أن تختص صفة بموصوف أو موصوف بصفة فعند قولنا «ما زيد إلا كاتب» قصرنا موصوفاً على صفة، وقولنا «ما كاتب إلا

زيد» قصرنا صفة على موصوف فكأننا أثبتنا له الكتابة، ونفينا عنه غيرها مثل كونه شاعراً، فهي في قوة جملتين.

بطريق مخصوص: يدل على أن القصر لا بد أن يكون بأدوات وطرائق معينة وما عدا ذلك لا يسمى قصرًا اصطلاحياً، فمثل قولنا: اختص محمد بالكرم فهذا لا يسمى قصرًا اصطلاحياً لأنه لم يأت بطريقة من طرائق القصر.

فائدة (٣٠٦): المخصوص بشيء يسمى مقصوراً، والمخصوص به شيء يسمى مقصوراً عليه، والمقصور هو الذي لا يتجاوز المقصور عليه لغيره، والمقصور عليه هو الذي لا يشاركه غيره في الشيء المقصور. فالاختصاص والحصر مترادفان. والقَصْرُ إما قَصْرٌ موصوف على صفة بمعنى أن لا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى، وإما قَصْرٌ صفة على موصوف. والمراد بالصفة والموصوف هنا الحكم والمحكوم عليه، لا الصفة المعروفة في النحو.

فائدة (٣٠٧): ميزة أسلوب القصر: فيه قوة الإثبات والتأكيد والتقرير والمبالغة، كما أن فيه إيجازاً، لأنه ينوب عن جملتين فالقصر يدل على النفي والإثبات في آن واحد.

فائدة (٣٠٨): أقسام القصر: ينقسم القصر إلى قسمين:

١- حقيقي وينقسم إلى تحقيقي وادعائي.

٢- إضافي «غير حقيقي» وينقسم إلى أفراد وقلب وتعيين.

فالحقيقي جملة القصر فيها إثبات ونفي. مثل: (إنما محمد طيب) فالنفي عام فهو حقيقي وذلك باعتبار عموم النفي وخصوصه يعني أنك إذا كنت تثبت صفة

لواحد وتنفيها عن كل من عداه كان القصر حقيقياً. والحقيقي قسمان: تحقيقي وادعائي: وذلك باعتبار المطابقة للواقع وعدمها فالذي تنفيه أو تثبته إن كان مطابقاً للواقع على الحقيقة كان تحقيقياً، وإن كان مدعى من المتكلم وليس مطابقاً للواقع كان ادعائياً أو مجازياً أو مبنياً على المبالغة<sup>(١)</sup>. بمعنى أن المتكلم لا يعتد فيه بغير المذكور.

فائدة (٣٠٩): وينقسم باعتبار صيغة المقصور والمقصور عليه إلى قصر صفة على موصوف أو موصوف على صفة.

قال السيوطي<sup>(٢)</sup>: «مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقياً نحو: ما زيد إلا كاتب: أي لا صفة له غيرها، وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية، وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون للذات صفة واحدة ليس لها غيرها، ولذا لم يقع في التنزيل.

ومثاله مجازياً وما محمد إلا رسول أي أنه مقصور على الرسالة لا يتعدها إلى التبري من الموت الذي هو من شأن الإله. ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقياً: (لا إله إلا الله)».

---

(١) لقصد المبالغة نحو قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا﴾ [النساء: ١١٧] مع أنهم دعوا هبل ويغوث ويعوق لكنهم لما أكثروا دعوة اللات والعزى ومناة جعلوا كالذي لا يدعو إلا إنثا. وقوله في حق المنافقين: ﴿هُرَّالْعُدُوْا فَآخَذَهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] مع أن المتظاهرين بالشرك والكفر أعداء لكن لما كانت مضرة عداوة المنافقين أشد جعلت عداوة غيرهم كلا عداوة. وكقولهم: «أنت زهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وامرئ القيس إذا ركب».

(٢) في الإتيان ١/ ٢٨٤.

فائدة (٣١٠): قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولاً أو ظرفاً أو مجروراً، ولهذا قيل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] معناه: نحصرُك بالعبادة والاستعانة، وفي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٥٨] معناه: إليه لا إلى غيره، وفي ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أخرت الصلة في الشهادة الأولى وقدمت في الثانية، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم وفي الثاني إثبات اختصاصهم بشهادة النبي ﷺ».

## الحذف:

فائدة (٣١١): الإيجاز يكون إيجاز حذف وإيجاز اختصار أو قصر<sup>(٢)</sup>، فإيجاز الحذف كحذف المسند إليه والمسند والمفعول والتحذير والإغراء، وحذف المفعول أكثر أنواع الحذف في الإيجاز نحو قد كان منك ما يسوء أي كل أحد، وحذف المضاف نحو ﴿وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وحذف الصفة نحو ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ [الكهف: ٧٩] أي صالحة، وحذف الجملة أو الجمل التي يدل عليها السياق نحو ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] أي ف ضرب فانفلق، وكثير من أمثال العرب يشتمل على إيجاز الحذف.

(١) في الإتيان ١/ ٢٨٨.

(٢) انظر في ذلك كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة للإمام يحيى بن حمزة، ص ٨٨-١٣١. وشرح الكافية لصفي الدين الحلي ص ٢٧٦.

فائدة (٣١٢): ومن الإيجاز إيجاز الاختصار وهو أداء المعاني بألفاظ أقل منها عدداً دون حذف بل بتوخي ما يفيد من الألفاظ عدة معان، نحو قولهم في المثل (القتل أنفى للقتل)، وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] وقوله في الحديث النبوي: «ارفع إزارك، فإنه أنقى وأبقى»<sup>(١)</sup> وكثير من أمثال العرب يشتمل على إيجاز الاختصار، وكذلك حكم الحكماء.

فائدة (٣١٣): ومن الإيجاز ترك المقدمات في الخطب لضيق المقام ونحوه كقول أبي العاصي الثقفي لثقيف حين هموا بالارتداد عام الردة: «كتتم آخر العرب إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً»، وكذلك يكون الإيجاز في الغرض لقصد أن يعين السامع الكلام، كما كتب البديع لابن أخته: «أنت ابني ما دمت والعلم شانك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك، والدفتر أليفك، فإن قصرت ولا إخالك، فغيري خالك».

فائدة (٣١٤): الحذف في اللغة: القطع والإسقاط؛ جاء في الصحاح: «حَذَفُ الشيء: إسقاطه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْرِي ومن ذَنْبِ الدَّابَّةِ، أي أخذت... وحَذَفْتُ رأسَه بالسيف، إذا ضربته فقطعت منه قطعة»<sup>(٢)</sup>.

فإيجاز الحذف، هو بأن يحذف شيء من الكلام، لا يخل بالفهم، مدلول عليه بقريئة لفظية أو معنوية.

---

(١) الحديث أصله في صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٢٤) وهذه الرواية أخرجها أحمد في المسند، حديث رقم (٢٢٠٠٧).

(٢) الصحاح في اللغة ١ / ١٢٠، لسان العرب ٩ / ٤٠.

قال عبد القاهر الجرجاني<sup>(١)</sup>: «هو باب دقيق المسلك لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين»<sup>(٢)</sup>.

والمحذوف قد يكون:

- جزء جملة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، أي: كل سفينة سليمة، بدليل: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، حيث دل أن الملك كان لا يأخذ المعيبة.

- جملة، كما في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْنَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، أي: فامتثلتم فتاب عليكم.

- أكثر من جملة، كما في قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ \* يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦] أي: فأرسلوني إلى يوسف، لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه وقال له: «يا يوسف».

فائدة (٣١٥): الحذف على أنواع، أحدها: ما يسمى بالاعتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة، وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن، ورد بأن

(١) دلائل الإعجاز ١/ ١٢١.

(٢) ومبنى كلام العرب على الإيجاز ما وجدوا إليه سبيلاً لأن الأمة العربية أمة ذكية فابتنى كلامها على مراعاة سبق إفهامها فقول المبرد في كامله: «من كلام العرب الإيجاز المفهم والإطناب المفخم» تنويع للكلام لا قصد للتساوي بينهما، وكلها تجري على حسب مقتضى الحال.

بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من أسمائه كما تقدم، وادعى بعضهم أن الباء في «وامسحوا برؤوسكم» من كلمة «بعض» ثم حُذِفَ الباقي، ومنه قراءة بعضهم «ونادوا يا مال»<sup>(١)</sup> بالترخيم، ولما سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم. وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة، ويدخل في هذا النوع حذف همزة أنا في قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] إذ الأصل لكن أنا، حذفت همزة أنا تخفيفاً وأدغمت النون في النون.

النوع الثاني: ما يسمى بالاتفاق، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالباً بالارتباط العطفى كقوله تعالى: ﴿سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي والبرد، وخص الحر بالذكر لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد عندهم من البرد. وقيل لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ [النحل: ٨٠] وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَناً﴾ [النحل: ٨١] وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥].

ومن أمثله هذا النوع قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي والشر، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في

(١) في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِهِمْ لِيَقْضَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

العالم، أو لأن إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الأداب كما قال ﷺ: «والشر ليس إليك» ومنها ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] أي وله ما تحرك، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون. ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أي والشهادة، لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس. ومنها قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصفات: ٥] أي والمغرب. ومنها قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أي وللكافرين، قاله ابن الأنباري، ويؤيده في قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّكَاسِ﴾ ومنها قوله تعالى: ﴿إِن أُمَّرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ﴾ [النساء: ١٧٦] أي ولا والد، بدليل أنه أوجب للأخت النصف، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها.

فائدة (٣١٦): ومن بديع الإيجاز قول الله تعالى في وصف خمر الجنة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]. فقد جمع عيوب خمر الدنيا من الصداع، وعدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب، ثم نفى ذلك كله بـ (لا).

فائدة (٣١٧): وقد حصروا الحذف في اثني عشر شيئاً:

١- الحرف، قال تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا﴾ [مريم: ٢٠] أي: ولم أكن.

٢- الاسم المضاف، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]

أي: في سبيل الله.

٣- الاسم المضاف إليه، قال تعالى: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: ١٤٢]  
أي: بعشر ليال.

٤- الاسم الموصوف، قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧١]  
أي: عملاً صالحاً.

٥- الاسم الصفة، قال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]  
أي: مضافاً إلى رجسهم.

٦- الشرط، قال تعالى: ﴿فَأَتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أي: فإن  
أتبعتموني يحببكم.

٧- جواب الشرط، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]  
أي: لرأيت أمراً عظيماً.

٨- المسند، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] أي: خلقهن الله.

٩- المسند إليه، كقوله تعالى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

١٠- المتعلق، قال تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]  
أي: عما يفعلون.

١١- الجملة، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾  
[البقرة: ٢١٣] أي: فاختلفوا.

١٢- الجمل، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلُونِي \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٥-٤٦] أي فأرسلوني إلى يوسف لأقصص عليه الرؤيا وأستعبره عنها، فأتاه، وقال: (يوسف...).

فائدة (٣١٨): أغراض الحذف هي:

- التخفيف: كثير من الأسباب الظاهرة للحذف غرضها التخفيف، فكثرة الاستعمال تستلزم الحذف؛ رغبة في التخفيف؛ كالتقاء الساكنين، لصعوبة النطق بهما، وأيضاً نجد التخفيف في نزع الخافض، وحذف الهزمة، وتوالي الأمثال<sup>(١)</sup>.

- الإيجاز واختصار الكلام: كثير من أنواع الحذف ناتجة عن رغبة المتكلم في الاختصار والإيجاز؛ فعند بناء الفعل للمجهول يُحذف الفاعل، ويذكر البلاغيون أغراضاً متعددة لذلك، منها الاختصار والإيجاز، ومن أمثلة ذلك ما يقع في القصص القرآني من حذف ما تدل عليه القرائن ويدل السياق عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسَلُونِي \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا..﴾ [يوسف: ٤٥، ٤٦]. فالتقدير: فأرسلوه فذهب إليه وقال له.

- الاتساع: وهو نوع من الحذف للإيجاز والاختصار، لكنه ينتج عنه نوع من المجاز بسبب نقل الكلمة من حكم كان لها إلى حكم ليس بحقيقة فيها، ومثال ذلك حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ١٨٩] أي: بر من اتقى. ويسميه البعض التوسع، ويرى سيبويه أن الحذف للتوسع في اللغة أكثر من أن يحصى<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٣٤٦/٢.

(٢) انظر الكتاب ٥٩٢ / ١.

- التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام: مثل قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَوهَا  
وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣]، الجواب حُذِفَ؛ لأن وصف ما يجدونه لا يتناهى؛  
فحُذِفَ تفخيماً وإعظاماً له؛ حيث إن الكلام يضيق عن وصفه.

- صيانة المحذوف عن الذكر في مقام معين تشریفاً له: ومن ذلك قول الرسول  
ﷺ: «مَنْ أُبْتَلِيَ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ بِشَيْءٍ، فَلَيْسَتْ تَرِي بِسُئْرِ اللَّهِ»، فالفعل ابتلي أسند  
إلى نائب الفاعل وحذف فاعله، وهو لفظ الجلالة صيانةً له عن ذكره في ذلك  
المقام، الذي سمي فيه الذنوب باسم (القاذورات).

- قصد الإبهام: لا يتعلق مراد المتكلم بتعيين المحذوف؛ فيتعمد الحذف حتى  
لا ينصرف ذهن المستمع له، لأن ذكره لا يؤثر في الكلام أو الحكم، ومن ذلك  
قوله تعالى: ﴿ فَإِن أُحْصِرْتُمْ ﴾، فالمهم حدث الإحصار نفسه ولا يهم ذكر فاعله،  
بل إن ذكره قد يشغل المستمع عن الحدث وهو الأساس هنا، وربما يظن المستمع  
أن الحكم خاص به بالفاعل إذا ذكر، وقوله: ﴿ وَإِذَا حُجِّبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فلا  
يهم فاعل التحية، المهم حدث التحية نفسه، وقوله: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾  
[المجادلة: ١١]، لا يهم من القائل، وذكره يشغل القارئ وربما يظن أن الحكم  
خاص به.

- العلم الواضح بالمحذوف: مثل قوله تعالى ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ  
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] و﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾  
[البقرة: ١٨٣]؛ بُنِيَ الفعلان (أُعِدَّتْ) و(كُتِبَ) للمجهول للعلم بالفاعل وهو الله  
عز وجل، ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ ﴾ [التغابن: ١٨] المبتدأ محذوف للعلم به، والتقدير: الله  
عالم الغيب.

- رعاية الفاصلة والمحافظة على السجع: وهو غرض لفظي؛ حيث يحذف حرف أو أكثر لمراعاة الفاصلة؛ مثل قوله تعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى: ٣]، فمفعول الفعل قلى وهو ضمير المخاطب ﷺ، محذوف لرعاية الفاصلة والتوافق الصوتي مع أواخر الآيات قبلها وبعدها<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣١٩): ومن أبلغ أمثلة الإيجاز قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] إذ معناه كثير، ولفظه يسير، لأن معناه: أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتل، كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص، كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم<sup>(٢)</sup>. وقد فضّلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى، وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) بوجوه أهمها:

١- اطراد الآية، وعدم اطراد مقولتهم، إذ القصاص مطلقاً سبب للحياة، بخلاف القتل، فإنه قد يكون أنفى للقتل، كالذي على وجه القصاص، وقد يكون أدمى له، كالذي على وجه الظلم.

---

(١) وهناك ملحظ آخر لطيف في هذه الآية وهو الفرق الدلالي بين المهجر، والبغض الذي تحمله لفظة (قلى)، إذ المهجر لا يكون إلا للحبيب أما البغض فهو للخصوم والأعداء، فجاءت الآية الكريمة مراعية ذلك حيث ذكرت ضميره ﷺ في جانب نفي المهجر (ما ودعك) ولم تذكره في جانب نفي البغض (وما قلى) إعلاءً لشأنه عليه السلام أن يذكر ضميره في جانب المقت والكره حتى لو كان هذا الجانب منفيًا.

(٢) انظر شروح التلخيص للتفتازاني ٣/ ١٨٤، ١٨٣.

٢- الطباع أميل إلى لفظ القصاص، من لفظ القتل، لإشعار الأول بالمساواة والعدالة، دون الثاني.

٣- ما يفيد تنكير كلمة الحياة من التعظيم، فيكون المعنى: أن لكم في هذا الحكم، الذي هو القصاص، حياة عظيمة، وذلك أنهم - قبل تشريع القصاص بالشروط والقيود المذكورة في محلها - كانوا يقتلون بالواحد الجماعة، وبالمقتول غير قاتله، فتقع فتنة عظيمة، فكان في القصاص حياة أي حياة.

### الوصل والفصل:

فائدة (٣٢٠): يعتبر بحث الفصل والوصل من المباحث الهامة، وقد احتل منزلة كبيرة في تقدير علماء البلاغة إلى درجة أن بعضهم حد البلاغة بأنها معرفة الفصل والوصل، وما ذلك إلا لما يتميز به من دقة في المأخذ وصعوبة في المسلك<sup>(١)</sup> بحيث «لا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورزق من إدراك أسراره ذوقاً سليماً».

ويعتبر الجرجاني معرفة الفصل والوصل سبيلاً إلى معرفة سائر معاني البلاغة يقول: «وإنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة».

(١) مسائل الفصل والوصل الغرض منها معرفة أساليب العرب في ربط جمل الكلام حتى يجيء المتكلم بكلام لا يوقع فهم السامع في لبس. ولذلك من حق مسائل هذا الباب أن تكون أعلق بعلم النحو إذ ليس فيها ما يفيد خصوصيات بلاغية غير أن الذي دعا علماء البلاغة إلى ذكرها في هذا الفن أمور ثلاثة: أحدها: أن النحاة تكلموا على أحكام العطف ولم يتكلموا على أحكام ترك العطف. ثانيها: أنهم تركوا كثيراً من مسائل المناسبات. ثالثها: أنه لما كان العطف وتركه قد يلاحظ فيها أمور ادعائية في الشعر والخطابة ناسب أن يذكر مع خصوصيات علم المعاني.

وفصحاء العرب وبلغاؤهم كانوا حريصين كل الحرص على مراعاة مواطن الفصل والوصل في كلامهم وخطبهم<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٢١): الوصل: هو عطف جملة على أخرى وكذلك المفردات، والفصل هو ترك عطف جملة على جملة، لا ترك العطف مطلقاً.

والعطف سواء كان بالواو أو غيرها، وسواء كان بين جملتين أو مفردتين، لكن المصطلح عليه اختصاص الوصل والفصل بالجمل، ويكون الوصل بين متناسبين لا متحدين ولا متباينين.

فائدة (٣٢٢): مثال الوصل في المفردات قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] وذلك لرفع توهم عدم اجتماعهما.

ومثال الفصل نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] وذلك لعدم الجامع بينها.

(١) وحق الجمل إذا ذكر بعضها بعد بعض أن تذكر بدون عطف لأن كل جملة كلام مستقل بالفائدة إلا أن أسلوب الكلام العربي غلب فيه أن يكون متصلاً ببعضه ببعض بمعمولية العوامل والأدوات أو بالتباعد أو بالعطف، فلا تذكر جمل الكلام ولا كلماته تعدداً إلا في المواطن التي يقصد فيها التعداد نحو قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ \* فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢-١٣] أو في حكاية المحاورات نحو ﴿قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ﴾ [هود: ٦٩] أو قصد إظهار انفصال الجمل واستقلالها كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ \* يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٥-١٦].

فائدة (٣٢٣): ويقع الوصل في ثلاثة مواضع:

١- إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية، لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، مع المناسبة بينهما، وعدم مقتضى الفصل. فالخبريتان نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]. والإنشائيتان نحو قوله سبحانه: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦]. والمختلفتان نحو قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود: ٥٤]. فالجملة الثانية وإن كانت إنشائية لفظاً، لكنها خبرية معنى.

٢- دفع توهم غير المراد فإنه إذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً، ولكن كان الفصل موهماً خلاف المراد وجب الوصل، كقولك في جواب من قال (هل جاء زيد): (لا، وأصلحك الله). فإنك لو قلت: (لا أصلحك الله) توهم الدعاء عليه، والحال أنك تريد الدعاء له.

٣- إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب، وقصد مشاركة الثانية لها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٢٥] حيث قصد اشتراك (يصدون) لـ (كفروا) في جعله صلة.

فائدة (٣٢٤): علة الفصل: هو أن الجملة الأولى لها حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية لمانع هو اختلاف القائل فيهما كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ \* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥-

١٤] ففصل بترك العطف في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عما قبله، لما بينهما من كمال الانقطاع، لأن قوله: (إنما...إلى آخر الآية) من مقول المنافقين، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ من مقول الله رداً عليهم، فلو عطف ووصل، لتوهم أنه من مقولهم أيضاً. وكذا قولهم - مات فلان رحمه الله - فلو عطف - رحمه الله - لظن أن الجملة الدعائية إخبار عن فعل الله معه.

### فوائد منتشرة من علم البديع:

فائدة (٣٢٥): البديع في اللغة: على وزن فعيل، تأتي بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول. يقال: بدع فلان الشيء يدعه بدعاً إذا أنشأه على غير مثال سبق، فالفاعل للشيء بديع، والشيء المفعول بديع أيضاً<sup>(١)</sup>.

وعلم البديع اصطلاحاً: هو العلم الذي تُعرف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظية المنتشرة، التي لم تُلحق بعلم المعاني، ولا علم البيان.

فائدة (٣٢٦): قيل إن أول من دوّن في هذا الفن هو عبد الله بن المعتز العباسي (ت ٢٧٤هـ) في كتاب سماه (البديع)، ثم جاء من بعده من كتب فيه متوسعاً، منهم: قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣١٩هـ) ألف كتاباً سماه (نقد الشعر)، ثم أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ثم ابن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ) في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، ثم ابن أبي الإصبع العدواني المصري (ت ٦٥٤هـ) في كتابه (بديع القرآن) ثم صفي الدين الحلي عبد

(١) انظر القاموس للفيروزآبادي مادة (بدع).

العزیز بن سرایا بن أبی القاسم السنسبی الطائی (ت ۷۵۰هـ) فی شرحه للكافیة البدیعیة فی علوم البلاغة ومحاسن البدیع<sup>(۱)</sup>.

فائدة (۳۲۷): براعة الاستهلال: البراعة لغة: كمال الفضل. والاستهلال لغة: الابتداء<sup>(۲)</sup>. وهو في الأصل أول ظهور الهلال، ثم استعمل في مطلق افتتاح الشيء. واصطلاحاً: هي أن يذكر المتكلم في فاتحة كلامه ما يدل على مقصوده، وتقابلها (براعة المقطع) وهي ما تؤذن بالختام<sup>(۳)</sup>. وسموا حسن الانتقال من المقدمة إلى الموضوع الرئيسي في الكلام (حسن التخلّص).

ويعد ضرباً من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء البيان، ونقاد الشعر، وجهابذة الألفاظ، بأن يبدأ المتكلم بمعنى ما يريد تكميله، وإن وقع في أثناء الكلام.

وتعد (براعة الاستهلال) فرعاً فرعاً المتأخرون مما يسمى (حسن الابتداءات) فيرى السيوطي أن براعة الاستهلال أخص من حسن الابتداء، لأن البراعة لا بد

---

(۱) الكافية البديعية في مدح خير البرية، هي قصيدة للحلي يمدح بها النبي الأعظم ﷺ معارضاً بها قصيدة البردة للبوصيري، ضمنها إضافة إلى المدح «علم البديع»، بدايةً بحسن المطلع، وانتهاءً ببراعة الختام، مشتملة بذلك على واحد وخمسين ومائة نوعٍ بديعي في ۱۴۵ بيتاً من بحر (البيسط)، ومستهلها:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم    واقر السلام على عرب بذني سلم

(۲) لسان العرب لابن منظور مادة (برع) ومادة (همل).

(۳) انظر العمدة لابن رشيقي ۲/ ۴۱۵، وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع ۴/ ۶۱۶ والطراز ۳/ ۱۸۳، وشرح الكافية ص ۳۳۳.

فيها من الإشارة إلى ما سيق الكلام لأجله، بخلاف حسن الابتداء فلا يشترط فيه ذلك<sup>(١)</sup>.

و ينبغي للخطيب إذا ارتجل خطبة، والبليغ إذا افتتح رسالة، أن يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه، فالابتداء أول ما يقرع السمع، فإن كان عذبا، حسن التركيب، صحيح المعنى، أقبل السامع على الكلام فوعاه، وإلا أعرض عنه، وإن كان الباقي في غاية الحسن<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٣٢٨): الاقتباس ويسمى التضمين<sup>(٣)</sup>: هو أن يضمن الكلام قرآنا أو حديثا لا على أنه منه بل من غير تصريح بذلك. والفرق بين الاقتباس والتضمين، أن الاقتباس هو استعمال كلام الغير لا على أنه منه، والتضمين: استعمال كلام الغير مع التنبيه على أنه منه<sup>(٤)</sup>.

---

(١) معترك الأقران للسيوطي ١ / ٧٥، والإتقان ٣ / ٣١٨.

(٢) ومن أمثلة حسن البدايات قول امرئ القيس في أول معلقته:

قفانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قالوا: إنه في هذه البداية البارعة وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد.

(٣) بحثه في: العمدة لابن رشيق ٢ / ٨٤، والمثل السائر لابن الأثير ٣ / ٢٠٠، ونهاية الأرب للنويري ٧ / ١٨٢، والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني ص ٤٢٢، وشرح الكافية للحلي ص ٣٢٦.

(٤) وقيل الاقتباس هو ما كان مأخوذا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. بينما التضمين ما كان مأخوذا من الأبيات الشعرية والحكم والأمثال العربية. فيقال هذا شاعر اقتبس من كتاب الله تعالى أو من حديث المصطفى ﷺ، ويقال هذا شاعر ضمّن أبياته بيتاً لفلان أو حكمة عن فلان.

ومن التضمين قول الشاعر:

إن كنتِ أزمعتِ على هجرنا      من غير ما جُرمِ فصبرٌ جميلٌ  
وإن تبدلتِ بنا غيرنا      فحسبنا الله ونعم الوكيل<sup>(١)</sup>

وقول الآخر:

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا      ببيت قديم شاع في كل مجلس  
لقد هزلت حتى بدا من هزائها      كلاها وحتى سامها كل مفلس

فائدة (٣٢٩): وحكم الاقتباس من القرآن المنع عند الإمام مالك، سداً  
للذريعة، قال في عقود الجمان<sup>(٢)</sup>:

قلت وأما حكمه في الشرع      فمالك مشدد في المنع

وأما عند الجمهور فحكمه الجواز بشرط عدم التغيير الكثير، وبشرط استعماله  
فيما يليق من المعاني، ويجوز إن لم يكن فيه تغيير واغتفر اليسير، كقوله<sup>(٣)</sup>:

قد كان ما خفت أن يكونا      إننا إلى الله راجعون<sup>(٤)</sup>

---

(١) البيتان لأبي القاسم بن حسن الكاتب، وقد تم الاقتباس في البيت الأول من سورة يوسف  
الآية ١٧ أو ٨٣ منها أيضاً، وفي الثاني من سورة آل عمران الآية ١٧٣.

(٢) بشرح السيوطي ٢ / ١٨٤.

(٣) البيت لأبي تمام قاله عند موت ابنه، أورده محمد بن علي الجرجاني في الإشارات ص ٣١٦،  
والإيضاح للقزويني ص ٣٥٣.

(٤) زاد الألف في راجعون على جهة الإشباع وأتى بالظاهر مكان المضمرة في قوله إننا إلى الله  
ومراد آية التعزية في المصيبة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وكقول ابن الرومي يذم بخيلاً مدحه فلم يعطه شيئاً:

لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في منعي

فقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع<sup>(١)</sup>

وحجة من قال بجوازه حديث: «الله أكبر، خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة

قوم فساء صباح المندرين».

وقد رخص بعض أهل العلم في تضمين بعض آيات القرآن الكريم في خطبهم

ومواعظهم<sup>(٢)</sup>، وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة<sup>(٣)</sup> وابن الجوزي<sup>(٤)</sup>، وقد

استعمله كثير من الناس.

---

(١) فإن الشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه، والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمتها. انظر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٣/٢٠٣.

(٢) فمن ذلك قول الحريري في مقاماته: «فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى، ﴿وَنَهَى  
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]، وعلم أن الفائز من ارعوى، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا  
مَا سَعَىٰ﴾ \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم: ٣٩-٤٠].

(٣) هو ابن نباتة الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة الفارقي أبو يحيى، صاحب الخطب المنبرية الشهيرة التي قيل إنه لم يعمل مثلها، ولد في ميفارقين بديار بكر ونسبته إليها وسكن حلب فكان خطيبها، واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني، وتوفي سنة (٣٧٤هـ).

(٤) هو الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البكري أبو الفرج، علامة زمانه، صاحب المصنفات الكثيرة والمفيدة، له نحو من ثلاثمائة كتاب في مختلف نواحي العلم، مولده ووفاته ببغداد، وقد عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسطة، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها، وقيل نسبة إلى «فرضة الجوز» وهي مرفأ نهر البصرة. توفي سنة (٥٩٧هـ).

قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام المواعظ والثناء والدعاء، وفي النثر، ولا دلالة فيه على جوازه في الشعر وبينهما فرق. فإن القاضي أبا بكر من المالكية صرح بأن تضمينه في الشعر مكروه، وفي النثر جائز. واستعمله أيضاً في النثر القاضي عياض في مواضع من خطبة الشفاء».

فائدة (٣٣٠): قال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليمني صاحب مختصر الروضة في شرح بديعته: الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول، ومباح، ومردود<sup>(٢)</sup>: فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود. والثاني: ما كان في الغزل والرسائل والقصص. والثالث: على ضربين أحدهما، ما نسبه الله إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله فكتب إليهم: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا أِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية ٢٥-٢٦]. والآخر: تضمين آية في معنى الهزل ونعوذ بالله من ذلك... قال السيوطي: «وهذا التقسيم حسن جداً، وبه أقول»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) الإيتقان ١/ ٣١٤.

(٢) وفي المثل السائر ٢/ ٤٥٥: ومن الاقتباسات التي هي غير مقبولة قول ابن النبيه المصري (ت ٦١٩هـ) في مدح الفاضل:

قمت ليل الصدود إلا قليلا	ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل	وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعي كل عن سماع عذول	حين ألقى عليه قولاً ثقيلا
وفؤادي قد كان بين ضلوعي	أخذته الأحباب أخذاً وبيلا

(٣) الإيتقان ١/ ٣١٥.

الفصل السادس  
الفوائد المتعلقة بعلم التفسير



## الفصل السادس

### الفوائد المتعلقة بعلم التفسير

فائدة (٣٣١): التفسير لغة: الإيضاح والتبيين من الفسر وهو الإبانة وكشف

المغطى<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو مقلوب السفر<sup>(٢)</sup> يقال: أسفر الصبح إذا أضاء إضاءة لا شبهة فيه، وسفرت المرأة عن وجهها إذا كشفت نقابها ولهذا سمي: السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال.

وقيل: مأخوذ من التفسرة وهو اسم لما يعرف به الطبيب المرض، وبني على التفعيل للمبالغة، ذكرهما الكافي<sup>(٣)</sup>.

والتفسير اصطلاحاً: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه<sup>(٤)</sup>.

وقيل بأنه: «علم يبحث فيه عن فهم القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر المفردات للراغب ص ٣٨٠ مادة فسر، والقاموس المحيط ٢ / ١١٠.

(٢) انظر الإتيان ٤ / ١٦٧.

(٣) انظر كتاب العين للخليل بن أحمد ٧ / ٢٤٧.

(٤) انظر البرهان للزركشي ٢ / ١٤٧.

(٥) انظر مناهل العرفان للزرقاني ٧ / ٢.

أما تعريف علم التفسير الذي بمعنى التبيين والتوضيح لألفاظ القرآن فإنه كما في الصاوي: «علم بأصول يعرف بها معاني كلام الله على حسب الطاقة البشرية». وهذا القيد لبيان أنه لا يقدر بالعلم بالتفسير وعدم العلم بمراد الله في نفس الأمر ولا عدم العلم بمعاني المشابهات.

فائدة (٣٣٢): أهمية علم التفسير: إن علم التفسير من الأهمية بمكان، ولذا قال إياس بن معاوية: مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم؛ مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح فتدخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

وقال السيوطي<sup>(١)</sup>: وأما شرفه فلا يخفى قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وأخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال: المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله<sup>(٢)</sup>. وأخرج ابن مردويه من طريق جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعا: يؤت الحكمة قال: القرآن. قال ابن عباس: «يعني تفسيره فإنه قد قرأه البر والفاجر»<sup>(٣)</sup>. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء: يؤت الحكمة قال: قراءة القرآن والفكرة فيه<sup>(٤)</sup>.

(١) الإتيان ٢/ ٢٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٧١.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٥٧١.

(٤) الدر المنثور ١/ ٣٤٨.

وأخرج ابن جرير مثله<sup>(١)</sup>، عن مجاهد، وأبي العالية، وقتادة، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وأخرجه ابن أبي حاتم، عن عمرو بن مرة، قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٣٣٣): اعلم أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن، فقد روي عن مجاهد أنه قال: «لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجتُ أن أسأله عن كثير مما سألته عنه».

فائدة (٣٣٤): من الشروط التي يجب على المفسر أن يراعيها في تفسيره أن يكون عالماً بقواعد الترجيح بين المعاني التي يدل عليها اللفظ، ومن تلك القواعد:

- تقديم المعنى الحقيقي على المجازي بحيث لا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة. قال ابن جزي<sup>(٣)</sup>: «الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً راجحاً والحقيقة مرجوحة».

- رعاية قانون الترجيح عند الاحتمال، وهو ما بينه السيوطي بقوله<sup>(٤)</sup>: «كل لفظ احتمال معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهم

(١) في تفسيره ٦٠ / ٣.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٥ / ٤٤٥.

(٣) انظر تفسيره: التسهيل لعلوم التنزيل ٩ / ١.

(٤) انظر الإتيان ٢ / ٢٣٣.

اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي، وإن استويا والاستعمال فيها حقيقة، لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى إلى أن يدل دليل على إرادته اللغوية كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ<sup>ط</sup> إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى، وإن اتفقا في ذلك أيضاً، فإن تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد في المراد منها بالأمارات الدالة عليه».

فائدة (٣٣٥): وفي التفريق بين التفسير والتأويل يقول الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): «والتفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ، والتأويل أكثره يستعمل في الجمل»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٣٦): قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup>: «كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبْنَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] في آيات أخرى. وقال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(٣)</sup> يعني السنة.

(١) البرهان للزركشي ١٥٣/٢، والإتقان ١٦٧/٤.

(٢) نقله السيوطي في معترك الأقران ١٥/١.

(٣) أبو داود في السنن ١٠/٥.

فائدة (٣٣٧): اختلف العلماء في المقدار الذي بيّنه النبي ﷺ من القرآن لأصحابه: فمنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ بيّن لأصحابه كل معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه. لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].. والبيان في الآية يتناول بيان معاني القرآن، كما يتناول بيان ألفاظه، وقد بيّن الرسول ﷺ ألفاظه كلها، فلا بد أن يكون قد بيّن كل معانيه أيضاً، وإلا كان مقصراً في البيان الذي كلف به من الله.

روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: «حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»، ولهذا كانوا يبِقون مدة طويلة في حفظ السورة، وقد ذكر الإمام مالك في الموطأ: أن ابن عمر أقام على حفظ «البقرة» ثماني سنوات.

وما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «من آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله ﷺ قبض قبل أن يُفسّر لها»، يدل بالفحوى على أنه كان يُفسّر لهم كل ما نزل، وأنه إنما لم يُفسّر هذه الآية، لسرعة وفاته بعد نزولها، وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه.

ومنهم من ذهب إلى القول بأن رسول الله ﷺ لم يبيّن لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل. استدل أصحاب هذا الرأي بما أخرجه البزار عن عائشة قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يفسّر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد، علّمه إياهنّ جبريل».

الرأي الثالث: إن الرسول ﷺ بيّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبيّن كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما

استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يُعذر أحد في جهالته كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير، قال: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله». ولم يفسر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجري مجرى الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيه، وإنما فسّر لهم رسول الله ﷺ بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعها عليها وأمره ببيانها لهم، وفسّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفي معناه والتبس المراد به.

هذا وإنَّ مما يؤيد أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يُفسّر كل معاني القرآن، أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقع بينهم الاختلاف في تأويل بعض الآيات، ولو كان عندهم فيه نص عن رسول الله ﷺ ما وقع هذا الاختلاف، أو لارتفع بعد الوقوف على النص.

وعن طريق الصحابة رضي الله عنهم: انتشر التفسير وظهرت مدرسة التفسير بالمأثور متمثلة أظهر ما تكون في حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس<sup>(١)</sup>، ثم غيره من مفسري الصحابة، مثل: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وبقية الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم.

(١) قال تلميذه ابن مجاهد يصفه: «كان إذا فسر آية من القرآن رأيت النور على وجهه». إعلام الموقعين لابن القيم ص ٢٢.

فائدة (٣٣٨): وأما التابعون فأبرز من روى التفسير منهم سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ)<sup>(١)</sup>، وعكرمة البربري مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، وطاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ)، وهؤلاء أكثر ما رووه بمكة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي المدينة المنورة، روى التفسير عن أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه تلاميذه وهم محمد بن كعب القرظي، وسعيد بن المسيب، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، وزيد بن أسلم العدوي (٣٦هـ).

وفي العراق روى التفسير عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه علقمة بن قيس النخعي (ت ٦٣هـ)، والأسود بن يزيد النخعي (ت ٧٥هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت ٦٣هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسي (١١٧هـ)، وزرّ بن حبيش.

ثم جاءت الطبقة التالية من صغار التابعين ومن تابعي التابعين فدونوا الروايات وميزوها عن علم الحديث، وظهرت في طبقتهم لأول مرة الكتب المتعلقة بالتفسير. ويقال: إن عبد الملك بن جريج (ت ١٤٩هـ) أول من جمع الأخبار المتعلقة بالتفسير في كتاب مستقل.

فائدة (٣٣٩): ومن هؤلاء العلماء الذين قاموا بهذا الجهد العظيم في الجمع والتدوين: يزيد بن هارون السلمي (ت ١١٧هـ)<sup>(٢)</sup>، وشعبة بن الحجاج

(١) وقد طبع له تفسير في مجلدين.

(٢) انظر كشف الظنون ١ / ٤٦١، وتاريخ التراث العربي ١ / ٩٢.

(ت ١٦٠هـ)<sup>(١)</sup>، ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ)<sup>(٢)</sup>، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)<sup>(٣)</sup>، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)<sup>(٤)</sup>.

فائدة (٣٤٠): وفي القرن الثالث استطاع العلماء أن يفصلوا التفسير عن الحديث، وبذلك أصبح هذا اللون من العلم، علمًا قائمًا بذاته يتناول كل آية من القرآن، ومرتبًا كذلك على سور المصحف، فمن هؤلاء: ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ)<sup>(٥)</sup>، وابن جرير الطبري<sup>(٦)</sup> (ت ٣١٠هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)<sup>(٧)</sup>، والحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)<sup>(٨)</sup> وغيرهم من العلماء في هذا الشأن.

### علم الموهبة:

فائدة (٣٤١): وقد رجح السيوطي أن يتمتع المفسر نفسياً بعلم الموهبة، وهو ليس من العلوم المكتسبة، ولا من الفنون التعليمية المحصلة، وإنما المراد به

- 
- (١) انظر كشف الظنون ١ / ٤٥١، ومعجم المفسرين ١ / ٢٢٧.
  - (٢) انظر كشف الظنون ١ / ٤٦١ وتاريخ التراث العربي ١ / ١٨٠.
  - (٣) جمع هذا التفسير وطبع ونشره المكتب الإسلامي (١٤٠٣هـ) في مجلد واحد.
  - (٤) طبع تفسير عبد الرزاق في ثلاثة مجلدات نشرته مكتبة الرشد (١٤١٠هـ). ويعد عبد الرزاق الصنعاني من أوائل من كتب تفسيرًا واسعًا يعتبر من أوائل التفاسير التي كتبت في عصر التدوين.
  - (٥) انظر كشف الظنون ١ / ٤٣٩.
  - (٦) ويعد الإمام الطبري رائد المنهج الجامع في التفسير في كتابه «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، حيث فسّر القرآن كله سورة سورة وآية آية على أسس منهجية موضوعية فكان أولاً يفسر القرآن باللغة ويورد الشواهد الشعرية والمناقشات النحوية ثم يورد الأقوال المأثورة بأسانيد في تفسير الآية ثم يذكر استنباطاته واجتهاداته فيها.
  - (٧) وقد طبع منه أجزاء متفرقة، وهناك بعض الأجزاء منه مفقودة.
  - (٨) وهو كتاب التفسير من المستدرک ٢ / ٢٠-٥٤٢.

الفيض الرباني والعلم الديني استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] وإليه الإشارة بحديث: «من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم»<sup>(١)</sup> وهو بهذا علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

ولعل المراد بعلم الموهبة: الإيحاءات التي تعترض خاطر الإنسان وتحتشد في ذهنه، فيصيبها في تفسيره دون تلقيها من أحد، أو اكتسابها من جهة، بل هي انقذاح بالفكر، وبداهة من الفطرة تشق طريقها إلى النفس استثناساً بشفافيتها ونقائها، ويكون مصدر ذلك حيثئذ هو الله تعالى بالموهبة والإيحاء، لا بالكسب والمعرفة، ولا يتأتى ذلك لكل فرد، ولا يفوز به إلا الصفوة المختارة في كل جيل، وملاك ذلك هو الصفاء الروحي والتوجه نحو الله.

ولصاحب «كتاب المباني» إشارة لطيفة لهذه النقطة، حيث يقول: «والثالثة أن يكون عالماً بأبواب السر من الإخلاص والتوكل والتفويض والأذكار الباطنة التي افترضها الله تعالى، وبالإلهام والوسوسة وما يصلح الأعمال وما يفسدها، وبآفات الدنيا ومعائب النفس، وسبل التوقي من فسادهما ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني».

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، وقد ضعف الحديث، انظر «فتح المغيث» للسخاوي ٢٦٧/١. ويدل على معناه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ سورة محمد الآية ١٧. قال العارف بالله أبو سليمان الداراني: «إذا عقدت النفوس على ترك الآثام، جالت في الملكوت، وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً».

فائدة (٣٤٢): قال ابن تيمية<sup>(١)</sup>: «لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين - بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه - ما لا يفتح به على غيرهم، وهذا كما قال عليُّ: إلا فهما يؤتیه الله عبدا في كتابه، وفي الأثر: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع».

وقال ابن القيم<sup>(٢)</sup>: «والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص وأن منهم من يفهم من الآية حكماً أو حكماً، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيائه وإشارته وتنبهه واعتباره».

فائدة (٣٤٣): قال الحسن: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن أعرف فيما أنزلت وما يعنى بها. وقال الشعبي: رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ف قيل له: إن الذي يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها. وقال عكرمة في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠] طلبت اسم هذا الرجل «الذي خرج مهاجراً إلى الله ورسوله أربع عشرة سنة حتى وجدته»، وقال ابن عبد البر: هو ضمرة بن حبيب. وقال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله - ﷺ - ما يمنعي إلا مهابته فسأله فقال: حفصة وعائشة.

فائدة (٣٤٤): قال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثّل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً ليس عندهم مصباح،

(١) في مجموع الفتاوى ١٣ / ٢٤٥.

(٢) في إعلام الموقعين ١ / ٣٥٤.

فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف تفسيره كمثّل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب.

فائدة (٣٤٥): قال جلال الدين السيوطي<sup>(١)</sup>: «و لعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان وليس كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد. قال الإمام بدر الدين الزركشي: «اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسرارها، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو هو مصر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من البعض».

قال السيوطي: «وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال سفيان بن عيينة: يقول تعالى: أنزع عنهم فهم القرآن. قلت: وهكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].»

## أنواع التفاسير:

فائدة (٣٤٦): التفسير على نوعين بالإجمال، أحدهما: تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية وإشارات فنية، وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير وبيان مراد الله من هداياته.

---

(١) الإتقان ١/ ٤٤٤.

النوع الثاني تفسير يجاوز هذه الحدود ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله وهذا هو الخلق باسم التفسير.

فائدة (٣٤٧): التفسير بالمعقول (الرأي): هو التفسير العقلي الذي يعتمد فيه على الفهم العميق، والإدراك المركّز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنظم في سلكها تلك الألفاظ الكريمة وفهم دلالاتها فهماً دقيقاً.

وهذا القسم من التفسير يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومعرفتها مدلولها، عن طريق معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول وأساليبهم في التعبير، ومعرفة دلالة الألفاظ ووجوهها، وآلة هذا النوع من التفسير علوم الاستنباط وأصول التشريع.

وهو تفسير القرآن باجتهاد المفسر معتمداً على أسباب النزول ودلالة كلمات الآيات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من أدوات التفسير.

وقد اختلف العلماء حوله منذ القدم بين مجيزٍ لذلك ومانع له، فالذين أجازوه استدلوا بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ففي هاتين الآيتين ما يدل على أن معاني القرآن لا يصل إليها إلا أهل الاستنباط والاجتهاد، بما يملكون من مواهب؛ كما أن في الآية أمراً بالتدبر والاجتهاد في استنباط معانيه، كما كان اختلاف الصحابة، رضوان الله عليهم، في بعض أقوالهم في تفسير القرآن، يدل على أنهم فسروه باجتهادهم القائم

على معرفتهم الخاصة، إذ لولا ذلك لاتفتت أقوالهم. كما كان أيضاً دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» على جواز الاجتهاد في فهم القرآن.

فائدة (٣٤٨): إن الاجتهاد في التفسير ليس قولاً على الله بغير علم، وإنما استعمال للعقل الذي أنعم الله به على الإنسان مع شروط يجب توافرها فيمن يقوم بهذا الاجتهاد. إن المجتهد مأجور، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر. فالاجتهاد البعيد عن الهوى والضلالة والجهالة أمرٌ غير مذموم. وقد ورد عن أبي بكر رضي الله عنه حين سُئل عن الكلالة فقال: «أقول فيها برأى؛ فإن كان صواباً فمن الله وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان»، ثم فسّر معنى الكلالة. أما امتناع أبي بكر وغيره من الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن برأيهم فيحمل على الورع والاحتياط وخشية الوقوع في الزلل.

فائدة (٣٤٩): يتلخص القول في تفسير حديث: «من فسر القرآن برأيه»: أن الشيء المذموم أو الممنوع شرعاً، الذي استهدفه هذا الحديث أمران: أحدهما: أن يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي أو عقيدة، أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاروه في هذا السبيل، أو تمويهاً على العامة في تحميل مذاهبهم أو عقائدهم، تعبيراً على البسطاء.

وهذا قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، ولم يهدف تفسير القرآن في شيء وهذا هو الذي عنى بقوله ﷺ: «فقد خر بوجهه أبعد من السماء»، أو «فليتبوا مقعده من النار»<sup>(١)</sup>.

(١) «من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار» عن ابن عباس مرفوعاً، رواه أبو داود في السنن ٣/٣٢٠، والترمذي ٥/١٩٩ وقال: حديث حسن صحيح.

وثانيهما: الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، محايدا طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام، ولا سيما كلامه تعالى فإن للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقا، منها: مراجعة كلام السلف، والوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، وملاحظة أسباب النزول، وغير ذلك من شرائط يجب توافرها في مفسر القرآن الكريم. فإغفال ذلك كله، والاعتماد على الفهم الخاص، يخالف لطريقة السلف والخلف في هذا الباب ومن استبد برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم فقد ضل سواء السبيل، ومن ثم فإنه قد أخطأ وإن أصاب الواقع، فرضا أو صدفة، لأنه أخطأ الطريق، وسلك غير مسلكه المستقيم.

فائدة (٣٥٠): ومما يدل على أن التفسير بالرأي ليس مذموما على إطلاقه هو ممارسة الصحابة له حتى في زمن النبي ﷺ وفي ذلك أمثلة كثيرة منها حديث أبي بن كعب، يوم سأله ﷺ: «أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»، فقال أبي: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم»، فقال عليه الصلاة والسلام: «ليهنك العلم أبا المنذر»، فهذا قول أبي في أمر من عظيم القرآن «برأيه» بين يدي رسول الله ﷺ، ولم ينهه ولم يزجره، فهو وإن قال برأيه، فلم يقل بهواه، ولم يخالف ظاهراً من القرآن ولا الحديث ولا لسان «الكتاب»، فوافق «برأيه» هدي النبي ﷺ فشكر له.

فائدة (٣٥١): التفسير بالرأي قد ظهر مبكراً منذ عهد التابعين، إن لم يكن في عهد الصحابة أنفسهم، وقد تطور تصنيف علم التفسير بعد ذلك فحذفت الأسانيد من جهة وضممت الروايات المتعددة من جهة أخرى بعضها إلى بعض وبدأ العلماء المفسرون باتخاذ منهج النقد للروايات، والتمييز بينها لقبول الصحيح

ورد الضعيف ويعتبر تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) والمسمى «جامع البيان في تفسير القرآن» أعظم وأقدم تفسير وصل إلينا كاملاً.

فائدة (٣٥٢): أشهر كتب التفسير بالرأي: «مفاتيح الغيب» للفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي (ت ٦٩١ هـ)، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للنسفي (ت ٧٠١ هـ)، «لباب التأويل في معاني التنزيل» للخازن (ت ٧٤١ هـ)، «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، «السراج المنير» للخطيب الشربيني (ت ٩٧٧ هـ)، «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» لأبي السُّعود (ت ٩٨٢ هـ)، «تفسير الجلالين»: لجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

فائدة (٣٥٣): يعد تفسير الزمخشري من التفسير اللغوي وفي اصطلاح المعاصرين «التحليلي»: الذي يتعلق بعلوم اللغة العربية في الإعراب والنحو والبيان. وقد ابتدأ كتابته بعد أن جاوز الستين، فرغ منه بعد سنتين وتسعة أشهر، وعزا الزمخشري ذلك إلى بركة مجاورته للحرم، ولقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلاني كتاباً في تخريج أحاديث الكشاف سماه «الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» وقد جاء عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) واختصر كتاب الكشاف في تفسيره المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» محاولة منه لتتقية الكشاف من اعتراضات الزمخشري<sup>(١)</sup>.

---

(١) وعلى تفسير البيضاوي هذا حواش كثيرة، فقد عد حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ١٨٨ أكثر من (٤٢) حاشية عليه، ومن أراد أن يستفيد مما في كتابي الكشاف والبيضاوي، فعليه بكتاب «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» لأبي السعود محمد بن مصطفى العمادي الرومي (ت ٩٨٢ هـ) فقد جمع فيه فوائد التفسيرين السابقين.

## التفسير الإشاري:

فائدة (٣٥٤): التفسير الإشاري: «هو إلهام رباني يضيف إلى الباحث معنى تحت ظل النظم أوسع من معناه المتداول لكن لا يهتدي إليه إلا الراسخون في العلم».

ويمثل له علماء الحنفية في باب دلالة الإشارة من علم أصول الفقه بمن يبحث عن درهم سقط من جيبه فوجد جوهره قد أضلها من زمن بعيد.

ويبقى ظاهر النظم على المعنى المتداول مستصحباً مع هذا المعنى الإشاري، فيكون رصيلاً علمياً زائداً، فالقرآن وإن انتهى إنزاله ولكن تنزلاته باقية أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨] فهذا يدل على أن زمن المكلف مجلي لزيادة معلوماته القرآنية من النظم القرآني، وكلما ارتفع قدر الإنسان عند الله تعالى ارتفع قدر فهمه في القرآن، لكن بقدر العبد لا بقدر القرآن ولا بقدر منزل القرآن.

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: «وإذا امتلأ القلب بشيء، وارتفعت المباينة الشديدة بين الظاهر والباطن أدت الأذن إلى القلب من المسموع ما يناسبه، وإن لم يدل عليه ذلك المسموع ولا قصده المتكلم، ولا يختص ذلك بالكلام الدال على معنى بل قد يقع في الأصوات المجردة».

فائدة (٣٥٥): الإشاري لا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الإنسان نفسه حتى تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه

(١) مدارج السالكين ٢/٤٠٦.

الإشارات القدسية. كما أن التفسير الإشاري يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء وهو المعنى الظاهر.

فالتفسير الإشاري ينطلق من تحويل المرئي (الليل، القمر، الرياح... الخ) والمقروء (كآيات القرآنية مثلاً) إلى رموز تشير إلى تجارب روحية، فالرياح مثلاً تشير إلى الرجاء الذي يسبق العطاء الإلهي كما تسبق الرياح المطر. فهو ينطلق من إشارة النص، وهي ما يرادف إيجاءاته، بحيث يكون النص بالنسبة للمفسر منطلقاً إلى آفاق رحبة يومية إليها. ومن ثم فإنه يظل مرتبطاً بالنص وله شاهد فيه.

فائدة (٣٥٦): أهل الإشارات: من المعلوم أن من الناس من هم من أهل الإشارة، سواء فيما يقولون أو فيما يسمعون أو يقرؤون أو يرون أو حتى فيما يفكرون، وقد تقدم معنى قول ابن القيم في مدارج السالكين.

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: «اعلم أن في لسان القوم من الاستعارات، وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم ولهذا يقولون: «نحن أصحاب إشارة لا أصحاب عبارة، والإشارة لنا والعبارة لغيرنا».

فالتفسير الإشاري: «هو تأويل القرآن على غير ما يظهر منه بمقتضى إشارات خفية ونكات لطيفة تظهر لأهل السلوك والأحوال وللمتدبرين لكتاب الله تعالى».

---

(١) مدارج السالكين ٣ / ٣٣٠.

فائدة (٣٥٧): قال ابن تيمية<sup>(١)</sup>: «فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى:

- إشارة حالية: وهى إشارتهم بالقلوب وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه.

- وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال: مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه، فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك. فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة، وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه، وإن كان تحريفا للكلام عن مواضعه وتأويلا للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية. فتدبر هذا فإني قد أوضحت هذا في قاعدة الإشارات».

وقال أيضاً<sup>(٢)</sup>: «ومتى كان المعنى صحيحاً والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير من هذا قطعة».

فائدة (٣٥٨): قال ابن القيم<sup>(٣)</sup>: «الإشارات: هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد، ومن وراء حجاب، وهي تارة تكون من مسموع، وتارة تكون من مرئي، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها. فالإشارات: من

(١) مجموع الفتاوى ٦/٣٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٥٦٠.

(٣) في مدارج السالكين ٢/٤٠٦.

جنس الأدلة والأعلام، وسببها: صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والدهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها».

وقال<sup>(١)</sup> أيضاً: «يريد بالإشارة: ما يشير إليه القوم من الأحوال والمنازلات والأذواق التي ينكرها الأجنبي من السلوك ويثبتها أهل البصائر، وكثير من هذه الأمور ترد على السالك، فإن كان له بصيرة ثبتت بصيرته ذلك له وحققته عنده وعرفته تفاصيله، وإن لم يكن له بصيرة بل كان جاهلاً لم يعرف تفصيل ما يرد عليه ولم يهتد لتبتيته».

وقال<sup>(٢)</sup> أيضاً: «قوله: أو إشارة تشفيه، أي تشفي قلبه من علة عارضة، فإذا وردت عليه الإشارة إما من صادق مثله، أو من عالم، أو من شيخ مسلّم، أو من آية فهمها أو عبرة ظفر بها، اشتفى بها قلبه، وهذا معلوم عند من له ذوق».

فائدة (٣٥٩): قال الحافظ ابن حجر<sup>(٣)</sup> في شرحه لحديث ابن عباس المشهور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وأن فيها إشارة لأجل النبي ﷺ. وقصة ابن عباس مع عمر وأهل الشورى، قال الحافظ: «وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ولهذا قال علي رضي الله تعالى عنه: أو فهماً يؤتاه الله رجلاً في القرآن».

فائدة (٣٦٠): قال ابن عاشور في تفسيره<sup>(٤)</sup>: «أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ولكن

(١) في نفس المرجع السابق ١/١٢٩.

(٢) في نفس المرجع السابق ٣/٦٣.

(٣) فتح الباري ٨/٧٣٦.

(٤) التحرير والتنوير ١/١٦.

بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن بل يعنون أن الآية تصلح لتمثل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني...».

وقال أيضا<sup>(١)</sup>: «فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية. فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين».

فائدة (٣٦١): الفرق بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني: مما سبق يتبين لنا الفرق بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني وخلاصته: أن صاحب التفسير الباطني يبطل الظاهر أو يجعل الظاهر للعامّة دون الخاصة، أما صاحب التفسير الإشاري فإنه يقر بالظاهر ويعترف بأنه هو المراد من الآية لكنه يقول: إن في الآية إشارة لمعنى آخر يخطر بباله عند قراءتها، وعلى العموم فإن التفسير على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التفسير الظاهري وهو الأصل، والنوع الثاني: التفسير الإشاري وهو تفسير بغير الظاهر مع عدم إبطال الظاهر، والنوع الثالث: التفسير الباطني وهو التفسير بغير الظاهر مع إبطال الظاهر أو جعله للعامّة دون الخاصة إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية.

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٧.

قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان».

وقال الزرقاني<sup>(٢)</sup>: «ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب، وأما الباطنية فإنهم يقولون إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة».

فائدة (٣٦٢): قال الغزالي<sup>(٣)</sup>: «ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه، كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبيه لكونه أيضاً عرضة للمصائب».

وقال ابن عجيبة شارح الحكم<sup>(٤)</sup>: «كثيراً ما يستدل الصوفية بهذه الآية ﴿قُلْ اللَّهُ تَعَالَى ذَرَهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] على الانقطاع إلى الله والغيبة عما سواه وهو تفسير إشاري لا تفسير معنى اللفظ لأنها نزلت في الرد على اليهود».

(١) الإتيان في علوم القرآن ٢ / ٤٨٥.

(٢) مناهل العرفان ٢ / ٥٦.

(٣) في إحياء علوم الدين ١ / ٤٩.

(٤) شرح الحكم ص ٣٦٦.

فائدة (٣٦٣): مثال للتفسير الإشاري: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ  
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية في مصارف الزكاة، لكن أرباب السلوك  
يرون فيها إشارة أيضاً إلى أن مواهب الله على القلوب لا تكون إلا بتحقيق الفقر  
والمسكنة لله تعالى. قال ابن عجيبة<sup>(١)</sup>: «اقطع عنك المادة وافتقر إلى الله تفيض  
عليك المواهب من الله ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ إن أردت بسط  
المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك».

فائدة (٣٦٤): قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة»  
هو في منع الكلب والصورة الملائكة من دخول البيت، لكن أرباب السلوك  
يرون فيه إشارة أيضاً إلى أن معرفة الله لا تدخل قلبا امتلاً بكلاب الشهوة وانطبع  
بصور الأكوان، قال ابن القيم<sup>(٢)</sup>: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله  
روحه - يقول في قول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» إذا  
كانت الملائكة المخلوقون يمنعها الكلب والصورة عن دخول البيت، فكيف تلج  
معرفة الله عز وجل، ومحبه وحلاوة ذكره، والأنس بقربه في قلب ممتلئ بكلاب  
الشهوات وصورها».

فائدة (٣٦٥): قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: «وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ  
بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧] فيه إشارة إلى أن الله

(١) في شرح الحكم العطائية ص ٤٨.

(٢) في مدارج السالكين ٢/ ٤٠٦.

(٣) في تفسيره ٤/ ٣٩٧.

تعالى يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة الهامدة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل، ويولج إليها النور بعد أن كانت مقفلة لا يصل إليها الواصل».

فائدة (٣٦٦): سئل بعض العارفين عن قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] قال: استلفتنا تعالى بهذه الآية الكريمة لما يخلد ذكرنا في التاريخ، فكأنه يقول إن أردتم أن تذكروا باحترام فيما سيأتي من الأمم والأجيال، فاذكروني، أذكركم على ألسنتهم، ومن أجل هذا ترى الذاكرين لن يزلوا مذكورين على ألسنة العموم والخصوص، وذلك هو نفس ذكر الله لهم، جزاء وفاقا، لأنَّ الجزاء من جنس العمل.

فائدة (٣٦٧): المنهج الإشاري في التفسير يختلف عن المنهج الرمزي حيث يمكن في الأول الجمع بين ظاهر النص وبين الباطن الذي ينضوي عليه، أما في المنهج الثاني فإن المفسر يلغي دلالات النص اللغوية، بحيث يصبح التفسير عبارة عن تموجات فوق النص، ومعاني متوهمة لا يربطها بالنص المفسر أدنى رابط، لا شرعي، ولا لغوي، ولا منطقي.

فائدة (٣٦٨): شروط قبول التفسير الإشاري: ذكر العلماء رحمهم الله تعالى عدة شروط لقبول التفسير الإشاري وهي:

١- «أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربية، وهذا ظاهر من قاعدة كون القرآن عربياً؛ فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربياً بإطلاق؛ ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن ليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه، وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلاً إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله أولى من نسبة ضده إليه ولا مرجح يدل على أحدهما فإثبات أحدهما تحكم وتقول على القرآن ظاهر وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم»<sup>(١)</sup>.

٢- «أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض؛ لأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن، والدعوى المجردة غير مقبولة باتفاق العلماء»<sup>(٢)</sup>.

٣- أن لا يكون تأويلاً سخيلاً بعيداً عن معنى الآية، كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] حيث فسر (لمع) على أنها فعلٌ ماضٍ بمعنى أضاء، وكلمة (المحسنين) مفعولاً له.

٤- أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

٥- أن لا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر؛ لكي يتميز عن التفسير الباطني الملحد الذي يمنع إرادة المعنى الظاهر، ويتمسك بالمعنى الباطن وحده<sup>(٣)</sup>.

(١) الموافقات للشاطبي ٣ / ٣٩٤.

(٢) مناهل العرفان ١ / ٥٤٩.

(٣) مناهل العرفان ١ / ٥٤٩.

فائدة (٣٦٩): وأهم كتب التفسير الإشاري: «تفسير القرآن العظيم» لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٧٣ هـ)، وتفسير «حقائق التفسير» لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢ هـ)، و«التفسير الكبير» و«لطائف الإشارات» للقشيري<sup>(١)</sup>، وتفسير «عرائس البيان في حقائق القرآن» لأبي محمد روزبهان بن أبي النصر الشيرازي (ت ٦٦٦ هـ)، وتفسير «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لأحمد بن عجيبة التطواني (ت ١٢٢٤ هـ).

فائدة (٣٧٠): قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩ هـ): «اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان، ولهم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن» فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك،

---

(١) هو القشيري الأب: العارف بالله عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك المعروف بأبي القاسم القشيري الشافعي، ونسبة القشيري ترجع في أرجح الأقوال إلى قبيلة يمنية تنتهي إلى (قشير بن كعب)، له «الرسالة القشيرية» والتي ترجمت إلى مختلف اللغات العالمية، توفي في نيسابور سنة (٤٦٥ هـ) من مؤلفاته «لطائف الإشارات» وهو تفسير إشاري للقرآن الكريم، مطبوع، و«التفسير الكبير» أو «التيسير في علم التفسير» وهو أول ما كتبه القشيري في التفسير، ما زال مخطوطاً. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٧/١٨، وطبقات الشافعية الكبرى ١٥٣/٥، وطبقات المفسرين للسيوطي ٦٥/١.

بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم».

فائدة (٣٧١): قال السيوطي<sup>(١)</sup> في بيان معنى ظهر الآية وبطنها وحد الحرف ومطلع الحد<sup>(٢)</sup>: «فإن قلت فقد قال الفريابي حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع»، قلت أما الظهر والبطن ففي معناه أو وجه، أحدها: أنك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها. الثاني: أنه ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها كما قال ابن مسعود. الثالث: أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها. الرابع: قال أبو عبيدة وهو أشبهها بالصواب: «إن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين وحديث حدث به عن قوم وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم فيحل بهم مثل ما حل بهم». وحكى ابن النقيب قولاً خامساً: «أن ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق».

---

(١) الإتيان ٤/ ١٩٥.

(٢) إشارة إلى حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، لكل آية منه ظهر وبطن، ولكل حد ومطلع» أخرجه البغوي في شرح السنة ١/ ٢٥٠، وابن جرير في التفسير ١/ ٧٢، وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٤٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٢: رجاله ثقات.

ومعنى قوله: «ولكل حرف حد» أي منتهى فيما أراد الله من معناه وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب.

ومعنى قوله: «ولكل حد مطلع» لكل غاية من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به وقيل كل ما يستحق من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة وقال بعضهم الظاهر التلاوة والباطن الفهم.

والحد: أحكام الحلال والحرام والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد. قلت: يؤيد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطن، لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظاهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء».

فائدة (٣٧٢): قال الإمام الغزالي في معرض ذكره لموانع فهم وتدبر كتاب الله تعالى: «وحجب الفهم أربعة أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرف فهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه. فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس .

ثانيها: أن يكون مقلداً للمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا

شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه وهو كالحبث على المرآة فيمنع جليلة الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون .  
رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٧٣): استدراج القارئ إلى التدبر والاهتداء بهدي القرآن عن طريق هذا الترغيب المشوق وبوساطة هذا الأسلوب الحكيم فإن من يقرأ القرآن في يومه وهو غافل عن معانيه يقرؤه في غده وهو ذاكر لها ومن قرأه في غده وهو ذاكر لها أو شك أن يعمل بعد غد بهديها وهكذا ينتقل القارئ من درجة إلى درجة أرقى منها حتى يصل إلى الغاية بعد تلك البداية كل من سار على الدرب وصل ويرحم الله ابن عطاء الله السكندري إذ يقول في حكمه: «لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز».

(١) من إحياء علوم الدين ببعض اختصار ٣/ ١٢٥ - ١٢٧.

## الإسرائيليات (الدخيل في التفسير):

فائدة (٣٧٤): الإسرائيليات هو اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام أو تظاهرهم بالدخول فيه.

وهي نسبة إلى «إسرائيل» وهي في العبرية: عبد الله، أو صفوة الله، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ..﴾ الآية [آل عمران: ٩٣]، وأما بنو إسرائيل في الاصطلاح: فهم الأسياب الاثنا عشر أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام ومن جاء من نسلهم.

وكل ما كان عن بني إسرائيل - سواء من كتبهم أو علمائهم، داخل في مسمى الإسرائيليات: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»<sup>(١)</sup>.

والإسرائيليات بمفهومه الشامل هو الدخيل على التفسير فيشمل بذلك ما فيه مبالغة ودس وكذب وتحريف ولو كان مروياً عن غير اليهود.

فائدة (٣٧٥): قد يُراد بالإسرائيليات أعم مما يُذكر عن اليهود، كأخبار النصارى، أو ما يورد عمّن يطعنون في الإسلام، أو ما يكون من قبيل الموضوعات

---

(١) في البخاري مع الفتح ٦ / ٤٩٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل برقم (٣٤٦١)، ومسلم (٧٦٢٠)، والترمذي كتاب العلم (٢٦٦٩)، ومسند أحمد ٢ / ١٥٩، و ٣ / ١٢، والنسائي في السنن الكبرى ٣ / ٤٣١ (٥٨٤٨) وهو مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري.

في التفسير، كقصة زينب بنت جحش رضي الله عنها عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ .. ﴾ الآية [الأحزاب ٣٧]، أو قصة الغرانيق، وغيرها.

ولما كان الأصل في ذلك اليهود - بني إسرائيل - وأكثره عنهم، ولهم يدٌ فيما عدا ذلك عُمَمَ مصطلح «الإسرائيليات» على: كلِّ دخيلٍ في التفسير.

فائدة (٣٧٦): اتفق العلماء على أن ما جاءنا عن بني إسرائيل على ثلاثة أقسام:

١- ما علم صحته بنقله عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً، أو كان له شاهد صحيح من الشرع يؤيده، فهذا القسم صحيح مقبول.

٢- ما علم كذبه لكونه يناقض ما عرف من شريعة محمد ﷺ، أو لا يتفق مع العقل الصحيح، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

٣- ما هو مسكوت عنه، وليس من النوع الأول ولا الثاني، وهذا القسم يتوقف عنه المسلم فلا يصدقه ولا يكذبه، ويجوز حكايته؛ لقوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الآية»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٣٧٧): لا بد من التفريق بين الإسرائيليات التي مصدرها أخبار بني إسرائيل، وبين ما سُمِّيَ بذلك مما ليس عنهم في الحكم على الخبر؛ فالدخيل في

(١) البخاري مع الفتح ٨ / ١٧٠، كتاب تفسير القرآن ح (٤٤٨٥، ٦٨١٤، ٦٩٨٧)، والنسائي في السنن الكبرى ٦ / ٤٢٦ ح (١١٣٨٧)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ١٦٣.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ١٧٩.

التفسير مما ليس عن بني إسرائيل مردود في الجملة - كقصة الغرائق مثلاً -، وأما ما ورد عن بني إسرائيل فيدخل في النصوص الشرعية الواردة كـ «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وغيره<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٧٨): تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع الإسرائيليات في حدود الإذن الشرعي، وفي إطار الاستشهاد لا الاعتقاد، وهم عند نقلهم لها في الغالب يسألون ويتحرون عمّا في التوراة يقيناً، لا مجرد ما يتناقله أهل الكتاب، فعند سؤالهم لكعب الأحماس مثلاً تجدهم يقولون: هل تجد في التوراة؟، أو يقول: قرأت في التوراة... ثم قد يكون الجواب محل نقاش أيضاً. وهذا نوع عالٍ من التوثق في نقل الإسرائيليات، يفيدهم عند وضعها في موضعها من التفسير.

أما التابعون فقد توسعوا في تتبع مرويات أهل الكتاب، وخاصة مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)<sup>(٢)</sup>.

(١) ولا تدل تلك النصوص على أن النبي ﷺ قد حث على الأخذ عن بني إسرائيل وإنما معناه كما جاء في تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي ص ٧٢: «أن الحديث عن بني إسرائيل إذا حدثت به فأدبته على ما سمعته حقا كان أو غير حق، لم يكن عليك حرج، والحديث عن رسول الله ﷺ لا ينبغي أن يحدث به إلا عن ثقة» ويفهم من كلام السيوطي أن التحديث عن بني إسرائيل لا قيمة له ولا حرج على من صدق أو كذب فيه.

(٢) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، الخراساني، أبو الحسن البلخي، كبير المفسرين. اتهمه المحدثون بالكذب، والقول بالتشبيه، وهو مع هذا عالم واسع المعرفة في التفسير. قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٤٩: «وروي عن الشافعي: أن وجوه الناس عيال على مقاتل في التفسير» وقال القاسم بن أحمد الصفار: قلت لإبراهيم الحربي ما بال الناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسداً منهم له. وفي ميزان الاعتدال للذهبي ٤ / ١٧٣ =

وفي عصر تابعي التابعين استمر الشغف بالإسرائيليات والعجب بها،  
فملئت التفاسير بها.

هذا والمفسرون متفاوتون بين مقل ومكثر في إيراد الإسرائيليات، وكلما ابتعد  
المفسر عن الإسرائيليات كان ذلك أوثق بتفسيره وبيانه.

وكثير ممن نصوا في تفاسيرهم على تجنب الإسرائيليات وعدم روايتها؛ أوردوا  
في أثناء تفاسيرهم عدداً منها فمستقل ومستكثر.

فائدة (٣٧٩): يعد الإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) من أشد  
الناس في الرد على الإسرائيليات، هو نادراً ما كان يوردها في تفسيره إلا في  
مجال النقد. فقد كان يرى أن رواية الإسرائيليات سبب للاضطراب في التفسير  
والتناقض بين المفسرين، حيث تجد كل مفسر يقول بقولٍ مختلف. إذ إن المنقول  
عنهم متناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب، ومقصود بعض من أورد  
هذه المتناقضات هو التشكيك على المسلمين والتلاعب بهم. كما أن تفصيل تلك  
القصص ومعرفة فصولها من التكلف والفضول، ولهذا نهى الله عن سؤالنا أهل  
الكتاب عن تلك التفاصيل ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].  
وكذلك يرى أن ما نُقِلَ في التفسير من قصص السابقين الغريبة إنما هو مأخوذ

---

= «قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة» وقال في سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٠١:  
«أجمعوا على تركه».

وتجريح المحدثين لمقاتل من جهة الرواية لم يمنعهم ذلك من اعتباره أحد أئمة التفسير إذ  
إن أقواله في التفسير تدرج ضمن التفسير بالرأي والدراية فتكون أقواله عندهم خاضعة  
للدروس قابلة للقبول والرد شأنه في ذلك شأن غيره من المفسرين.

عن بني إسرائيل وليس منقولاً عن النبي ﷺ ولا هي من كلام الصحابة. وهو يرى عدم الترخص برواية الإسرائيليات في التفسير. حيث يقول: «فإن ترخص مُتَرَخِّص بالرواية عنهم لمثل ما روي «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فليس ذلك فيما يتعلق في تفسير كتاب الله سبحانه بلا شك، بل فيما ذكّر عنهم من القصص الواقعة لهم»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٨٠): أقسام الإسرائيليات: أخبار بني إسرائيل وأقوابيلهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة. وهذا القسم صحيح ويجوز ذكره وروايته والاستشهاد به مثل: ما ذكره في صاحب موسى عليه السلام وأنه الخضر ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ وبرسالته. وفي هذا القسم قوله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

القسم الثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مثل ما ذكره في قصص الأنبياء وأخبار تطعن في عصمتهم كقصة يوسف وداود وسليمان ومثل ما ذكروا في توراتهم من أن الذبيح إسحاق لا إسماعيل. وهذا ما لا تجوز روايته وذكره إلا مقترناً ببيان كذبه وتحريفه ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ٥/ ٣٥٥.

(٢) تقدم تحريجه.

ولعل هذا هو المراد من قول ابن عباس رضي الله عنهما: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرؤونه محضاً لم يُشَبَّ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩] أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قطُّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم<sup>(١)</sup>».

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا ولا من ذاك فلا تؤمن به ولا تكذبه ويجوز حكايته ولعل هذا القسم هو المقصود بما رواه أبو هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرية ويفسر بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»<sup>(٢)</sup>. فالأولى عدم ذكره. وقد شدد الفاروق عمر بن الخطاب على من كان يكتب شيئاً عن اليهود وكان يضر بهم.

فائدة (٣٨١): لا يوجد تفسير واحد يتضمن شرحاً بالإسرائيليات للأحكام الشرعية التي يبنى عليها الدين، في حين نجد أن جل ما تم تفسيره بناء على الإسرائيليات إنما يتعلق بالأخبار الموقوفة على أهل الكتاب. يقول ابن خلدون:

(١) أخرجه البخاري ح (٢٤٨٨، ٦٩٦٩)، وعبد الرزاق في المصنف ١١ / ١١٠ ح (٢٠٠٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨ / ٢٤٩ وفي شعب الإيمان ٤ / ٣٠٨ ح (٥٢٠٤) والحاكم في المستدرک (٢ / ٢٦٢ - ٢٦٣) وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. رغم أن الحديث رواه البخاري.  
(٢) تقدم تخريجه.

«...فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يختاطون لها، مثل أخبار بدء الخليفة وما يرجع إلى الحدشان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأخبار<sup>(١)</sup> وهب بن منبه<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن سلام<sup>(٣)</sup> وأمثالهم. فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال

(١) وهو كعب بن ماتع بن عمرو بن قيس من آل ذي رعين، وقيل ذي الكلاع الحميري اليمني، وقيل غير ذلك في اسم جده ونسبه يكنى أبا إسحاق، عاش في حياة النبي ﷺ وكان يهوديا عالما بكتبهم حتى كان يقال له كعب الخبر أو كعب الأخبار، وكان إسلامه في عهد عمر، وقيل في خلافة أبي بكر، وهو بذلك يعد من التابعين، وقيل إنه أسلم في عهد النبي ﷺ وتأخرت هجرته، سكن المدينة وغزا الروم في خلافة عمر، ثم تحول في خلافة عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص في خلافة عثمان ٣٢ هـ، قال ابن سعد ذكره لأبي الدرداء فقال: إن عند ابن الحميرية لعلماء كثيرا. قال عبد الله بن الزبير: ما أصبت في سلطاني شيئا إلا قد أخبرني به كعب قبل أن يقع.

(٢) وهب بن منبه بن كامل بن سبيح أبو عبد الله الصنعاني الذماري، الإمام الحافظ العابد، قاضي صنعاء، كان مولده في زمن عثمان بن عفان سنة ٣٤ هـ، عده أصحاب السير من الطبقة الثالثة من التابعين، وثقه ابن حجر، وقال عنه الذهبي صدوق، وله أخبار كثيرة وقصص تتعلّق بأخبار الأولين ومبدأ العالم وقصص الأنبياء، وكان يقول: قرأت من كتب الله اثنتين وسبعين كتاباً. توفي سنة ١١٠ هـ.

(٣) قال السهيلي: «وسلام اسم رجل لا يوجد بالتخفيف إلا عبد الله بن سلام وأما اسم غيره من المسلمين فلا يوجد إلا بالثقل». انظر المصباح المنير مادة (سلم).

وعبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري (أبو يوسف) من ذرية يوسف بن يعقوب عليهما السلام، هو إمام خبر من أخبار اليهود، أسلم عند قدوم الرسول ﷺ =

هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٨٢): مناهج المفسرين في التعامل مع الإسرائيليات: وقد اختلف منهج المفسرين في تلقي هذه الإسرائيليات. فابن جرير الطبري قد ذكر الكثير منها دون أن يتعقبها بما ينبغي، وفعل كذلك عدد من المفسرين كابن أبي حاتم ممن لم يكن لهم همُّ إلا الجمع فحسب دون التنقيح. أما المحققون فأكثرهم انتقدوا الإسرائيليات، لكنهم لم يقدرُوا على التخلص من كلها، خاصة الذي اختلط بكلام الصحابة والتابعين، وصعب تمييزه. ومن هؤلاء المفسرين ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) قال ابن كثير: «ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب وبهتان، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل. وما أقل الصدق فيه، ثم ما أقل فائدة كثير منه، لو كان صحيحاً. قال ابن جرير: حدثنا ابن بشار أبو عاصم أخبرنا سفيان عن سليمان بن عامر عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا، إما أن تُكذّبوا بحق، أو تُصدّقوا بباطل. فإنه ليس أحدٌ من أهل الكتاب، إلا وفي قلبه تاليةٌ تدعوه إلى دينه كتالية المال».

= إلى المدينة، وكان اسمه الحُصَيْن، فغيّره النبي ﷺ وسماه عبد الله، يعد من فقهاء الصحابة وعلمائها بالكتب السابقة، وفيه نزلت الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]، والآية ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] وقد شهد له النبي ﷺ بالجنة، أقام بالمدينة إلى أن توفي سنة (٤٣ هـ). انظر أسد الغابة ٣ / ٢٦٤ - ٢٦٥، والإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١، والوفاء بالوفيات للصفدي ١٧ / ١٩٨. (١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٥٥٤.

فائدة (٣٨٣): ومن أمثلة الإسرائيليات في التفسير ما نُسب إلى آدم - عليه السلام - من قول الشعر في ما رواه ابن جرير في تفسيره وما ذكره السيوطي في الدر: ما ذكر من أن آدم قال شعرا لما قتل ابنه أخاه فبكاه وقال:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

«وقد طعن الإمام الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال في نسبة هذه الأشعار إلى نبي الله آدم، وما الشعر الذي ذكره إلا منحول مختلق فالأنبياء لا يقولون الشعر». وقال الزمخشري: «روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا ملحون منحول وإن الأنبياء معصومون من الشعر وقد قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ<sup>٤</sup> إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ<sup>٥</sup>﴾ [يس: ٦٩] فالأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ومتساوون»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٣٨٤): ومن أمثلة الإسرائيليات في التفسير ما جاء في قصة هاروت وماروت، فقد نص الشهاب العراقي على أن: «من اعتقد في هاروت وماروت أنها ملكان يعذبان على خطيئتهما، فهو كافر بالله العظيم».

والتفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ<sup>٦</sup> فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ<sup>٧</sup> وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ<sup>٨</sup> بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ<sup>٩</sup> وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ<sup>١٠</sup> وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ

(١) انظر كتاب الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، للشيخ محمد أبي شهبه (ص ١٨٣).

مَنْ خَلَقَ ﴿ [البقرة: ١٠٢] أن الشياطين في ذلك الزمن السحيق كانوا يسترقون السمع من السماء ثم يضمنون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى كهنة اليهود، وقد دونها هؤلاء في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام، حتى قالوا هذا علم سليمان، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم، وبه يسخر الإنس والجن والريح، وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ثم عطف عليه ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أي علم السحر الذي نزلنا ليعلماه الناس حتى يجذروا منه، فالسبب في نزول الملكين هو تعليم الناس أبواباً من السحر، حتى يعلم الناس الفرق بين السحر والنبوة، وأن سليمان لم يكن ساحراً وإنما كان نبياً مرسلًا، وقد احتاط الملكان غاية الاحتياط فما كانا يعلمان أحداً شيئاً من السحر حتى يجذراه ويقولوا له: إنما نحن فتنة أي بلاء واختبار، فلا تكفر بتعلمه والعمل به ولكن الناس ما كانوا يأخذون بالنصيحة بل كانوا يفرقون بين المرء وزوجه وذلك بإذن الله ومشئته، وقد دلت الآية على أن تعلم السحر لتحذير الناس من الوقوع فيه والعمل به مباح ولا إثم فيه وإنما الحرام في تعلمه وتعليمه للعمل به فهو مثل ما قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه      ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

\*\*\*

الفصل السابع  
فوائد متعلقة بمباحث عامة  
من علوم القرآن الكريم



## الفصل السابع

### فوائد متعلقة بمباحث عامة من علوم القرآن الكريم

#### مبهمات القرآن الكريم:

فائدة (٣٨٥): المبهم: اسم مفعول مشتق من الإبهام وهو الخفاء، والبهم: جمع بَهْمَة - بالضم - وهي مُشكلات الأمور. وكلام مُبْهَم: لا يَعْرِف له وَجَه يُؤْتَى منه، مأخوذ من قولهم حائط مُبْهَم إذا لم يكن فيه باب. قال ابن السكيت: أَبْهَمَ عَلِيٌّ الأَمْرَ إِذَا لَمْ يُجْعَلْ لَهُ وَجْهًا أَعْرَفَهُ. وَلَيْلٌ بَيْهَمٌ: لا ضَوْءَ فِيهِ إِلَى الصَّبَاحِ.

«وكلام مبهم أي: لا يُعْرِف له وَجَه يُؤْتَى منه، مأخوذ من حائط مُبْهَم إذا لم يكن فيه باب»، وسميت الأمور مبهمة؛ لأنها أبهمت عن البيان فلم يُجْعَل عليها دليل<sup>(١)</sup>.

تعريف مبهمات القرآن اصطلاحاً: هي ما أبهم من أسماء الأشخاص والأماكن والآماد والأعداد الواردة في كتاب الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٣٨٦): علم مبهمات القرآن يعتمد على الروايات المنقولة المأثورة عن رسول الله ﷺ وعلى الآثار المنسوبة إلى الصحابة والتابعين. قال السيوطي<sup>(٣)</sup>: «علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه».

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٢ / ٥٧، ومختار الصحاح للرازي ص ٢٧، والتوقيف على مهيات التعاريف للمناوي ص ٢٤.

(٢) انظر أقوال العلماء في تعريف المبهم من كتاب التعريف والإعلام للسهيلي ص ٥٠، وغرر البيان لمبهمات القرآن لابن جماعة ص ٣٨، والإتقان للسيوطي ٤ / ٧٩.

(٣) الإتقان ٤ / ٨١، ومفحات الأقران ص ١٩.

فائدة (٣٨٧): وتعد معرفة المبهات في القرآن إحدى الآليات الهامة التي يعتمد عليها المفسر عند تفسيره للقرآن الكريم، وكلام ابن جرير الطبري في التهوين بعلم المبهات حين قال: «علم إذا علم لم ينفع العالم به، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به»<sup>(١)</sup>، فإنه يصح في نوع من المبهات لا فائدة في معرفته ولا كبير أثر في تحصيله، كمعرفة لون واسم كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به القليل من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها...، لكن هناك نوع من المبهات معرفتها تعين المفسر وقد تكون من وسائل الترجيح بين أقوال المفسرين وقد تكون من التدبر الذي أمر به، وهي تبين فضائل ومناقب المهتمين أو مثالبهم.

فائدة (٣٨٨): كان أكثر الصحابة اهتماماً بغريب القرآن ابن عباس رضي الله عنهما حيث كان يعد مرجعاً في معرفة مبهم القرآن في عصره، ويدل على اهتمامه ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما<sup>(٢)</sup>: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ فما أستطيع أسأله هبته له. فلما سأله أخبره عمر بأنهما حفصة وعائشة». وروى عكرمة عن ابن عباس - أنه قال: «طلبت اسم الرجل الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة حتى وجدته»<sup>(٣)</sup>.

(١) جامع البيان لابن جرير ١ / ٢٣٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤ / ١٨٦ في كتاب التفسير، باب تبتغي مرضاة أزواجك، ح (٤٦٢٩)، ومسلم ٢ / ١٠٨ كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، ح (١٤٧٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١ / ٢٧٢ ح (١١٧٠٩). قال السهيلي: «فهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم ونفاسته عندهم». التعريف والإعلام ص ٥١.

فائدة (٣٨٩): وقع الإبهام في القرآن لعدة أسباب<sup>(١)</sup>:

١- الاستغناء ببيانه، وذلك لورود بيانه في موضع آخر، كقوله تعالى:

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: ٧] حيث ورد بيان الصراط في موضع آخر في القرآن في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩].

٢- الاشتهار، أي اشتهار المبهم كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ولم يذكر اسمها لأنه لا يوجد غيرها (حواء).

٣- الستر على المبهم، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وهو الأخنس بن شريق<sup>(٢)</sup>، حيث إنه أسلم وحسن إسلامه.

٤- عدم وجود فائدة كبيرة في تعيينه، كقوله تعالى: ﴿ فَكُلْنَا مِنْ ثَمَرِهِمْ بِعَظْمٍ ﴾

[البقرة: ٧٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

٥- التنبيه على العموم، وأنه المقصود وليس الخاص، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن

يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾، قيل: إنها نزلت في ضمرة بن العيص، كان من

---

(١) يعدّ الزركشي أول من بحث في أسباب ورود الإبهام في القرآن في كتابه البرهان، فذكر لذلك سبعة أسباب، مع التمثيل لكل سبب منها، وتبعه في ذلك السيوطي. انظر تلك الأسباب من البرهان للزركشي ١ / ١٥٦، والإتقان للسيوطي ٤ / ٧٩، ومفحات الأقران ص ٢٠-٢١.

(٢) وكان قد أظهر الإسلام عند النبي ﷺ وهرب، ومّرّ بزرع لقوم من المسلمين ويحُمّر، فأحرق الزرع، وعقر الحُمّر، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. جامع البيان للطبري ٢ / ٣١٦.

المستضعفين بمكة، وكان شيخاً كبيراً، فلما نزلت آية الهجرة خرج من مكة فمات بالتنعيم<sup>(١)</sup>، فإبهام الاسم في هذا الموضع لإفادة عموم الأجر لكل من نوى الهجرة فمات دون أن يبلغ ما هاجر إليه.

٦- التعظيم وشرف المكانة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله أيضاً: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]، والمعني هنا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٧- التحقير، وذلك بالوصف الناقص، نحو قوله تعالى: ﴿إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] والمقصود هو أبو جهل، ومنهم من قال إنه العاص بن وائل السهمي.

فائدة (٣٩٠): الإبهام في القرآن الكريم على نوعين:

أ- ما يسهل الوقوف على بيانه: وذلك لارتباطه بحادث معروف، فإذا نزل الوحي بالخبر أو الحكم دون التصريح به عرف النبي ﷺ ومن حضر من الصحابة فيمن نزل، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨]، فقد عرفوا أَنَّ المقصود بهذه الآية هم: هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٦]، فقد عرفوا أَنَّ المقصود بهذه الآية هو الحارث بن سويد وذلك لاشتهار قصته بينهم، وغيرها من الآيات.

(١) جامع البيان للطبري ٥ / ٢٣٨.

ب- ما يصعب بيانه وهو على نوعين:

١- ما استأثر الحق سبحانه وتعالى بعلمه وهو من علم الغيب اختص به ولا يطلع أحدٌ عليه، منه قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠] فقوله تعالى (وَأَخِرِينَ) هم الذين اختصهم الله بعلمه ولم يعلمه غيره.

٢- ما لم يشع خبره وذلك لسبق تاريخه أو انطماس حقيقته فلا يعرف إلا بتوقيف من النبي ﷺ أو عالم أسلم من أهل الكتاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠]، فقيل إن الغلام اسمه جيسور، ومن ذلك ما جاء في حديث قصة أصحاب الأخدود عن الملك والراهب والغلام، فقد قالوا إن الملك اسمه يوسف ذو نواس، والغلام عبد الله بن التامر وغير ذلك الكثير.

فائدة (٣٩١): ومن الكتب المفردة لمبهات القرآن:

١- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام: للإمام أبي قاسم السهيلي<sup>(١)</sup> (ت ٥٨١هـ).

(١) ويعزى إليه فضل السبق في الكتابة في مبهمات القرآن، ولا يُعرف قبله عالم أفرده بمصنف خاص. وقيل إن محمد بن سليمان الزهري (ت ٦١٧هـ) ألف كتاباً سماه «البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن». ذكره الزركلي في الإعلام ٥ / ٣٢٠.

٢- التكميل والإتمام لمحمد بن علي بن الخضر الغساني المعروف بابن عسكر<sup>(١)</sup>  
(ت ٦٣٦ هـ).

٣- التبيان في مبهمات القرآن لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموي  
(ت ٧٣٣ هـ). وهو أصل كتاب غرر البيان لمبهمات القرآن لابن جماعة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

٤- صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل<sup>(٣)</sup>، لأبي  
عبد الله محمد بن علي المغربي البلنسي (ت ٧٨٢ هـ).

٥- مفحات الأقران في مبهمات القرآن، لجلال الدين السيوطي.

٦- تلخيص التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام،  
تأليف الشيخ: محمد بن عمر بحرق الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ) اختصر فيه  
كتاب السهيلي.

كما أن الكتب التي ألفت في بيان أسباب النزول تعد من مظان معرفة  
المبهمات ومنها كتاب «أسباب النزول» للواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، وكتاب «لباب  
النقول» للسيوطي.

## أمثال القرآن الكريم:

فائدة (٣٩٢): تعريف المثل لغةً: المثل وهو بالتحريك مأخوذ من المثول وهو  
الانتصاب، ومنه الحديث «من أحبّ أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من

---

(١) وهذا الكتاب تذييل على كتاب السهيلي، واستدراك لما فاته من مبهمات.

(٢) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ١/٣٤١.

(٣) وقد جمع في كتابه بين كتابي السهيلي وابن عسكر، كما ينقل من مبهمات ابن جماعة وتفسير  
الزمخشري، وابن عطية، رامزاً لكل من ينقل عنه برموز اصطلاحية. والكتاب مطبوع.

النار»<sup>(١)</sup> ثم أطلق على الكلام البليغ الشائع الحسن المشتمل إما على تشبيه بلا تشبيه أو استعارة رائعة تمثيلية وغيرها أو حكمة أو موعظة نافعة أو كناية بديعة أو نظم من جوامع الكلم الموجز. والمثل يدل على مناظرة الشيء للشيء، فإذا قيل: هذا مثل هذا أي نظيره.

وهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره نحو: «في الصيف ضيعت اللبن»<sup>(٢)</sup>، فإن هذا القول يشبه قولك: «أهملت وقت الإمكان أمرك».

فالمثل: جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلة بذاتها، تنقل مما وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير.

واصطلاحاً: نظم من التنزيل يعرض نمطاً واضحاً معروفاً من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التاريخية عرضاً لافتاً للأنظار، ليشبهه أو يقارن به سلوك بشري، أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، بقصد التوضيح أو الإقناع أو البرهان أو التأثير، أو لمجرد الاقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه، أو بقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للأخذ بأحدهما والابتعاد عن الآخر، أو للبرهان على صحة أحدهما، وبطلان الآخر.

---

(١) قال ابن فارس: وقوله: مَثَلٌ به إذا نُكِّلَ، هو من هذا أيضاً، لأنَّ المعنى فيه إذا نُكِّلَ به: جعل ذلك مثلاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه. والمثَلات أيضاً من هذا القبيل، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثُ﴾ [الرعد: ٦] أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله، وواحدتها: مُثَلٌ. معجم مقاييس اللغة ٥/٢٩٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن الصفحة ٤٦٤.

فائدة (٣٩٣): ضرب الله سبحانه وتعالى لعباده الأمثال<sup>(١)</sup> حيث قال في كتابه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: ٢١] وضرب الرسول ﷺ لأمته المثال، وضرب الحكماء والعلماء والمؤدبون الأمثال. وفي القرآن الكريم وردت مادة ( م ث ل ) في القرآن الكريم ( ١٦٦ ) مرة على اختلاف مشتقاتها، منها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فائدة (٣٩٤): (ضرب الأمثال): وفي معنى ( الضرب ) للمثل أربعة أقوال:

١- الضرب مشتق من قولك ( ضرب الأرض ) أي سار فيها ومعنى ضرب المثل هنا أي جعله ينتشر ويذيع ويسير في البلاد.

٢- معنى ( ضرب المثل ) أي نصبه للناس بإشهاره لتستدل عليه خواطرهم كما تستدل عيونهم على الأشياء المنصوبة، واشتقاقه حينئذ من قولهم (ضربت الخباء) إذا نصبته.

٣- يفهم من ضرب المثل صنعه وإنشاؤه، فيكون مشتقاً من ضرب اللبن وضرب الخاتم.

(١) «وقد امتازت صيغة المثل القرآني بأنها لم تنقل عن حادثة معينة، أو واقعة متخيلة، أعيدت مكررة تمثيلاً، وضرب موردها تنظيراً، وإنما ابتدع المثل القرآني ابتداءً دون حذو احتذاه، وبلا مورد سبقه فهو تعبير فني جديد ابتكره القرآن حتى عاد صبغة متفردة في الأداء والتركيب والإشارة». «وعلى هذا فالمثل في القرآن الكريم ليس من قبيل المثل الاصطلاحي، بل هو نوع آخر أسماه القرآن مثلاً من قبل أن تعرف علوم الأدب المثل». الصورة الفنية في المثل القرآني للدكتور محمد حسين علي الصغير ص ٧٢.

٤- بمعنى إبقاء شيء على شيء ومنه ضرب الدراهم: أي إيقاع النموذج الذي به الصك على الدراهم لتنطبع به، فكأن المثل مطابق للحالة، أي للصفة التي جاء لإيضاحها.

فائدة (٣٩٥): موضوع المثل في القرآن هو التمثيل القياسي الذي تعرض له علماء البلاغة في علم البيان، وهو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفةٍ أو أكثر، بأداة، لغرض يقصده المتكلم، أو تمثيل حال أمر بحال أمر آخر. وهو قائم بالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز<sup>(١)</sup>، فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٣٩٦): هذا وللمثل معانٍ مختلفة استعملها القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> كما ذكرها الفقيه الدامغانى في كتابه حيث يقول للمثل أربعة معانٍ:

(١) وقد سماه القزويني - في «تلخيص المفتاح» ص ٣٢٢ - المجاز المركب وقال: «إنه اللفظ المركب المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه»، ثم مثل بما كتب يزيد بن وليد إلى مروان بن محمد حين تلكأ عن بيعته: «أما بعد، فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام.

(٢) ومن خصائص الأمثال: إنها بسيطة المعاني، جزلة الألفاظ، سهولة الأسلوب والبيان، مفهومة العبارات، عادة تحتوي على جمل قصار، يسهل حفظها للسامع وللمرة الأولى، تصاب بها الأغراض والأهداف فوراً.

(٣) وجعل لها أهدافاً سامية تسير وفق محاور:

أولاً: التذكير: حيث يقول: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

ثانياً: التعقل: حيث يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

ثالثاً: التفكر: حيث يقول: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

١- المثل: السنن، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ [البقرة: ٢١٨] يعني سنن الذين خلوا.

٢- المثل: العبرة، كقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦] يعني عبرة.

٣- المثل: الصفة، كقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩] يعني صفتهم.

٤- المثل: العذاب، كقوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، يعني: وضعنا لكم العذاب.

٥- ورأى له معنى آخر وهو الضعف، حيث يقول تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦].

فائدة (٣٩٧): الفرق بين المثل وما يقاربه من معانٍ: فالنَّدُّ، يقال فيما يشارك في الجوهر فقط. والشَّبُه، يقال فيما يشارك في الكيفية فقط. والمساوي، يقال فيما يشارك في الكمية فقط. والشكل، يقال فيما يشارك في القدر والمسافة فقط. والمثل عامٌّ في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالى نفي التشبيه من كل وجه خصَّه بالذكر فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) نرى أن القرآن ينفي المثل لله، ويقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وفي الوقت نفسه يُثبت له المثل، ويقول: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠] والجواب: أنه لا منافاة بين نفي المثل لله وإثبات المثل له؛ أمَّا الأول، فهو عبارة عن وجود فرد لواجب الوجود يشاركه في الماهية، ويخالفه في الخصوصيات، فهذا أمر محال ثبت امتناعه في محله، وأمَّا المثل فهو نُعوت محمودة يُعرف بها الله سبحانه كأسماؤه الحسنی وصفاته العليا، وعلى هذا، المثل في هذه الآية وما يشابهها بمعنى ما يوصف به الشيء ويعبَّر به عنه، من صفات وحالات وخصوصيات ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] فمعناه أنه منزّه من أن يوصف بصفات مذمومة.

فائدة (٣٩٨): قال الزمخشري: «التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له ألا ترى أن الحق لما كان واضحاً جلياً تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة، وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلاً في الوهن والضعف»<sup>(١)</sup>.

وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٥١هـ): «لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامع الأبي؛ فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في نفسه؛ ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، وفشت في كلام النبي وكلام الأنبياء والحكماء»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٣٩٩): الحكمة من ضرب الأمثلة في القرآن الكريم كما قال البيضاوي: «يضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير، فإنه أوقع في القلب، وأقمع للخصم الألد، ولأنه يريك المتخيل محققاً والمعقول محسوساً، ولأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٨٨، والإتقان للسيوطي ٤ / ٣٩.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤ / ٣٩.

(٣) تفسير البيضاوي ١ / ١٨٦.

قال أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ): «إن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع سورة الجامح الأبيّ، كيف لا، وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازها لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداء للمنكر في صورة المعروف، وإظهار للوحشي في هيئة المؤلف»<sup>(١)</sup>.

وقد اتفق أصحاب الذوق السليم على أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، سواء كان المعنى مدحا أو ذما، حجاجا أو افتخارا، اعتزازا أو وعظا، كسأه أمهة ورفع من شأنه، فتتحرك النفس إليه ويهفو القلب له، وهكذا الحكم إذا استقرأت فنون القول وشعوبه<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٤٠٠): أخرج البيهقي<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال».

وورد عن بعض السلف الصالح أنه قال: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾، قال قتادة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦] أي يعلمون أنه كلام الرحمن وأنه من عند الله. وقال أبو العالية: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ

(١) انظر تفسير «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» ١ / ٦١.

(٢) انظر أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) في شعب الإيمان ٢ / ٤٢٧، ح (٢٢٩٣).

أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿ يعني هذا المثل، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ  
 مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ [البقرة: ٢٦] كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْنَابَ الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ  
 بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ  
 إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

وقد عدّه الإمام الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال:  
 «ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، الميئة لاجتناب معصيته،  
 وترك الغفلة عن الحفظ، والازدياد من نوافل الفضل»<sup>(١)</sup>.

قال أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ): «من أعظم علم القرآن علم أمثاله،  
 والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال، وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل  
 كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٤٠١): مسألة ضرب الأمثال ببعض ألفاظ القرآن الكريم: فقد  
 يستخدمها بعض الناس كأمثلة في كلامه، فتجده مثلاً إذا انتهت مسألة قال:  
 ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف: ٤١]، وإذا وجد إنساناً كثير  
 الجدل قال: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤] وإذا وجد  
 إنساناً مستعجلاً قال: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وهكذا...

فالتمثيل بإيراد آيات من القرآن على أمور محسوسة مشاهدة أو وقائع من بعض  
 الأفراد، موطن خلاف بين الفقهاء: منهم من منع ذلك، لأن القرآن قد نزل للتعبد  
 به والعمل بما فيه، وليس هذا الاستعمال من أغراض إنزال القرآن، والقول الآخر

(١) البرهان للزركشي ١/٤٣٦.

(٢) الإتقان للسيوطي ٤/٣٨.

بجواز مثل ذلك وعدم المنع منه، وهذا القول أصح لما ورد في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ دخل على علي وفاطمة فقال: ألا تصليان من الليل. فقال علي رضي الله عنه: إن الله قد قبض أنفسنا وأرواحنا، فخرج النبي ﷺ يضرب فخذة ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].»

فائدة (٤٠٢): ذكر الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن<sup>(١)</sup>: «يكره ضربُ الأمثال بالقرآن، نصّ عليه من أصحابنا العماد النيهي صاحب البغوي، كما وجدته في «رحلة ابن الصلاح» بخطه. وفي كتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد عن النخعي قال: «كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا». قال أبو عبيد: «وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهيم بحاجته، فيأتيه من غير طلب فيقول كالمزح ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٠] فهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب الزهري: «لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول ﷺ»، قال أبو عبيد: يقول: لا تجعل لهما نظيرا من القول ولا الفعل».

فائدة (٤٠٣): الأمثال القرآنية: تنقسم من حيث الظاهر والباطن إلى قسمين<sup>(٢)</sup>:

١- مثل ظاهر مصرح به: كقوله تعالى في تمثيل الحكمة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

(١) ٤٨٣/١.

(٢) وانظر في ذلك البرهان للزركشي ٤٨٦/١، والإتقان للسيوطي ٣٩/٤.

٢- مثل كامن لا ذكر للمثل فيه: فهي الآداب البارعة، والحكم الباهرة، فمن ذلك قوله تعالى في الصدق: ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ [مريم: ٥٤] وفي العلم والاسترشاد ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وفي الاتحاد والوئام بعد الخصام ﴿ وَلَا تَنْزِعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَرْحَمُوا اللَّهَ وَتَذَكَّرُوا فِي الصَّحَاحِ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وفي العفو ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥] و﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ [المائدة: ٩٥]، وفي الوفاء ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]، وفي الاقتصاد ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف: ٣١]، وفي الأمر بالمعروف ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وفي بر الوالدين والقريب ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وفي الشكر ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]، وفي التحدث بالنعمة ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الفجر: ١١]، وفي الموت ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وفي نعمة الله وفضله ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [النحل: ١٨]، وفي الحق والباطل ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ﴾ [يونس: ٣٥]، وفي الشورى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فائدة (٤٠٤): قال الزركشي في البرهان<sup>(١)</sup>: «لا يجوز تعدي أمثلة القرآن، ولذلك أنكر على الحريري قوله: «فأدخلني بيتاً أخرج من التابوت وأوهى من بيت العنكبوت»، وأي معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه حيث قال: ﴿وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ فأدخل (إن) وبنى أفعال التفضيل،

(١) البرهان ١/ ٤٨٤.

وبناه من الوهن، وأضافه إلى الجمع، وعرفّ الجمع باللام، وأتى في خبر (إنّ) باللام. لكن استشكل هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] وقد ضرب النبي ﷺ بما دون البعوضة فقال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة...». قلت<sup>(١)</sup>: «قد قال قوم في الآية إن معنى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الحِصَّة، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: فما دونها، فزال الإشكال».

فائدة (٤٠٥): أهم من ألف في أمثال القرآن:

- ١- «أمثال القرآن» للجنيد بن محمد القواريري (ت ٢٩٨هـ).
- ٢- الأمثال من الكتاب والسنة تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ).
- ٣- «أمثال القرآن» لإبراهيم بن محمد بن عرفة بن مغيرة المعروف بنفطويه (ت ٣٢٣هـ).
- ٤- «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» لحمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٥١هـ).
- ٥- «أمثال القرآن» لأبي علي محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي (ت ٣٨١هـ).
- ٦- «أمثال القرآن» للشيخ أبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلمى النيسابوري (ت ٤١٢هـ).

(١) أي السيوطي في الإئتنان ١/٣١٧-٣١٨.

٧- أمثال القرآن لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالماوردي الفقيه الشافعي (ت ٤٥٠ هـ).

٧- درر الأمثال لابن أبي الأصبع العدواني (ت ٦٥٤ هـ).

٨- أمثال القرآن لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥٤ هـ).

### القسم في القرآن الكريم:

فائدة (٤٠٦): القَسَم - بفتح القاف والسين - وجمعه أقسام، مثل: سبب وأسباب، هو الحلف واليمين<sup>(١)</sup>. «والقسم: العطاء والرأي.. وأن يقع في قلبك الشيء فتظنه، ثم يقوى ذلك الظن فيصير حقيقة»<sup>(٢)</sup>.

فالقسم ضرب من البيان ألفه العرب، ليوثقوا به أنباءهم، وتبين أنه كثيرا ما يجيء للاستشهاد والاستدلال على صدق المقال، فهو إذن نوع من الدليل الواقعي المحسوس، الذي يستميل المشاعر والوجدان، ويثير الانتباه والتفكير. وقد بلغ من شأن القسم عندهم، أنهم كانوا يجترزون كل الاحتراز من الأيمان الكاذبة، ويعتقدون أنها شؤم على صاحبها، تخرب الديار، وتدعها بلاقع، لما فيها من الغدر والخيانة، ومن أجل هذا كانت اليمين عندهم قاطعة في إثبات الحقوق.

فائدة (٤٠٧): قال ابن يعيش<sup>(٣)</sup>: «الغرض من القسم: توكيد ما يقسم عليه من نفي وإثبات».

(١) انظر مادة (قسم) في لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي.

(٢) القاموس المحيط ٤ / ١٦٤.

(٣) شرح المفصل ٩ / ٩٠.

و «القصْد بالقسم تحقِيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا مثل: ﴿وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ لَكٰذِبُوْنَ﴾ [المنافقون: ١] قَسَمًا، وإن كان فيه إخبار بشهادة، لأنه لما جاء توكيداً للخبر سَمِيَ قَسَمًا»<sup>(١)</sup>.

«ولذلك نقل عن بعض الأعراب، أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣] صرخ وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى أجهأ إلى اليمين»<sup>(٢)</sup>.

فائدة (٤٠٨): أنواع القسم:

- القسم التقديسي: وهو إقسام الإنسان بمعبوده، بأن يقسم بالله أو بصفة من صفاته، فيقول أحدهم: أقسم بالله، أو بعزته، أو بجلاله لأفعلن كذا، وهو أقوى أنواع القسم تأكيداً للمقسم عليه، وهو القسم الشرعي، الذي يأثم الإنسان على نقضه بعد تأكيده ويكون له أثره في باب الدعاوى والتقاضى.

- القسم التشريفي: يحس الإنسان في نفسه عزة ورفعة، فيحمله هذا إذا أراد تأكيد كلام أن يقول: ورأسي، أو وحياتي، أو لعمري، لأفعلن كذا، وقد يريد إعزاز المخاطب وإكرامه فيقول: ورأسك، أو لعمرك، فكل هذه الأقسام تفيد التأكيد، ومع أنها تشعر بتعظيم المقسم به، إلا أنها لا تصل إلى حد التقديس.

- القسم الاستدلالي: وإلى هذا أشار الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ \* فَالْحَمِيْلَتِ وَقَرًّا \* فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا \* فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا \* إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ \* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَفِيْعٌ﴾ [الذاريات: ١-٦] إلى أن الأيمان الواقعة في القرآن،

(١) البرهان للزركشي ٤٠/٣، والإتقان للسيوطي ٤٦/٤.

(٢) الإتقان ٤٦/٤.

وإن وردت في صورة القسم، فالمقصود بها الاستدلال بالمقسم به على المقسم عليه، وهو هنا صدق الوعد، والبعث، والجزاء، كأنه قيل: من قدر على هذه الأمور العجيبة المقسم بها، يقدر على إعادة من أنشأه أولا.

فائدة (٤٠٩): القسم بمعنى الحلف يؤتى به لأجل تحقيق الخبر (المقسم عليه) وتوطيده لمن كان شاكا ومترددا في الحكم، أو لمن كان منكراله حتى يحصل له العلم فيدعن به ويؤمن. هذا هو المراد غالبا بالمقسم، وقد يراد به بيان ما للمقسم به من أهمية وعظمة أو ما به من أسرار الخلق، كما يظهر ذلك جليا بمراجعة ما أقسم به تعالى.

فائدة (٤١٠): «قال أبو القاسم القشيري: القسم بالشيء لا يخرج عن وجهين: إما لفضيلة، أو لمنفعة. فالفضيلة كقوله: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ \* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين: ٢-٣]، والمنفعة نحو: ﴿ وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١]»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤١١): فيما أقسم به الله تعالى:

١- القسم بذاته المقدسة وذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [مريم: ٦٨]، ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧]، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْعَلَنَّهِنَّ أجمعين ﴾ [الحجر: ٩٢]، ﴿ تَأَلَّه لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [الحجر: ٩٢].

٢- القسم بالقرآن الكريم والكتاب المبين: ﴿ يَسَّ ﴾ \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس: ١-٢]، ﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ص: ١]، ﴿ قَّ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١]، ﴿ حَمَّ ﴾ \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الزخرف: ١-٢] وغير ذلك.

(١) الإتقان للسيوطي ٤/٤٩، والبرهان للزركشي ٣/٤٢.

وقد أقسم تعالى بكتابه لبيان عظمته وقدسيته التي تجلت في آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وغير ذلك من الآيات.

٣- الحلف ببعض الأزمنة: كما في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١-٢]، ﴿وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ١-٢]، ﴿وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢] وغير ذلك.

٤- الحلف ببعض الأماكن: كما في قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ \* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٢-٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤].

٥- الحلف بملائكته: كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا \* وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا \* وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا \* فَالسَّيِّدَاتِ سَبْقًا \* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١-٥]، وكما في سورة الصافات، والذاريات، والمرسلات.

٦- الحلف بالمخلوقات والظواهر السماوية: كقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ..﴾ [الشمس: ١-٢]، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١]، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

٧- الحلف بمخلوقاته الأرضية: ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] أقسم بهما لما فيها من فوائد جمّة. وإن كان من باب المثال ﴿وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] والمراد بهما إبراهيم الخليل وإسماعيل عليهما السلام ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧] وغير ذلك.

٨- القسم بالنبي ﷺ وذلك في موردين: في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فالله يحلف بحياة النبي ﷺ أن قوم لوط في سكرتهم وانغمارهم في المنكر في ضلال لا يهتدون. وفي قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدِ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣] ورد في التفاسير أن المراد بالشاهد هو النبي ﷺ بقريظة الآيات الأخرى.

٩- الحلف بالقيامة: كما في قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ٢] ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١]، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ والمشهود هو يوم القيامة بقريظة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

فائدة (٤١٢): قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟ قلنا: أجيب عنه بأوجه. أحدها: إنه على حذف مضاف؛ أي ورب التين ورب الشمس، وكذا الباقي. الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على ما يعرفونه. الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه، والله تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع. وقال ابن أبي الإصبع في أسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل».

فائدة (٤١٣): الغالب في المقسم عليه أن يكون في الكلام، لأنه المقصود بالتحقيق، وقد يحذف كما يحذف جواب (لو)، إما: للعلم به، أو لتذهب النفس فيه كل مذهب. كما في مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]،

(١) الإتيان ٤/٤٧.

فجواب ( لو ) محذوف، تقديره: لو تعلمون علم اليقين عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به. وهذه عادة العرب في كلامهم إذا رأوا أموراً عجيبةً، وأرادوا أن يخبروا بها الغائب عنها.

وأكثر ما يحذف جواب القسم: إذا كان في نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فإن المقصود يحصل بذكره (أي المقسم به)، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز، كما في قوله تعالى: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [ص: ١]، فإن في المقسم به من تعظيم القرآن، ووصفه بأنه ذو الشرف، والقدر، ما يدل على المقسم عليه، وهو كونه حقاً من عند الله غير مفترى، وتقدير الجواب: إن الفرقان لحق. وهذا يطرد في كل ما شابه ذلك.

فائدة (٤١٤): ورد المقسم به مسبقاً بأداة النفي (لا) في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، ستة منها تقدمتها أداة النفي مقترنة بالفاء وهي: (سورة النساء آية: ٦٥، وسورة الحاقة الآيتان: ٣٨، ٣٩، وسورة المعارج آية: ٤٠، وسورة الواقعة آية: ٧٥، وسورة التكويد الآيتان: ١٥، ١٦، وسورة الانشقاق آية: ١٦). وفي موضعين جاءت أداة النفي غير مقترنة بالفاء في (سورة القيامة الآيتان: ١، ٢، وسورة البلد آية: ١).

وقد ذهب المفسرون في بيان ذلك إلى رأيين اثنين: الرأي الأول أن (لا) لنفي القسم فكأن الله تعالى يريد أن يقول: لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب، فإن إثباته أظهر وأجل وأقوى أو أعظم وأجل من أن يقسم عليه بمثل هذا القسم، وبه قال الفخر الرازي<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الكبير ٢٩ / ٢١٥.

والرأي الثاني: أن صيغة (لا أقسم) عبارة من عبارات القسم وجاءت (لا) هنا صلة، أي: زائدة، أفادت التأكيد والمعنى: أقسم. قال الزمخشري في تفسيره للآية ٧٥ من سورة الواقعة: «فلا أقسم، معناه: فأقسم، ولا مزيدة مؤكدة، مثلها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾»، وقال في موضع آخر<sup>(١)</sup>: «إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر»

فائدة (٤١٥): قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ \* مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ...﴾ ذكر المفسرون في سبب نزولها أنه احتبس الوحي عنه ﷺ لأيام فقال المشركون إن محمدا «قد ودعه ربه وقلاه». وإن كان التأخير أمرا متوقعا يقتضيه نزول القرآن تدرجا. أما المقسم به فهو الضحى أي صدر النهار وقت ارتفاع الشمس، والليل إذا سجدى وسكن. أما المقسم عليه إن رب محمد لم يتركه ولم يبغضه، ووجه العلاقة بين الأمرين واضح إذ إن نزول الوحي يناسب الضحى، ونور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل يناسب نور الوحي نجوماً وبعد احتباس يتلاءم وتعاقب الليل والنهار.

مثال آخر: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾، أقسم تعالى بالنجم أي الكوكب الطالع الذي يُضيء في السماء ثم يسقط نحو الغروب. أما المقسم به فهو نفى الضلالة والغي عن النبي ﷺ، ووجه الصلة بينها أن النجم عند الهوى والميل يهتدي به الساري كما أن النبي يهتدي به الناس لأنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى.

(١) تفسير الكشاف ٤ / ٥٨.

فائدة (٤١٦): قال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [الحجر: ٩٢]، لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه. أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: «ما خلق الله وما ذراً ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾».

### الإعجاز في القرآن:

فائدة (٤١٧): الإعجاز: تدور معانيه في اللغة على الضعف والانقطاع وعدم القدرة على تحصيل الشيء. وفعله رباعي من (أعجز)، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز<sup>(١)</sup>. ويقال عجز عن الشيء عجزاً وعجزاناً: ضعف ولم يقدر عليه، وأعجز الشيء فلاناً: فاته ولم يدركه<sup>(٢)</sup>.

والإعجاز في الاصطلاح: له عدة تعريفات، منها تعريف الجرجاني<sup>(٣)</sup>: «أن يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق».

وقد عرفه مصطفى صادق الرافعي<sup>(٤)</sup> بقوله: «وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته. ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت».

(١) المصباح المنير ص ١٤٩.

(٢) انظر تاج العروس للزبيدي مادة عجز.

(٣) التعريفات ص ٤٧.

(٤) إعجاز القرآن ص ١٣٩.

والإعجاز القرآني (من إضافة المصدر إلى القرآن) يعني: أن جميع من عدا الله من الإنس والجن قد أعجزهم القرآن عن الإتيان بمثله، قل ذلك الكلام أو أكثر، مع تكرار التحدي به ومطالبة من زعم أن القرآن ليس من عند الله بأن يثبتوا صدق دعواهم بالإتيان بكلام يماثل القرآن في بلاغته وفصاحته وعلو شأنه.

فائدة (٤١٨): المعجزة لغة: ما أعجز به الخصم عند التحدي<sup>(١)</sup>، والمعجزة<sup>(٢)</sup>، في اصطلاح علم الكلام: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي<sup>(٣)</sup>، سالم عن المعارضة<sup>(٤)</sup>» يظهر على يد مدعي النبوة موافقاً لدعواه.

فائدة (٤١٩): المعجزة في الحقيقة هي من أفعال الله. والقول بأنها معجزة نبي ليس إلا تعبيراً مجازياً. لذا فإنه يجب أن تظهر على يد الرسول، وأن تكون خارقة للعادة، وأن تأتي بمناسبة للتحدي، وأن تأتي بعد إنكار أو تكذيب، وأن تكون من النوع الذي يعجز الإنسان عن الإتيان بمثله.

والمعجزات التي أعطيت للرسول لها علاقة بالنبوة التي هي من أسس الإيمان من جهة ولها علاقة بالوحي من جهة أخرى. لذلك فإنه من الواجب الإيمان بالمعجزات ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

(١) القاموس المحيط، باب الزاي، فصل العين.

(٢) اسم فاعل من الإعجاز والهاء فيها للمبالغة، والجمع معجزات.

(٣) الأصح عدم اشتراط التحدي إذ ليس عليه دليل، وأكثر معجزات النبي ﷺ كانت بلا تحد، ولم يتحد بغير القرآن، إذ لم ينقل عنه أنه تحدى بغيره. انظر المواهب اللدنية للقسطلاني ٤٨٩/٢. إلا إذا قلنا إن التحدي هنا ليس بمعنى طلب الإتيان بالمثل بل هو مجرد دعوى الرسالة أو النبوة. انظر الإرشاد للجويني ص ٢٦٥ واليواقيت والجواهر ص ١٥٧.

(٤) الإتيان ٣/٤ والمواهب اللدنية للقسطلاني ٤٩٥/٢.

فائدة (٤٢٠): تنقسم المعجزة إلى قسمين:

القسم الأول المعجزات الحسية: مثل: معجزة الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ، وتكثير الطعام القليل...

القسم الثاني المعجزات العقلية: مثل الإخبار عن المعيّبات، والقرآن الكريم. وقد جرت سنة الله تعالى كما قضت حكمته أن يجعل معجزة كل نبي مشاكلة لما يتقن قومه ويتفوقون فيه. ولما كان العرب قوم بيان ولسان وبلاغة، كانت معجزة النبي ﷺ الكبرى هي: القرآن الكريم.

قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراهها ذوو البصائر كما قال ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابِعاً» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>. قيل إن معناه: إن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم، فلم يشهدوا إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه».

فائدة (٤٢١): المعجزة هي إحدى الخوارق الستة، أما باقي الخوارق فهي: (الإرهاص) وهو ما يأتي من الدلائل قبل ظهور النبي. (والكرامة) وهي

(١) الإتيان ٣/٤.

(٢) انظر كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي ٩ / ٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ١ / ١٣٤.

للأولياء<sup>(١)</sup>. (والمعونة) وهي لتخليص العوام من الشدائد. (والاستدراج) للفاجر ويكون على طبق دعواه كما يحصل للدجال. (والإهانة) للفاجر أيضا، ولكنها على خلاف دعواه<sup>(٢)</sup>. أما السحر والشعوذة فالصحيح أن هذا ليس خارقا للعادة لأنه يعتاد إذا عرفت أسبابه وطرقه<sup>(٣)</sup>.

فائدة (٤٢٢): إعجاز القرآن في الأصل إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، ولكن هذا ليس مقصودا لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا القرآن حق وأن الرسول رسول صدق.

وقد طولب المتحدّون بأن يأتوا بسورة من مثله، أو بعشر سور، أو بمثله مطلقا - أقل من السورة، أو فوق السور العشر - طولبوا بهذا في مكة قبل الهجرة، وطولبوا به في المدينة بعد الهجرة، فعجزوا تمام العجز، مع شدة حاجتهم إلى تحقيق ما طلب منهم، فدل ذلك على عجزهم التام عن محاكاة القرآن، لما رأوا فيه من علو الشأن، وإحكام الأسلوب، وروعة المعاني. ووصفه الوليد بن المغيرة وكان كافرا بأنه يعلو ولا يعلو عليه. قال ابن عاشور<sup>(٤)</sup> «فعجز جميع المتحدّين عن الإتيان بمثل القرآن أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم وسكوتهم عن المعارضة مع توافر دواعيهم عليها».

---

(١) واسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في عرف العلماء المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات والتفريق إنما جاء من التأخرين فجعلوا المعجزة للنبي والكرامة للولي. انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١١ / ٣١١-٣١٢.

(٢) كما حصل لمسيلمة الكذاب لما تفل في بئر فذهب ماؤها. انظر البداية والنهاية ٤ / ٣٢٧.

(٣) انظر حجة الله على العالمين ١٢-١٣، واليواقيت والجواهر للشعراني ١٦١-١٦٢.

(٤) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ١ / ١٠٣.

قال السيوطي<sup>(١)</sup>: «وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس أنه قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قَبَلَهُ، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكَرَّ قال: هذا سحر يؤثر يؤثره عن غيره». وقد قصَّ الله تعالى علينا خبره في سورة المدثر (المدثر: ١١-٢٦).

فائدة (٤٢٣): لقد تحدى الله العرب «وكانوا أفصح الفصحاء ومصارع الخطباء، غير أن القوم أنكروا هذا التفوق، وقالوا حين تليت عليهم آياته: ﴿ قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١] وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا»<sup>(٢)</sup> - وهم أهل الفصاحة<sup>(٣)</sup> -، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بِلَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ \* فليأتوا

(١) الإتيان ٤/ ٥.

(٢) الإتيان للسيوطي ٤/ ٤.

(٣) «قال الجاحظ: بعث الله محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة... ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المثور، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أذنهم، فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق أنفة =

مِجْدِيثٍ مِّثْلِهِ ۚ إِنَّ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ [الطور: ٣٣-٣٤] وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِيِنِ  
 أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ  
 وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] فعجزوا عن الإتيان بمثله.  
 ولما كبلهم العجز عن هذا، فلم يفعلوا ما تحداهم، فجاءهم بتخفيف التحدي،  
 فتحداهم بعشر سور، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ  
 مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* فَآلَهُ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ  
 فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٤].  
 ثم أرخى لهم جبل التحدي، ووسع لهم غاية التوسعة فتحداهم أن يأتوا بسورة  
 واحدة، أي سورة ولو من قصار السور، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا  
 بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

ولكن فصحاء العرب أعرضوا عن هذا التحدي المتكرر، فها هو أبو سفيان  
 أحجم عن تجنيد جيش من شعراء الجزيرة وأدبائها لمعارضة القرآن. بل جدَّ  
 في تأليف جيش من عشرة آلاف لمقاتلة النبي ﷺ وحزبه. فها هو الوليد وليد  
 والأعشى وكعب بن زهير يدعون لسمو معاني القرآن وبلاغته، وقد كانوا  
 معدودين من أساطين البلاغة في زمنهم.

فائدة (٤٢٤): قال عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)<sup>(١)</sup>: «أعجزتهم مزايا  
 ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من

= وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة  
 في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة، وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثاً وعشرين  
 سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون  
 السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه». الإتيان للسيوطي ٤/ ٥-٦.

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٩.

مبادئ آية، ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها.. وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة، وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة يُنبؤ بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح مكانا أو أشبه، أو أخرى وأخلق.. بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور نظاما والتاما وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حكّ بيافوخه السماء موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدّعي وتقول، وخلدت القروم فلم تملك أن تقول».

فائدة (٤٢٥): لم يكن مصطلح الإعجاز معروفا في القرون الثلاثة الأولى الهجرية، فكلمتا (الإعجاز والمعجزة) لم تستعملا للدلالة على إعجاز كتاب الله تعالى في العصور الأولى بل كانوا يستخدمون الألفاظ القرآنية الدالة على معنى الإعجاز والمعجزة مثل (آية، وسلطان، وبرهان، وبصيرة، وبينة).

وإنما عرف واشتهر بعد أن وضع محمد بن يزيد الواسطي المعتزلي (ت ٣٠٦هـ) كتاباً سماه «إعجاز القرآن»<sup>(١)</sup>. وليس معنى ذلك أنه لم يكن موجودا من قبل، فقد كان البحث والجدل حول إعجاز القرآن يدور على أوسع نطاق في بيئات العلم والعلماء وبخاصة عند علماء الكلام<sup>(٢)</sup>، حيث ألف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كتاباً

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٣٦٧. وهو مفقود. وقد شرح الجرجاني هذا الكتاب في شرحين كبير وصغير وكلا الشرحين أيضا مفقود. انظر كشف الظنون ١ / ١٢٠.  
(٢) حيث إن أول من ناقش موضوع الإعجاز هم المعتزلة وعلى رأسهم إبراهيم بن سيار النظام الذي قال بالصرفة. انظر مقالات الإسلاميين ص ٢٢٥ والفرق بين الفرق ص ١١٤.

حول الإعجاز سماه «نظم القرآن»<sup>(١)</sup>. وفي القرن الرابع ألف علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ) رسالته «النكت في إعجاز القرآن»، وهي تتميز بأنها نقلت مباحث الإعجاز خطوة إلى الأمام بتلخيص الرماني لكل ما قيل قبله من آراء في رسالته هذه. ومن كتب في الإعجاز أيضا حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، في كتابه «بيان إعجاز القرآن».

وابتداء من القرن الخامس الهجري، ومع اتساع مجالات علم الكلام، وتفشي بعض مظاهر الزندقة والإلحاد، بدأت البحوث في الإعجاز القرآني تتخذ مسارات أكثر تطوراً، وساعد على هذا التطور الازدهار المشهود الذي اتسمت به البحوث اللغوية والفنون الأدبية، ويعتبر كتاب الباقلاني «إعجاز القرآن» من أفضل نتاج هذا القرن في مجال الإعجاز، إلى جانب إنجازات عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابه «دلائل الإعجاز» الذي وضع فيه نظرية النظم وضعاً متكاملًا، وإليها يرجع الفضل في تطور علوم البلاغة بعد ذلك. ثم توالى في القرون اللاحقة مصنفات في قضية الإعجاز مثل «نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز» لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) وكتاب «الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق

---

(١) على الرغم من كون الجاحظ معتزليًا وتلميذًا لإبراهيم النَّظَّام، فقد آمن بفكرة الإعجاز بخلاف شيخه، ووضع كتابًا حول الإعجاز الأسلوبي للقرآن أسماه «نظم القرآن»، لم يصل إلينا، ولكن الجاحظ على طريقته في الإشارة إلى بعض كتبه في بعضها الآخر، أورد بعض الفقرات من هذا الكتاب في كتابيه: «الحيوان» و«البيان والتبيين» الموجودين حاليًا، ويتلخص رأي الجاحظ في تبنيه للقول بالصرفة إلى جانب إيمانه بأن العرب عجزوا عجزًا حقيقيًا - مع محاولاتهم - عن الإتيان بمثل القرآن، بسبب طريقة نظم القرآن أي أسلوبه، ويعتبر كتاب الجاحظ المفقود هذا أول كتاب في إعجاز القرآن كما يقول الباقلاني في إعجاز القرآن ص ٦. وانظر مجموع رسائل الجاحظ لعبد السلام هارون ٢٨٣/٣.

الإعجاز» للإمام يحيى بن حمزة العلوي الزيدي (ت ٧٤٥هـ)، ثم جاء السيوطي (ت ٩١١هـ) وتناول قضية الإعجاز بالعناية والبيان ضمن كتبه في علوم القرآن وخصه بكتاب سماه «معتك الأقران في إعجاز القرآن».

فائدة (٤٢٦): الإعجاز القرآني عند القدماء يدور حول الوجوه<sup>(١)</sup> الآتية:

- الأخبار والوعود الصادقة.

- الأخبار عن الغيوب التي وقعت كما أخبر عنها القرآن<sup>(٢)</sup>.

- فصاحة ألفاظه، وسلامة معانيه وشرورها.

- نظمه المحكم، وتأليفه البديع، وسلامته من الطعون.

قال ابن القيم<sup>(٣)</sup>: «فتأمل هذا الموضوع من إعجاز القرآن تعرف فيه قصور، كثير من المتكلمين، وتقصيرهم في بيان إعجازه، وأنهم لن يوفوه عشر معشار حقه، حتى قَصَرَ بعضهم الإعجازَ على صرف الدواعي عن معارضته مع القدرة عليها، وبعضهم قَصَرَ الإعجازَ على مجرد فصاحته وبلاغته، وبعضهم على مخالفة أسلوب نظمه لأساليب نظم الكلام، وبعضهم على ما اشتمل عليه من الأخبار بالغيوب إلى غير ذلك من الأقوال القاصرة التي لا تشفي ولا تجدي وإعجازه فوق ذلك ووراء ذلك كله».

(١) وجه الإعجاز: هو الأمر الكامن في المعجزة الذي من أجله لا يقدر المتحدّى على الإتيان بمثلها ويقصر عنه.

(٢) وهي من الإعجاز الجزئي وليس الكلي، إذ ليس واقعا في كل آية من كتاب الله تعالى، وقد تخلو بعض السور القصار منه، فصار الإعجاز خاصا بالآيات التي وردت فيها أخبار الغيب فقط، والآيات التي تخلو من أخبار الغيب فإن وجه الإعجاز فيها قائم من جهة البلاغة والفصاحة والنظم.

(٣) ٩٤٦/٤.

فائدة (٤٢٧): الإخبار عن الغيوب ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- غيب قريب موعود بتحقيقه وقد تحقق، كغلبة الروم الفرس، وفتح المسلمين مكة، والإخبار بموت أبي لهب كافرا.

٢- وغيب لم يتحقق بعد، وذلك نحو بعض أشرط الساعة، كالدابة، والدخان والكوارث الكونية يوم القيامة.

٣- والغيب الحاضر كالحديث عن الأشياء التي غابت عن أبصارنا كالدار الآخرة وما فيها من جنة ونار وملائكة... إلخ. أو الإخبار عن ضمائر الناس كاليهود حيث أخبر القرآن عنهم أنهم لا يتمنون الموت: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥].

فائدة (٤٢٨): ذكر الخطابي<sup>(١)</sup> في خاتمة رسالته «بيان إعجاز القرآن» أن الإعجاز التأثيري للقرآن<sup>(٢)</sup> يعد أهم وجه من وجوه الإعجاز، حيث قال:

(١) هو العالم الأديب اللغوي حمد بن محمد بن إبراهيم أبو سليمان البستي الخطابي، نسبة إلى زيد بن الخطاب أخي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والبستي نسبة إلى مدينة بُسْت من بلاد كابل التي ولد بها سنة (٣١٩ هـ) وأقام فيها في أخريات حياته إلى أن توفي سنة (٣٨٨ هـ)، كان شافعي المذهب، صاحب مصنفات مفيدة منها: كتاب «معالم السنن» وهو شرح لكتاب سنن أبي داود، وكتاب «العزلة» أو «الاعتصام»، وكتاب «إصلاح غلط المحدثين»، ورسالته «بيان إعجاز القرآن»، وقد طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

(٢) ويقصد به العامل النفسي الوجداني، الذي يصنعه القرآن بالقلوب وتأثيره في النفوس، والله سبحانه وتعالى يذكر لنا هذا التأثير في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبِعْهُ مَأْمُومًا﴾ [التوبة الآية ٦]، وخير دليل على وجود هذا التأثير قول الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

«قلت: في إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن، منظوماً ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاته، وكفرهم إيماناً».

فائدة (٤٢٩): اتفقت أقوال أئمة أهل السنة على أن وجه الإعجاز الصحيح في كتاب الله تعالى يدور حول الإعجاز بنظمه، وفصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه. ولم يشذ عن هذا الرأي إلا بعض المعتزلة وبعض الفلاسفة الذين قالوا بـ (الصرفة)<sup>(١)</sup>

= وكذلك السنة والسيرة النبوية تذكر لنا كثيراً من الحوادث التي تأثر بها الكفار والمشركون عند سماعهم القرآن الكريم كقصة إسلام عمر بن الخطاب حين سمع سورة طه، وعتبة بن ربيعة حين أرسله قومه إلى رسول الله ﷺ ليوقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله آيات من (حم السجدة) فلما أقبل عتبة وأبصره الملاء من قريش قالوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. وهذا التأثير مشاهد فكم من غير المسلمين من أسلم فقط لسماعه القرآن وما أحدثه ذلك في نفسه رغم أنه لم يفهم معناه.

(١) وأول من قال بهذا الرأي النظام المعتزلي ويرى أن وجه إعجاز القرآن يكمن في إخباره عن الغيوب. فهو لم ينف إعجاز القرآن الكريم بذاته وإنما حصره في الإخبار بالغيوب. انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ١/ ٢٧١، والإتقان للسيوطي ٧/ ٤. ولم يرتض المعتزلة قول النظام وقد رد عليه تلميذه الجاحظ في كتابه =

ومرادهم بالصرفه أن الله سبحانه صرف همم العرب في زمن الرسالة عن معارضة القرآن، والإتيان بمثله. أي أن القرآن ليس معجزاً لفصاحة ألفاظه وبلاغته وحسن نظمه وإنما لصرف الله العرب عن الإتيان بمثله. ولولا صرف الله العرب عن الإتيان بمثل القرآن لآتوا بمثله، وهم أهل الفصاحة والبيان.

وهذا الصرف يحتتمل أن يكون في عدة أمور:

- إما في سلبهم المهمة عن معارضة القرآن مع مقدرتهم وعلمهم وكمال عقولهم.
- أو في سلبهم القدرة على المعارضة مع بقاء المهمة والرغبة في المعارضة.
- أو في سلبهم العلوم التي يحتاجون إليها في المعارضة وهذه العلوم إما أن تكون حاصلة لهم فأزيلت عنهم أو غير حاصلة لهم<sup>(١)</sup>.

---

= «حجج النبوة». والنظام هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري (ت ٢٢١هـ)، اشتغل بنظم الخرز ولذلك سمي بالنظام. أحد شيوخ المعتزلة وإليه كانت تنسب الفرقة النظامية. كان أديباً، ومتكلماً، وفيلسوفاً ضليعاً، حافظاً للقرآن وتفسيره، والكتب السماوية الأخرى، وهو أول من جاهر بالقول بالصرفه، وأعلنه ودعا إليه، مات في ريعان شبابه عن ستة وثلاثين عاماً، وكان أستاذاً للجاحظ. والنظام هذا لم يصلنا شيء من كتبه، ولكننا نجد الآراء المنسوبة إليه في كتب أخرى لغيره.

(١) انظر مرادهم من الصرفه من كتاب الطراز للإمام يحيى بن حمزة ٣/ ٣٩١. ومقالات الإسلاميين ص ٢٢٥. ومما يرد على هذا القول هو وقوع محاولة المعارضة للقرآن الكريم سواء كانت في العهد النبوي أم بعده، وقد وردت في التاريخ أمثلة على محاولة أصحابها مواجهة هذا التحدي، غير أنهم أخفقوا إخفاقاً ذريعاً، ومن هؤلاء مسيلمة بن حبيب الكذاب، وطليحة بن خويلد الأسدي، والنضر بن الحارث، وأبو الحسين أحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندي، وعبدالله بن المقفع، وأبو الطيب المتنبي، وأبو العلاء المعري، صاحب كتاب «الفصول والغايات في مجازة السور والآيات».

فائدة (٤٣٠): وهناك مفهوم آخر للصفة ذهب إليه الجاحظ، والرماني، وهو مفهوم لا يقدر في بلاغة القرآن، ولا ينكر تفوقه، بل هو يقر بهذا الإعجاز، ويعترف به، وأن ما جاء به القرآن الكريم خارج عن طوق البشر ومقدورهم، فالصفة عند الجاحظ «ضرب من التدبير الإلهي، والعناية الربانية، جاءت لمصلحة المسلمين»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤٣١): قال الباقلاني<sup>(٢)</sup>: «لو كان الأمر على ما ذهبوا إليه، وكان الإعجاز بالصفة حقاً، لكان الأقوى في الحجة، والأين في الدلالة، أن يجيء القرآن في أدنى درجات البلاغة، لأن ذلك أبلغ في الأعجوبة، فإن الذي يعجز عن كلام هو في مستوى كلام الناس أو أدنى منه، يكون ذلك دليلاً على أن هناك قوة غلابة، حالت بينه وبين المعارضة، ولم يكن هناك حاجة لمجيء القرآن الكريم في نظم بديع، ومستوى رفيع عجيب».

فائدة (٤٣٢): «قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] فهذه الآية تدل على بطلان القول بالصفة لأنه لو كان إعجاز القرآن يكمن في صرف العرب عن الإتيان بمثله لما كان في اجتماع الإنس والجن فائدة»<sup>(٣)</sup>.

قال السيوطي<sup>(٤)</sup>: «فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة، لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل

(١) انظر كتاب الحيوان للجاحظ ٤ / ٨٥-٨٩.

(٢) انظر إعجاز القرآن ص ٤٢.

(٣) انظر بيان إعجاز القرآن، للخطابي ص ٢٣-٢٤.

(٤) الإتيقان، ٤ / ٧. وانظر روح المعاني للألوسي ١ / ٢٧-٣٣، ومناهل العرفان في علوم

القرآن للزرقاني ٢ / ٣١٠-٣١٥.

بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة إعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز، بل المعجز هو الله تعالى، حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله؟ وأيضا فيلزم من القول بالصفة: زوال إعجازه بزوال زمن التحدي، وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة: أن معجزة الرسول العظمى باقية، ولا معجزة له باقية سوى القرآن».

ولو سلمنا أن العرب المعاصرين للبعثة قد صرفوا كما يزعمون، لم يكن من قبلهم من أهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل القرآن في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم. فلما لم يوجد في كلام من قبلهم مثله، علم أن ما ادعاه القائل بالصفة ظاهر البطلان. فإعجاز القرآن ذاتي، فهو معجز بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، مما جعل العرب يستعظمون بلاغة القرآن وفصاحته، ولو كانوا مصروفين عن المعارضة، لكان تعجبهم للصرف، لا للبيان المعجز.

فائدة (٤٣٣): «ولقد حاول نفر من قريش معارضته، وعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر أربعين يوماً لتصفوا أذهانهم، فلما أخذوا فيما قصدوه وسمعوا قول الله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤]، قال بعضهم لبعض هذا الكلام لا يشبه كلام المخلوقين؛ فتركوا ما أخذوا فيه وتفرقوا»<sup>(١)</sup>.

فائدة (٤٣٤): اصطلاحات «الإعجاز العلمي» و«التفسير العلمي» و«معجزة علمية» من التعابير التي استحدثت وشاعت في العصر الحديث، ومعلوم أن هذه

(١) انظر روح المعاني للألوسي ٦/٦٣. وقد أورد القصة أيضا ابن رشيق في العمدة ٢١١/١.

التعابير تفيد تأويل بعض الآيات القرآنية بما يتفق وبعض النظريات العلمية أو الاكتشافات في العلوم الطبيعية. فهناك ما يقرب من (٧٥٠) آية في القرآن الكريم تشير إلى ظواهر طبيعية، واستخدام القرآن الكريم كلمة العلم ومشتقاتها ما يقرب من (٧٨٠) مرة.

فالإعجاز العلمي هو: «إخبار القرآن الكريم والسنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول الكريم ﷺ».

وفي العصر الحديث ظهر الإعجاز العلمي في كثير من ميادين المعرفة، فقد ظهر الإعجاز في الدراسات الطبية والنفسية والنباتية وطبقات الأرض وغيرها، ففي كل هذه المجالات ظهرت حقائق يقينية طابقت إشارات القرآن إليها منذ خمسة عشر قرناً<sup>(١)</sup>.

وبعد: فهذا ما وفق الله الكريم إلى جمعه من فوائده في علوم القرآن، راجياً منه تعالى أن يجعل منها مفاتيح فتح في كتابه والفهم عنه سبحانه، وأن تكون دعوة للتعرض إلى أنوار خطابه بروح محبته منيبة مسلمة لربها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين، وعلى آل محمد وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

---

(١) ولكن ينبغي هنا عند الكلام على إشارات القرآن السابقة لبعض الحقائق العلمية الحديثة أن يكون ذلك منضبطاً بالضوابط التفسيرية المعروفة، ويجتنب معها تلك التكاليفات غير المستساغة في تحميل اللفظ القرآني ما لا يحتمل.

## المصادر والمراجع

- ١- الأحرف السبعة للقرآن: لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق د. عبد المهيمن طحان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة، مكة.
- ٢- أحكام القرآن: لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)، مطبعة الأوقاف الإسلامية، النشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٣- أحكام القرآن: للجصاص، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٣٧٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، مطبعة الأوقاف الإسلامية ١٣٣٥هـ.
- ٤- أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي (٥٤٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- ٥- أحكام القرآن: للإمام عماد الدين بن محمد الطبري، المعروف بالكيا الهراسي (ت ٥٠٤هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط أولى، ١٤٠٣هـ.
- ٦- أحكام القرآن: للإمام الشافعي، محمد بن إدريس، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العربية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ٧- إحياء علوم الدين: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤٠٣هـ.
- ٨- أدب الكاتب: لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٥٥هـ.
- ٩- الأذكار النووية: للنووي، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

- ١٠- أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)  
تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط أولى، ١٣٧٩هـ.
- ١١- أسباب النزول: لجلال الدين السيوطي، ط أولى، ١٤٠٧هـ، دار قتيبة  
للطباعة والنشر، دمشق.
- ١٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)  
تحقيق محمد أحمد عاشور وآخرون، ط دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ١٣- أسرار البلاغة في علم البيان: لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق  
وتعليق محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية.
- ١٤- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم: لمقاتل بن سليمان بن بشير البلخي  
(ت ١٥٠هـ) تحقيق عبدالله محمود شحاتة، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٣٩٥هـ.
- ١٥- أصول السرخسي: لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٩٠هـ)  
تحقيق أبو الوفاء الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، توزيع  
مكتبة المعارف بالرياض.
- ١٦- الأعلام: قاموس تراجم لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت،  
لبنان، ط سادسة، ١٩٨٤م.
- ١٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيس  
الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق عبد الرؤوف سعيد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية،  
القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- ١٨- الأغاني: لأبي الفرج بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) الناشر دار الكتب  
المصرية، القاهرة ١٩٢٣م.

- ١٩- الأم: لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) تصحيح محمد زهري النجار، الطبعة الثانية ١٩٧٣م، دار المعرفة بيروت، لبنان.
- ٢٠- الأمالي: لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي، المكتب الإسلامي.
- ٢١- الأمثال القرآنية: لعبد الرحمن الميداني، دار القلم بيروت، ط أولى ١٤٠٠هـ.
- ٢٢- الأنساب: لعبد الكريم السمعاني (ت ٥٦٢هـ) مصورة عن نسخة طبعة ليدن ١٩١٢م، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م.
- ٢٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين عبدالله البيضاوي، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.
- ٢٤- الإبانة عن معاني القراءات: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق محيي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، ط أولى، ١٣٩٩هـ.
- ٢٥- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد البناء، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـ.
- ٢٦- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، طبعة أولى ١٣٨٧هـ.
- ٢٧- الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن محمد الأمدي، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، سنة ١٣٨٧هـ.
- ٢٨- إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: لأحمد القسطلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٩- إرشاد العقل السليم إلى مراتب القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

٣١- إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر: للقلاسي، محمد بن الحسين الواسطي، تحقيق عمر حمدان الكبيسي، جامعة أم القرى، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٢- الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز: عبدالله بن أسعد اليافعي، راجعه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، مصر.

٣٣- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: د. محمد أبو شهبه، مكتبة السنة، القاهرة، طبعة عام ١٤٠٨هـ.

٣٤- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: للإمام عز الدين بن عبد السلام الشافعي، دار المعرفة، بيروت.

٣٥- الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٢٨هـ، القاهرة.

٣٦- إعجاز القرآن: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٣٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، طبعة ١٣٩٩هـ.

٣٨- إعراب القرآن: لإبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢هـ.

٣٩- الإكليل في استنباط التنزيل: لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ، بيروت.

- ٤٠- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ٤١- الإيضاح في علوم البلاغة: للخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن، المعروف بخطيب دمشق، شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٢- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار: لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩٣هـ.
- ٤٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري: طبع بذيل الإصابة، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٤٤- البحر المحيط: لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٤٥- البداية والنهاية: لابن كثير الدمشقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٤٦- بديع القرآن: لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ٤٧- بذل المجهود في حل سنن أبي داود: للشيخ خليل أحمد السهارنفوري، دار اللواء، الرياض.
- ٤٨- البرهان في أصول الفقه: لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب طبعة ١٣٩٩هـ، الدوحة، قطر.
- ٤٩- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.

- ٥٠- بستان العارفين: لنصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي.
- ٥١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، إحياء التراث الإسلامي، سنة ١٣٨٣هـ.
- ٥٢- بيان إعجاز القرآن: لحمد الخطابي، تعليق السيد عبدالله بن الصديق، مطبعة دار التأليف، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٢هـ.
- ٥٣- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ١٣٨٨هـ.
- ٥٤- تأويل مختلف الحديث: عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الجليل، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ٥٥- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار إحياء الكتاب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٥٦- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن مرتضى الزبيدي، دار الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٣٠٦.
- ٥٧- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحلیم نجار، دار المعارف.
- ٥٨- تاريخ الأمم والملوك: لابن جرير الطبري، دار سويدان، بيروت، سنة ١٣٨٣هـ.
- ٥٩- تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ٦٠- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، سنة ١٩٧١م.

- ٦١- التبيان في آداب حملة القرآن: محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي،  
الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، مؤسسة التقويم الإسلامي، بيروت.
- ٦٢- التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، الناشر  
عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٦٣- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: للإمام محمد بن محمد بن يوسف  
الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
- ٦٤- التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس  
١٩٨٤ م.
- ٦٥- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق، بيروت.
- ٦٦- التعريفات: للجرجاني، لأبي الحسن علي بن محمد الشريف، تحقيق غوستاف  
فلوجل، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٨.
- ٦٧- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، طبع دار إحياء الكتب  
العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٦٨- التفسير والمفسرون: للدكتور محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية، ١٣٩٦ هـ،  
دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- ٦٩- تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، مطبعة مصطفى البابي  
الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ.
- ٧٠- تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية،  
بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- ٧١- التيسير في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ٧٢- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني، والخطابي، الجرجاني، دار المعارف مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.
- ٧٣- جامع بيان العلم وفضله: يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٧٤- جمال القراء وكمال الإقراء: للسخاوي، علي بن محمد، مكتبة التراث مكة المكرمة، ومطبعة المدني، مصر الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٧٥- حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع (الشاطبية): للشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني، دار الكتب النفيس، بيروت وحلب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٧٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، المطبعة الميمنية بمصر، ١٣١٤هـ.
- ٧٧- الدر النظيم في فضائل القرآن والآيات والذكر الحكيم: للإمام عبد الله بن أسعد اليافعي، مكتبة محمد أفندي حسن.
- ٧٨- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق، عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٩- الرسالة: للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية بيروت، لبنان.

- ٨٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي، طبعة إدارة الطباعة المنيرية، مصر.
- ٨١- الزيادة والإحسان في علوم القرآن: لابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي، مركز البحوث والدراسات، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦م.
- ٨٢- السبعة في القراءات: لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- ٨٣- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، بيروت: دار الشروق، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ٨٤- السنن: لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية، بيروت.
- ٨٥- السنن: لابن ماجه، محمد بن يزيد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ.
- ٨٦- السنن: لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ٨٧- السنن: للدارقطني، علي بن عمر، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن، القاهرة.
- ٨٨- السنن الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حيدر آباد الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ.
- ٨٩- السنن: للدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، حديث أكاديمي، نشاط آباد، فيصل آباد، باكستان، ١٤٠٤هـ.

- ٩٠- السنن: للنسائي، أحمد بن شعيب، رقمه عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ.
- ٩١- سير أعلام النبلاء: للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ.
- ٩٢- شرح السنة: للبخاري، الحسين بن مسعود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ٩٣- شرح النووي على صحيح مسلم: يحيى بن شرف النووي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨ هـ، دار الفكر، بيروت لبنان.
- ٩٤- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض بن موسى، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٩ هـ.
- ٩٥- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المكتبة السلفية، القاهرة، سنة ١٣٢٨ هـ.
- ٩٦- الصناعتين: الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٤٠٦ هـ.
- ٩٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين السخاوي، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣ هـ.
- ٩٨- طبقات الأولياء لسراج الدين عمر بن علي بن الملقن، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ٩٩- طبقات الشافعية الكبرى: للسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- ١٠٠- طبقات المفسرين: للداودي، محمد بن علي، تحقيق علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال الكبرى، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة.
- ١٠١- طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي، تحقيق يحيى محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.
- ١٠٢- طيبة النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد، المطبوع ضمن كتاب إتحاف البررة بالمتون العشرة، تحقيق أبي الحسن الأعظمي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ومكتبة صوت القرآن، ديوبند، الهند ١٤٠٤هـ.
- ١٠٣- علوم القرآن: للدكتور عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- ١٠٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت لبنان.
- ١٠٥- عيون الأخبار: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ.
- ١٠٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- ١٠٧- الفرق بين الفرق: لعبد القاهر بن طاهر الاسفرائيني التميمي، طبعة مطابع يوسف بيضون، بيروت، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٠٨- الفروق: لشهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٤٤هـ.
- ١٠٩- الفهرست: لابن النديم، محمد بن إسحاق، مكتبة خياط، بيروت، ١٨٧١م.

- ١١٠- الفوائد: لشمس الدين محمد بن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، دار التبيان، ١٤٠٧هـ.
- ١١١- في ظلال القرآن: لسيد قطب، الطبعة السادسة، ١٣٩٨هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
- ١١٢- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، القاهرة، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، سنة ١٣٧١هـ.
- ١١٣- كتاب الحيوان: لأبي عثمان عمرو الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٨هـ.
- ١١٤- كتاب دلائل الإعجاز: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، النشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ١١٥- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ.
- ١١٦- كتاب المصاحف: أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة دار سيف للطباعة، النشر مؤسسة قرطبة، مصر.
- ١١٧- الكتاب: لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ١١٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأفاويل في وجوه التأويل، للزخشي، محمود بن عمر الخوارزمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ١١٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

- ١٢٠- باب النقول في أسباب النزول: لجلال الدين السيوطي، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، ١٩٧٨ م.
- ١٢١- لسان العرب المحيط: لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، مطبعة دار صادر، الناشر دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- ١٢٢- مباحث في علوم القرآن: للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة ١٣، ١٩٨١ م.
- ١٢٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لابن الأثير الجزري، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- ١٢٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ هـ.
- ١٢٥- المجموع: للنووي أبي زكريا محيي الدين بن شرف، شرح المهذب للشيرازي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، دار العلوم للطباعة، ١٩٧٢ م.
- ١٢٦- مجموع فتاوى ابن تيمية: لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، طبعة الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.
- ١٢٧- المحلى: لابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأمدي، الظاهري، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- ١٢٨- مختصر التفتازاني لتلخيص الخطيب القزويني ضمن شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي، سنة ١٩٣٧ م.
- ١٢٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢ هـ.

- ١٣٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم: للدكتور محمد أبو شهبه، دار اللواء، الرياض، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ١٣١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لعبد الله بن أسعد اليافعي، مصورة عن طبعة حيدر آباد، ١٣٣٧هـ.
- ١٣٢- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة المقدسي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.
- ١٣٣- المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ١٣٤- مصابيح السنة: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ١٣٥- المصنف: للصنعاني، عبد الرزاق بن همام، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
- ١٣٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق علي البجاوي، دار الفكر العربي.
- ١٣٧- المعجم الأوسط: للطبراني، سليمان بن أحمد، الناشر دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٨- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١٣٩- معجم المطبوعات العربية والمعربة: ليوسف إلياس سر كيس، ١٣٤٦هـ، مصر.

- ١٤٠- معجم مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت لبنان.
- ١٤١- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ١٤٢- المغني في الفقه: لابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي الحنبلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ١٤٣- مفاتيح الغيب: للفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٤٤- مفتاح العلوم: لأبي يعقوب يوسف السكاكي، تحقيق أكرم عثمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- ١٤٥- مفحّات الأقران في مبهمات القرآن: لجلال الدين السيوطي، تحقيق إياد خالد الطباع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ١٤٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.
- ١٤٧- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
- ١٤٨- مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، الناشر دار الباز، مكة المكرمة.
- ١٤٩- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

١٥٠- الموافقات في أصول الشريعة: لأبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٥١- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٩٧٠م.

١٥٢- الموطاء: للإمام مالك بن أنس، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

١٥٣- النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي.

١٥٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، إبراهيم بن عمر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ.

١٥٥- النكت في إعجاز القرآن: لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، طبعت ضمن مجموعة رسائل، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.

١٥٦- نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز: لفخر الدين الرازي، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، المكتبة الإسلامية.

١٥٨- وفيات الأعيان: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، مصر القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

١٥٩- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب الشعراني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

\*\*\*

## فهرس الموضوعات

٥	..... الافتتاحية
٧	..... المقدمة
	الفصل الأول :
١٥	..... فوائء عامة في التعريف بالقرآن الكريم وعلومه ( الفوائء : ١-١٣٧ )
١٧	..... تعريف علوم القرآن وتاريخ التدوين فيه
٢٠	..... التعريف بالقرآن الكريم وكيفية نزوله
	(أسماء القرآن الكريم - أول من أطلق على القرآن اسم المصحف - الفرق بين القرآن والقراءات وفوائء أخرى).
٢٨	..... الوحي
	(تعريف الوحي لغة وشرعاً - أنواع الوحي - الفرق بين الوحي والإلهام).
٣٣	..... كيفية نزول القرآن
٣٦	..... جمع القرآن وكتابته
٤٤	..... الرسم العثماني للمصحف
	( أقوال الفقهاء في الرسم العثماني - تشكيل كلمات القرآن - تنقيط كلمات القرآن - حكم نقط المصحف وشكله - ترقيم آيات القرآن - أول طبعة للقرآن الكريم - أول من أدخل الكتابة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة - أول من جمع الأولاد لتعليمهم القرآن في الكتاتيب - كتابة المصحف قديماً وحديثاً - ختم القرآن الكريم - احترام المصحف الكريم ).
٦٠	..... تعريف السورة
	( لغة واصطلاحاً - معرفة بداية السورة ونهايتها توقيفي - أسماء سور القرآن توقيفية - أطول وأقصر سورة في القرآن - أطول وأقصر آية في القرآن ).

- ٦٤ ..... حكم الاستعاذة والبسملة  
 ( اسم لفظ الجلالة (الله) وخواصه العظيمة - البسملة في القرآن الكريم  
 - حكم البسملة عند افتتاح القرآن - حكم البسملة عند الجمع بين  
 السورتين).
- ٦٨ ..... فواتح السور وكيفية قراءتها، ومعاني الحروف المقطعة
- ٧١ ..... تعريف الآية  
 ( تعريف الآية لغة واصطلاحاً - معرفة الآيات توقيفي - عدد آيات القرآن  
 - ما يترتب على معرفة عدد آيات القرآن وفواصلها - ترتيب الآيات في  
 سورها توقيفي - حكم الأخذ بالترتيب في التلاوة - حكم المفاضلة بين  
 آيات وسور القرآن - الحكمة من تقسيم القرآن إلى سور وآيات - تقسيم  
 القرآن إلى أحزاب وأسباع - حكم سجدة التلاوة).
- ٨٣ ..... الأحرف السبعة في القرآن  
 ( المراد بالأحرف السبعة، واختلاف العلماء في ذلك، الأحرف السبعة  
 والقراءات السبع - كتاب الوحي والأحرف التي كانوا يكتبون القرآن بها  
 - الأمر المترتب على الاختلاف في المراد من الأحرف السبعة).
- ٨٩ ..... ترجمة القرآن الكريم  
 ( أقسام الترجمة - شروط الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم - تاريخ ترجمة  
 القرآن الكريم - أول الترجمات الأجنبية للقرآن الكريم - حكم الصلاة بغير  
 العربية).
- الفصل الثاني:
- ٩٣ ..... الفوائد المتعلقة بنزول القرآن الكريم زماناً ومكاناً: ( الفوائد: ١٣٨-١٨٧)
- ٩٥ ..... معرفة القرآن المكي والمدني

	(عدد السور المدنية والسور المكية - فوائد معرفة المكي والمدني - علامات المكي والمدني - مميزات المكي والمدني).
٩٩	..... معرفة الحضري و السفري في القرآن الكريم
١٠٠	..... معرفة الليلي والنهاري و الفراشي في القرآن الكريم
١٠٢	..... معرفة الصيفي و الشتائي في القرآن الكريم
١٠٤	..... أسباب النزول
	( تعريف السبب لغة واصطلاحا - الحكمة من معرفة أسباب النزول - كيفية معرفة أسباب النزول - تعدد النزول مع وحدة السبب - حكم السبب الذي يرويه الصحابي ).
١١٠	..... أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم
	( أول ما نزل على الإطلاق - أول ما نزل في القتال والخمر - أول ما نزل في المدينة - آخر ما نزل من القرآن - اختلاف الروايات في آخر ما نزل من القرآن الكريم ).
	الفصل الثالث:
١١٥	..... الفوائد المتعلقة بالسند من علوم القرآن الكريم: (الفوائد ١٨٨-٢١٣).....
١١٧	..... معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج
١١٨	..... القراءات القرآنية
	( تعريف علم القراءات - تعريف القراءة والرواية والطريق - أشهر المؤلفات في علم القراءات - شروط القراءة المقبولة - انتشار القراءات في العالم الإسلامي ).
١٢٥	..... القراءات العشر المتواترة
	( تراجم القراء السبعة - حكم القراءة بغير القراءات المتواترة في الصلاة وغيرها - فوائد تنوع القراءات ).

- ١٣٤ ..... القراءات الشاذة  
( تعريفها - أنواع القراءات الشاذة - أشهر رواياتها - حكم القراءات الشاذة ).
- الفصل الرابع:
- ١٣٩ الفوائد المتعلقة بالألفاظ من علوم القرآن الكريم: (الفوائد: ٢١٤-٢٨٧)..
- ١٤١ ..... الغريب  
( لغة واصطلاحاً - أنواع الغريب عند ابن الأثير - معرفة الغريب عن طريق الشعر العربي - أول من كتب في غريب القرآن ).
- ١٤٦ ..... المعرب في القرآن
- ١٤٩ ..... الحقيقة والمجاز في القرآن  
( الحقيقة في القرآن - أقوال العلماء في مجاز القرآن - الفرق بين الكذب والمجاز - أقسام المجاز - أنواع المجاز - فوائد متنوعة في المجاز ).
- ١٥٨ ..... المشترك في القرآن  
( أنواع المشترك - أمثلة المشترك ).
- ١٦٠ ..... المترادف في القرآن  
( أقوال العلماء في ترادف القرآن - أهمية معرفة المترادف في تفسير القرآن الكريم - فوائد متنوعة في المترادف ).
- ١٦٨ ..... الاستعارة  
( أنواع الاستعارة - أقسام الاستعارة - فوائد متنوعة في الاستعارة )
- ١٧١ ..... التشبيه  
( فائدة التشبيه - أول من كتب في التشبيه - الفرق بين التشبيه والاستعارة - أركان التشبيه - تأثير التشبيه - أقسام التشبيه - فوائد متنوعة في التشبيه ).

## الفصل الخامس:

- ١٨١ الفوائد المتعلقة بعلم المعاني من علوم القرآن الكريم: (الفوائد: ٢٨٨-٣٣٠)
- ١٨٣ ..... الإيجاز والمساواة والإطناب  
( تعريف الإيجاز والمساواة والإطناب - أقواله عليه الصلاة والسلام غلب عليها منحى الإيجاز والاقتصار - التفرقة بين الإطناب وبين التطويل والحشو - أنواع الإطناب ).
- ١٩٠ ..... القصر  
( تعريف القصر - ميزة أسلوب القصر - أقسام القصر - فوائد متنوعة ).
- ١٩٣ ..... الحذف  
( أنواع الحذف - مواضع الحذف - أغراض الحذف ).
- ٢٠٢ ..... الوصل والفصل  
( تعريف الفصل والوصل - مثال الوصل والفصل - مواضع الوصل - علة الفصل ).
- ٢٠٥ ..... فوائد منثورة في علم البديع  
( تعريف علم البديع لغة واصطلاحاً - أول من دوّن في علم البديع - براعة الاستهلال - الاقتباس والتضمين - حكم الاقتباس - أقسام الاقتباس ).
- ..... الفصل السادس:
- ٢١١ ..... الفوائد المتعلقة بعلم أصول التفسير: (الفوائد ٣٣١-٣٨٤)
- ٢١٣ ..... التفسير  
( تعريف التفسير لغة واصطلاحاً - علم أصول التفسير - أهمية علم التفسير - فوائد متنوعة - تعريف التأويل - الفرق بين التفسير والتأويل ).
- ٢١٧ ..... اختلاف العلماء في المقدار الذي بينه النبي ﷺ من القرآن لأصحابه

(أبرز المفسرين للقرآن من الصحابة - أبرز المفسرين للقرآن من التابعين - عصر تدوين التفسير).

٢٢٠ ..... علم الموهبة وأهميته في التفسير

٢٢٣ ..... أنواع التفاسير

( تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور - تفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي - فوائد متنوعة - الاجتهاد في التفسير ليس قولاً على الله بغير علم - حديث : «من فسر القرآن برأيه» - أشهر كتب التفسير بالرأي ).

٢٢٨ ..... التفسير الإشاري

( كلام نفيس لابن تيمية وابن القيم في التفسير الإشاري - الإشارات : «هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد» - كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في التفسير الإشاري - كلام ابن عاشور في التفسير الإشاري - الفرق بين التفسير الإشاري والتفسير الباطني - أمثلة للتفسير الإشاري - شروط قبول التفسير الإشاري - أشهر التفاسير الإشارية - كلام الغزالي وابن عجيبة في التفسير الإشاري - بيان معنى ظهر الآية وبطنها - فوائد متنوعة )

٢٤١ ..... الإسرائيليات (الدخيل في التفسير)

( تعريف الإسرائيليات - يُراد بالإسرائيليات أعم مما يُذكر عن اليهود - حكم الإسرائيليات - التفريق بين الإسرائيليات التي مصدرها أخبار بني إسرائيل، وبين ما سُمِّيَ بذلك مما ليس عنهم - تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع الإسرائيليات - الشوكاني والإسرائيليات - أقسام الإسرائيليات - لا يوجد تفسير واحد يتضمن شرحاً بالإسرائيليات للأحكام الشرعية - ترجمة كعب الأخبار - مناهج المفسرين في التعامل مع الإسرائيليات - أمثلة الإسرائيليات في التفسير ).

## الفصل السابع:

- ٢٥١ فوائد متعلقة بمباحث عامة من علوم القرآن الكريم : (الفوائد ٣٨٥-٤٣٤)
- ٢٥٣ ..... مبهمات القرآن
- (وقع الإبهام في القرآن لعدة أسباب - الإبهام في القرآن الكريم على نوعين - الكتب المفردة لمبهمات القرآن).
- ٢٥٨ ..... أمثال القرآن الكريم
- (تعريف المثل - ضرب الأمثال - للمثل معانٍ مختلفة استعملها القرآن الكريم - الفرق بين المثل وما يقاربه من معانٍ - الزخشي : التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني - الحكمة من ضرب الأمثلة في القرآن الكريم - أهمية المثل في القرآن - ضرب الأمثال ببعض ألفاظ القرآن الكريم في الكلام العادي - الأمثال القرآنية : أقسامها من حيث الباطن والظاهر - أهم من ألف في أمثال القرآن).
- ٢٦٩ ..... القسم في القرآن
- (القسم بمعنى الحلف يؤتي به لأجل تحقيق الخبر - أركان القسم - في ما أقسم به الله تعالى في كتابه الكريم - قوله تعالى : ﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى...﴾).
- ٢٧٦ ..... الإعجاز في القرآن
- (تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً - تعريف المعجزة - أقسام المعجزة - الخوارق ستة أنواع - المقصود من الإعجاز - كلام الجرجاني في الإعجاز - أول من تكلم وكتب في الإعجاز - وجوه الإعجاز القرآني عند القدماء - الإخبار عن الغيوب ينقسم إلى ثلاثة أقسام - الإعجاز التأثيري في القرآن - مذهب الصرفة في الإعجاز والقائلين به - مفهوم آخر للصرفة عند الجاحظ

والرماني - الرد على مذهب القائلين بالصرفة - الإعجاز العلمي في القرآن  
والمراد به).

٢٩٠ ..... الخاتمة

٢٩١ ..... المصادر والمراجع

٣٠٧ ..... فهرس الموضوعات

\* \* \*